الجامعة الأردنيــــة
كلية الدراسات العليا

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بالمعايير الأخلاقية والأمانة العلمية وقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير

أنا الطالب: هبة محمد أحمد العبس الرقم الجامعي: (٨٠٧٠٢٧٧)

تخصص: ماجستير تفسير وعلوم القرآن الكليـــــة: الشريعة

عنوان الرسالة: تعزيز العلاقات النفسية بين الزوجين (دراسة قرآنية)

اعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية وكافة المعايير الأخلاقية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:............................ التاريخ: ٢٢ / ٥ / ٢٠١١

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالــة
التوقيع..........التاريخ ٢٢/٥/٢٠١

تعزيز العلاقات النفسية بين الزوجين

(دراسة قرآنية)

إعداد

هبة محمد أحمد العسعس

المشرف

الدكتور أحمد اسماعيل نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار، ٢٠١١

الجامعة الأردنية

نمـــوذج تفــويض

أنا الطالبة هبة محمد أحمد الحمص ، أفــوض الجامعـــة الأردنيـــة بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤســـسات أو الهيئـــات أو الأشـــخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ٢٢/٥/٢٠١١

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (تعزيز العلاقات النفسية بين الزوجين – دراسة قرآنية)
وأجيزت بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٨ م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل / مشرفاً مشارك – التفسير وعلوم القرآن	....
الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري/ عضواً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	....
الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي/ عضواً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	....
الأستاذ الدكتور نائل ممدوح أبو زيد /عضواً أستاذ – جامعة مؤتة	....

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى والديَّ العزيزين، اللذين لا أشك في لحظة من توفيق الله عز وجل لي بسبب دعائهما، ورضاهما.

- إلى أبي العزيز، الذي أقدر له وقفته إلى جانبي، وتشجيعي على متابعة دراستي الجامعية، لنيل شهادة الدراسات العليا، وأقدر له تحمل كافة التكاليف التي بذلها من أجلي، بهدف أن أكون فتاة متعلمة، ومعتمدة على نفسها، ومحافظة على مستقبلها، وأن أكون زوجة صالحة لزوجها، وخير أم لأولادها.

- إلى أمي الحنونة، التي صبرت عليّ، وراعت ظروفي الدراسية، ولم تكلفني فوق ما أطيق، وأقدر لها خوفها عليّ من مشاق الدراسة وصعوباتها، وتقديم الدعم المعنوي لي في هذه الظروف.

- زوجي الغالي معاذ، أهدي إليه هذه الرسالة شكراً له على وقفته إلى جانبي، ومراعاة ظروفي أثناء الدراسة، وتقديم مصلحة الرسالة على كل شيء، حتى على مصلحته الشخصية، فأرجو من الله عز وجل أن يرشدني وإياه لنكون خير زوجين، يحفظ أحدنا الآخر، ويعينه في مسيرة الحياة بكل حب واحترام، وأن يرزقنا الله تعالى الذرية الصالحة التي تقر بها عيني وعينه...آمين يارب العالمين.

شكر وتقدير

أحمد الله العظيم على توفيقي لإنجاز هذه الرسالة، وأشكره على كل نعمه،

M w x y z { | } ~ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي © ٱلصَّـٰلِحِينَ L النمل: ١٩

- أتوجه بالشكر والتقدير لإخوتي وجميع أحبائي من أفراد عائلتي، وأقاربي، لحرصهم وسؤالهم الدائم عن إنجازي في دراستي، ودعائهم المتواصل لي بالنجاح والتوفيق.
- أتوجه بالشكر والتقدير لصديقاتي على ما قدمنه من دعم معنوي لي، وتمنيهن لي السداد والرشاد، وأخص بالذكر صديقتي نظمية سرور، التي طالما قدمت لي النصح والإرشاد الصادق في حياتي العلمية والشخصية، فأتوجه إليها بالشكر والتقدير، وأرجو من الله أن يوفقها في رسالتها، وحياتها العامة، وأن يبدلها خيراً مما فاتها، ويقر عينها...يا رب العالمين.
- أتوجه بالشكر الجزيل لمشرفي على الرسالة الدكتور أحمد نوفل، على ما قدمه من جهد ووقت في إشرافه على رسالتي، وما قدمه من نصح وتعليمات بهدف إفادتي.
- كما أتوجه بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة، على ما بذلوه من جهد ووقت في قراءة البحث، وما قدمته من ملاحظات لمصلحة الرسالة.
- وفي الختام أشكر جميع أساتذتي، الذين نهلت من علمهم، وثقافتهم، وإرشاداتهم في تطوير عملية البحث وعرض المعلومة بأسلوب جديد، وأخص بالذكر أساتذة علم التفسير: الدكتور مصطفى المشني، والدكتور محمد المجالي، والدكتور جهاد نصيرات، والدكتور سليمان الدقور، والدكتور محمد ريان، والدكتور أحمد فريد.

تعزيز العلاقات النفسية بين الزوجين

(دراسة قرآنية)

إعداد

هبة محمد العسعس

المشرف

الدكتور أحمد نوفل

المُلَخَّص

تناولت هذه الدراسة العلاقة النفسية بين الرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم، باعتبار أن منشأ السلوك هو الشعور، والرجل والمرأة يحدث بينهما من السلوكيات ما يستدعي فهم النفسية المكونة لكل منهما، ومن أجل بلورة هذه الفكرة تناولت مصطلحات الدراسة التي تهمنا لفهم المعنى المقصود واتجاهه، وتحدثت عن الفروق الجسدية، والعقلية، والنفسية بين الرجل والمرأة، لتكون ممهداً لفهم طبيعة كل منهما، وما يميز أحدهما عن الآخر.

وبناءً على ذلك استنبطت الخصائص النفسية التي يتمتع بها كل من الرجل والمرأة، كعنصرين تجمع بينهما علاقة، من خلال الآيات القرآنية، كذلك الخصائص النفسية المشتركة بينهما في علاقة الزوجية.

وبعد تقرير هذه الخصائص، درست آثار صفات المرأة (المادية والمعنوية) على الرجل، وآثار صفات الرجل (المادية والمعنوية) على المرأة، ثم تناولت أثر سلوك المرأة على الرجل وما ينتج عنه من سلوك مقابل له، نتيجة الأثر النفسي الحاصل، وكذلك أثر سلوك الرجل على المرأة بنفس الطريقة.

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن أسرار القرآن كأسرار الطبيعة وكأسرار الكون وكأسرار النفس، كلها آيات الله وكلها معجزة، وأسرار الإعجاز فيها لا تتناهى، فالطبيعة منذ أن استشرف الإنسان إلى معرفة ما يحيط به، كشف علماؤها من قوانينها وأسرارها ما انتقل به ذلك الكائن من كهوف الجبال ومجاهل الغابات إلى عصور العلم والفضاء والنور، ولا تزال هذه الطبيعة كتاباً لم تقرأ إلا سطوره الأولى.

وأسرار الكون والإنسان لا تزال البشرية على سطح محيطاتها ما أصابها إلا رذاذ يتساقط عليها كأنه أطياف من أضواء السماء تحمل كل رذاذة منه عجيبة من عجائب الغيب ينبهر لها جبروت العلم والعقل، وأسرار النفس لا تزال مبهمة في كهوف الغيب بعدما انقطعت أنفاس أغذت السير في عالمها الرحب.

فلا يزال الإنسان كائناً غامض التركيب من حيث النفس والجسد والروح والعقل، والله سبحانه وتعالى جعل هذا المخلوق وهو الأعلم بما خلق وبتفاصيل تركيبه المادي والمعنوي، وأراد بمشيئته سبحانه وتعالى أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض، فهيأه لهذه المهمة وما يصلح له للسعي فيها.

وكان للإنسان منذ بدء الخليقة علاقة تربطه بغيره من الأشياء مثل الكون والطبيعة والمخلوقات الحية الأخرى، كذلك علاقته بالخالق وبني جنسه، وهذه العلاقات بحاجة إلى تنظيم وتحديد يسمح للإنسان بممارسة كل حاجاته وطبائعه دون أن يطغى جانب منها على الآخر، أو أن يسلك طرقاً خاطئة في سبيل الحصول عليها، فأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على نبيه المصطفى الصادق الأمين- صلى الله عليه وسلم- ليكون هادي البشرية إلى ما يصلحها وينفعها في الدنيا والآخرة.

وجاءت التنظيمات الربانية بما يناسب الإنسان في كل زمان ومكان بحيث تكون الأخير والأشمل لحقيقة الإنسان ومتطلباته.

وكان من جملة هذه التنظيمات ما ينظم العلاقة النفسية بين الإنسان مع بني جنسه، خاصة كل جنس مع الطرف الآخر، أي الرجل مقابل المرأة والمرأة مقابل الرجل، فكان لابد من دراسة هذين العنصرين لما لهما من أهمية في قيام المجتمعات عليهما، فهما الركن الأساس لقيام المجتمع الإنساني بشكل خاص والمجتمع الكوني بشكل عام، من خلال عمارة الأرض والخلافة فيها، فإذا نظرنا للكون وجدناه كله يدور حول قانون الزوجية الذي يحصل به التكاثر والتناسل والذي يحفظ وجوده لآخر الزمان، فوجود أي شيء يعتمد أصلاً على وجود ذكر وأنثى.

وبما أن الله تعالى خلقنا وهو يعلم هذا الضعف فينا، كانت هذه التنظيمات تعمل على تهذيب النفس وتشذيبها من كل ما يشوبها وما يتنازعها من الأهواء والشهوات.

ونحن نرى كذلك منهج القرآن في تصوير العلاقة النفسية بين الرجل والمرأة، وتحديدها بما يناسبها بحيث يراعي التكوين الجسدي والنفسي والفطري عند كل منهما، فلا يسبب كل طرف منهما الضرر لصاحبه حتى على مستوى اللاشعور أو عدم القصد، فكل من الرجل والمرأة مكون من صفات خُلُقِيّة وخَلْقِيّة تجذب الطرف الآخر له، من أجل الحفاظ على نقاء النفس وراحتها وعدم ارتكاب الأخطاء بحق هذه العلاقة، عمل القرآن الكريم على ضبطها، لأن راحة النفس مهمة في إعمار الكون والاستمرار فيه بشكل يرضي الخالق ويقيم دينه بين الناس على المستويات كافة.

وقد اخترت البحث في العلاقات النفسية، لأنها الأصل في كل العلاقات، فلا يتعلق إنسان بآخر إلا إذا وجد في نفسه شيئاً، وهنا تكمن حساسية العلاقة بين الرجل والمرأة خاصة قبل الزواج، بأثر سلوك كل منهما على أحاسيس الآخر، ونحن نعلم أن هناك كثيراً من التوجيهات خاطب الله

بها الرجل والمرأة تحتكم إليها النفس دون مشقة، على مستوى المظهر والهيئة أو الحوار ونوعيته أو اللقاء وطبيعته والمشاعر والاستعدادات الفطرية والسلوك القولي والفعلي، فكانت توجيهات القرآن الكريم هي الهادية إلى معرفة الصواب من الخطأ والجائز من الممنوع، للوصول إلى حقيقة الخير في أصل هذه العلاقة.

مشكلة الدراسة

إن القضية الأساسية التي تدور حولها هذه الدراسة هي الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما مفهوم العلاقات النفسية بين الرجل والمرأة؟

2- ما الاختلافات النفسية بين الرجل المرأة؟ وهل هي مرتبطة باختلافات أخرى بينهما كالاختلافات الجسدية والعقلية؟

3- ما هي الخصائص النفسية للرجل؟ وما هي الخصائص النفسية للمرأة؟ وما هي الخصائص النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم؟

4- ما هي آثار الصفات والسلوكيات لدى كل من الرجل والمرأة على نفسية كل منهما في ضوء القرآن الكريم؟

أهمية الدراسة

1- تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول موضوعاً مهماً يتعلق بالطبيعة الإنسانية- لاسيما- الجانب النفسي منها بين هذين العنصرين (الرجل والمرأة)، على اعتبار أنهما نواة المجتمع البشري وأصل وجوده.

2- تجيب على الأسئلة التي تدور حول هذه العلاقة النفسية بين الرجل والمرأة وكشف حقائقها لإزالة سوء الفهم الذي يعتريها على المستوى الداخلي في المجتمع الإسلامي، وعلى المستوى الخارجي من دول الغرب التي أثارت إشكالات حول هذه العلاقة التي نظمها القرآن وادّعوا عليه بأنه أساء لهذه العلاقة بين الرجل والمرأة.

3- تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة المحيرة في ذهن الرجال في علاقاتهم النفسية مع النساء وكذلك النساء مع الرجال، بما يسهم في توضيحها لهما لتحسين أوضاعهما النفسية والاجتماعية في ضوء المنهج القرآني.

4- إثبات صلاحية الخطاب القرآني لكل زمان، بما يناسب طبيعة أهله وطبيعة علاقاتهم ووسائلها وأسبابها، فنجد السعة في الخطاب القرآني أمام السعة في الوسائل والأسباب والإمكانات، بحيث تؤكد مرونة التوجيهات القرآنية وإعجازها وخلودها.

أهداف الدراسة

1- إثبات عظمة النص القرآني في توجيهاته لطبيعة البشر وفطرتهم، بما فيها العلاقات النفسية بين الرجل والمرأة، وبيان حقيقتها بينهما، سواءً قبل الزواج أو بعده، مع توضيح الفروق والخصائص المميزة لشخصية كل منهما، وبالتالي معرفة حدود العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج بناءً على معرفة نفسية كل منهما واستعداداته الفطرية والمكتسبة، والآثار الناتجة عن تصرفاتهما -كل طرف مقابل الآخر- على مستوى النفس والسلوك.

2- بيان ما إذا كانت كل من الحقوق والواجبات والأحكام التي ترتبت لكل من الرجل والمرأة -جاءت- بناءً على التكوين الجسدي والنفسي والوظيفي لهما؟

3- الإسهام في تحسين أوضاع البناء الاجتماعي في أساساته وتطويره، وتفعيل التوجيهات الإلهية في القرآن الكريم والتي أثبتت جدارتها في ضبط المسائل كلها، والفاعلية فيها، أمام قصور التشريعات الوضعية التي جاء بها البشر وفشلها.

4- الكشف عن بعض العادات التي عكست سلباً على هذه العلاقة تساهلاً من طرفي العلاقة بضوابطها وشروطها وطبيعتها، حتى مآلاتها ونتائجها.

5- رفد المكتبة الإسلامية بدراسة إسلامية قرآنية نفسية، تتناول موضوعاً مهماً حول عناصر مهمة في المجتمع– الرجل والمرأة- ودعم مثل هذه الدراسات التي تبين روعة المنهج القرآني في إصلاح النفوس والسلوكيات الإنسانية وضبط مدخلاتها ومخرجاتها وفق ما جاء به التشريع الكريم.

الدراسات السابقة

بعد بحث طويل حول موضوع دراستي تبين لي أن هذا الموضوع لم يخدم من قبل، حيث إنني وجدت بعض الدراسات الإسلامية عن الرجل والمرأة، لكنها لم تتناول الجانب النفسي لهما سواءً على مستوى الخصائص النفسية أم الآثار الناتجة عن السلوك بينهما فكلها كانت تتحدث عن بعض الأحكام الخاصة بهما بعد الزواج، أو الحديث عن المرأة قبل الإسلام وبعده، عدا أن هناك كثيراً من الكتب تناولت المرأة في الإسلام دون الحديث عن الرجل، فكانت هذه الدراسات لا تعد تكميلية في بنائها إذ لم تتناول الركنين معاً، وسأعرض هذه الدراسات ليتم توضيح الفرق بينها وبين دراستي كالآتي:

1- كتاب(الرجل والمرأة في الإسلام)، الدكتور الحاج محمد مصطفى محمد وصفي:

يتحدث الكاتب عن الفروق الجسمية والعقلية والنفسية بين الرجل والمرأة، ثم يتطرق لما يعتري كلاً منهما من الشذوذ ويخرجه عن تكوينه الطبيعي، ويبين الوسائل التي اتخذها الإسلام لتربية الفرد تربية صحيحة حتى تحميه من الشذوذ.

ثم يتحدث عن الزواج في الإسلام من فرضية النكاح ومسألة العزوبة وترغيب الدين في النسل، وعن كل ما يتعلق بالخطوبة وعقد النكاح، ثم يدرس العلاقة الخاصة بين الزوجين كما جاء بها الإسلام مثل الغيرة والتزين واحترام كل منهما للآخر، ويتناول كذلك العلاقة الحميمية بينهما، وتحسين النسل، ومنع الحمل وأحكامه، والزواج بين الأقارب، والرضاعة.

ويختلف هذا الكتاب عما سأقدمه في دراستي التي تقوم على توضيح أثر كل من الرجل والمرأة على الآخر بشكل نفسي سواءً قبل الزواج أم بعده حسب منهج القرآن بشكل خاص، وبيان الخصائص النفسية لهما، أما هذا الكتاب فهو يتناول العلاقة بين الرجل والمرأة بعد الزواج ويتناول أحكاماً عملية ومادية دون أن يتطرق للناحية النفسية المصاحبة للسلوك، إضافةً إلى عدم الإلمام بكل أبعاد هذه العلاقة.

2- كتاب(الرجل والمرأة في الإسلام) الدكتور علي يوسف علي:

وهنا يتحدث الكاتب عن العلاقة بين الرجل والمرأة دون تحديدها بإطار دراسة معينة، إنما تناول موضوعات متفرقة لها علاقة بالرجل والمرأة، مثل حديثه عن (الزواج- القوامة- الطلاق- تعدد الزواج)، ثم تحدث عن أمور ذات صلة بالمرأة بشكل خاص مثل حديثه عن المرأة قديما وعند الغرب، كذلك تحدث عن طبيعتها وحريتها وعلاقتها ببيتها، لكن في ذلك كله لم يبين أي آثار نفسية لكل من الرجل والمرأة أو تأثير أحدهما على الآخر، أما دراستي فهي تقوم على البحث عما وراء السلوك دون التركيز على مسألة دون غيرها أو التركيز على طرف دون آخر كما فعل أغلب من كتب حول الرجل والمرأة.

3- كتاب (النساء شقائق الرجال)، محمد عمر الحاجي:

يعرض الكتاب لمكانة المرأة قبل الإسلام مثل العهد الفرعوني والبابلي والآشوري وفي العهد اليهودي والنصراني وغيرها من العهود قبل الإسلام، وجمع الآيات التي تتحدث عن النساء في القرآن الكريم، ثم شرع في بيان حقوق المرأة في الإسلام قبل الزواج وبعده، ثم الحديث عن عبودية المرأة ونماذج لها وما لها من مواقف بطولية مثل الحديث عن كرمها وذكائها، وتحدث عنها ممرضة وطبيبة ومستشارة وسياسية، كذلك تناول الحديث عن علمها وأخلاقها، وتناولها في ميدان الشعر والخطابة والتربية كذلك.

والفرق بينها وبين دراستي فرق واضح فهذا الكتاب لا يمت للعلاقات النفسية بينهما وبين الرجل بأي صلة، أو الحديث عن الخصائص النفسية لهما أو آثار سلوك كل منهما على الآخر، لكن اسمه يوهم بوجود علاقة قريبة عن موضوع دراستي.

4- كتاب(الحب الصحيح بين الرجل والمرأة)، محمد كامل حسن:

يتحدث الكاتب عن تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة من ناحية تربوية وأخلاقية، ويعدها أساس مشاكل المجتمع، ويتحدث كذلك عن الحدود الأساسية بينهما، ويتناول الفروق بين المرأة في عهد الإسلام وغيرها من الديانات الأخرى، ثم ينتهي بالحديث عن الحب الصحيح بين الرجل والمرأة.

ويختلف هذا الموضوع عن دراستي، أنه غير شامل لكل ملابسات هذه العلاقة ويتحدث عن الموضوع من ناحية أخلاقية تربوية دون التطرق للناحية النفسية التي تنبني عليها دراستي.

5- رسالة(الخصائص النفسية للمرأة في القرآن الكريم)، هند أمين المحيسن/الجامعة الأردنية(2008):

تحدثت الباحثة عن الخصائص النفسية للمرأة ضمن فصول عدة، وفي كل فصل بعد الحديث عن أحوال المرأة ووظائفها تستخرج الخصائص النفسية لها ضمن تلك الحالة، فتناولت طبيعة خلق المرأة ، ثم المرأة والحياة الزوجية والطلاق، ثم المرأة في مرحلة الأمومة.

أما علاقتها بدراستي فموضوعها مرتبط بمبحث واحد من مباحث رسالتي اختصت به، وهو الخصائص النفسية للمرأة، لكن رسالتي تناولت مواضيع أشمل من ذلك، فقد تحدثت عن الخصائص النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة، والخصائص النفسية للرجل، فدراستي تشمل العنصرين- الرجل والمرأة- والفروق بينهما، إضافة إلى دراسة السلوك والأثر النفسي لهما.

6- رسالة(العلاقة الزوجية في القرآن الكريم)، علي عبد الكريم شهوان/الجامعة الأردنية(2006):

يتناول الباحث مفهوم العلاقة الزوجية وألفاظها ثم أسس بنائها في القرآن الكريم من اختيار الزوجة واختيار الزوج، وتحدث عن نظرة القرآن للزواج وأسس تنظيم الحياة الزوجية، ثم شرع في بيان صفات الزوج الصالح والزوجة الصالحة، وبعدها تناول المشكلات التي تعترض الحياة الزوجية مثل الغيرة والنشوز، ثم انتهى بالحديث عن الشبهات حول هذه العلاقة. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أنها تناولت العلاقة بين الرجل والمرأة بعد الزواج، كذلك لم تعرض لأي دراسة نفسية من خصائص أو آثارٍ سلوكية.

7- كتاب(من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم)، محمد عبد الرحيم عدس:

يتحدث هذا الكتاب عن النفس الإنسانية بشكل عام، ويتحدث عن خصائص النفس عند الإنسان بشكل عام كذلك، ولا يدرس الخصائص النفسية الخاصة للرجل كرجل أو الخصائص النفسية الخاصة للمرأة كإمرأة، وهذا هو الفرق بينه وبين دراستي.

وعلى ذلك لم أجد دراسة سابقة تحدثت عن الموضوع الذي تنبني عليه دراستي، فكلها لم تذكر الخصائص النفسية للرجل والمرأة، وكلها لم تدرس السلوك لكل منهما وأثره النفسي عليهما، وأغلبها كانت دراسة حول الرجل والمرأة في حيز ترتيبات الزواج، والأحكام، والحقوق.

منهج الدراسة

1- المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع، وتصنيفها لاستخراج الأحكام العامة والقواعد الكلية منها.

2- المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك بدراسة الآيات وتحليل معانيها واستنباط القضايا ذات العلاقة بنفسية الرجل والمرأة ووظائفهما، لاستشفاف طريقة القرآن في ضبط هذه العلاقة وتنظيمها ومعرفة خصائصها وآثارها

هيكل الدراسة

المقدمة.

الفصل التمهيدي: تعريف وتأصيل.

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات(العلاقة النفسية-العلاقة الزوجية- الخصائص النفسية).

المبحث الثاني: الاختلافات(الجسدية والعقلية والنفسية) بين الرجل والمرأة وتأثيراتها.

الفصل الأول: الخصائص النفسية للرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول: الخصائص النفسية للرجل.

المبحث الثاني: الخصائص النفسية للمرأة.

المبحث الثالث: الخصائص النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة.

الفصل الثاني: أثر الصفات والسلوكيات لدى الرجل والمراة على نفسية كل منهما.

المبحث الأول: أثر الصفات.

المبحث الثاني: أثر السلوكيات المشتركة بين الرجل والمرأة.

المبحث الثالث: أثر سلوكيات المرأة.

المبحث الرابع: أثر سلوكيات الرجل.

الخاتمة والتوصيات.

ملاحظات عامة:

1- إن طريقة التعامل مع النص القرآني في هذه الدراسة غالباً كانت حسب المدلول العام، والإشارات، ومفهوم المخالفة، والاحتباك وغيرها من الأساليب، لأن هذا ما يخدم الرسالة وليس المعاني المباشرة والظاهرة.

2- هذه الإشارة [ ] تدل على التصرف في الكلام المنقول حرفياً، بمقدار لا يتعدى الجملة.

3- بعض المراجع لا تحتوي أحد عناصر التوثيق، كرقم الطبعة وسنتها، أو مكان النشر.

الفصل التمهيدي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات (العلاقة النفسية - العلاقة الزوجية - الخصائص النفسية)

المبحث الثاني: الاختلافات (الجسدية والعقلية والنفسية) بين الرجل والمرأة وتأثيراتها.

الفصل التمهيدي: تعريف وتأصيل

المبحث الأول:

التعريف بالمصطلحات

(العلاقة النفسية - العلاقة الزوجية - الخصائص النفسية)

في هذا المبحث سأبين معنى المصطلحات المستخدمة في هذا البحث.

أولاً: العلاقة:

من لفظ: (علق) عَلِقَ بالشيءِ عَلَقاً وعَلِقَهُ: نَشِب فيه، وعَلِقَ الشيءَ عَلَقاً وعَلِـقَ بـه عَلاقَـةً وعُلوقاً: لزمه.[1]

ومن معانيه أيضاً:

العلاقة: بفتح العين في المعاني، وبكسر العين في المحسوسات: الارتباط، والأمر المشترك بين الشيئين كالعلية والإضافة.[2]

منها كذلك:

العلاقة بالفتح، علاقة الخصومة والمحبة ونحوهما. وشيءٌ بسببه يستصحب الأول الثاني، كالعلية والتضايف.[3]

---

(1) ابن منظور(ت711هـ)، لسان العرب، دار الحديث - القاهرة، ط(1423-2003)، م6، ص401.
(2) قلعه جي، محمد، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس - بيروت، ط1(1405-1985)، ص319.
(3) الجرجاني، علي بن محمد(ت816هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان - بيروت، ط(1985)، ص192.

وفي المثل: " نَظْرةٌ من ذِي عَلَقٍ " أي: من ذي حُبٍّ قد عَلِقَ بِمَنْ يَهْواه، وعَلِــقَ بهــا عَلَقــا وعَلِقَها عَلَقا وعَلاقَةً وعلاَقيَةً، وتعَلَّقَها وتَعَلَّق بها وعُلِّقَها وعُلِّق بهــا، العَلاَقَــة: الحُــبُّ الــلازِمُ للقَلْب.[1]

وتعتبر العلاقة (التعلق) المرتبة الثانية للحب التي يسبقها الهوى، ويلحقها الكلف - وهو الحب الشديد - ثم العشق، ثم اللوعة، ثم الشَّغَف، ثم الجوى، ثم التَّيْم، ثم التدليه، ثم الهُيوم.[2]

ويستطاع من خلال هذه المعاني التوصل لمعنى عام جامع بينها هو: ارتباط أمرٍ بآخر بحيــث يلتزم أفراد هذا الارتباط بأمر مشترك بينهم هو (الحب أو الخِصام) المتمكن من القلــب ونــشبه فيه.

ثانياً: الخصائص:

من اللفظ: (خصص) خصّه بالشيء يخُــصّه خَــصّاً وخُــصوصاً وخصيــصة وخصيــصة وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه: أَفْرَدَه به دون غيره، ويقال: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لــه إِذا انفرد.[3]

ويقال كذلك: (خصّ) يدل على الفرجة والثلمة، ومن الباب خصصت فلاناً بشيء خصيــصة، وهو القياس، لأنه إذا أفرد واحداً فقد أوقع فرجةً بينه وبين غيره.[4]

---

(1) ابن سيدة، أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت458هــ)، المخصص، دار إحياء التراث العربــي- بيــروت، ط1(1417-1996)، ج1، ص378.

(2) ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت429هــ)، فقه اللغة، المكتبة العصرية- بيروت، ط1(1419-1999)، ص211.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ص111.

(4) ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت395هــ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هــارون، دار الفكــر، ط(1399-1979)، ج2، ص153.

ويشرح هذا اللفظ أبو البقاء حيث يقول: " الخواص اسم جمع الخاصية، ومطلق الخاصية إمـــا أن يكون لها تعلُّق بالاستدلال أو لا يكون، أو تكـــون كاللازمـــة لـــه، والأول هـــو الخـــواص الاستدلالية اللازمة لما هو هو، والمزايا والكيفيات عبارة عـــن الخَـــصوصيات المفيـــدة لتلـــك الخواص".[1] ومعنى كلامه: أن الخاصية تدلنا على ماهية الشيء الملازِمة له.

ومن جملة هذه المعاني نستخلص معنى عاماً جامعاً للخصائص هو: انفراد شخص أو شـــيء عن شخص أو شيء آخر بأمر لا يُشتَرَكُ فيه، من حُكمٍ أو صفة لازمة لماهيَّته، بحيث يُوقع بينه وبين الآخر فُرجةٌ فلا يلتقيان على نفس ذلك الحكم أو تلك الصفة.

<u>ثالثاً: النفسية:</u>

نسبةٌ إلى النَّفْس، ومعناها في اللغة أمران بوجه عام: الأول: الرُّوح، مثل قولك: فلان خرجـــت نفسه أي: روحه، والثاني: عين الشيء وكنهه وجوهره، مثل قولـــك: جـــاء بنفـــسه، أي: بعينـــه وذاته.[2]

ومن المعاني الأخرى المستخدمة للنفس: (العِنْد) وشاهده قولـــه تعـــالى:] n op q r r q po n [s t u v Z المائدة: ١١٦، أي: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، فالنفس هنـــا: الغيـــب، أي:

---

(1) أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت616هـــ)، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، منشورات وزارة الثقافة- دمشق، ط2(1982)، ج2، ص291.

(2) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني(ت1205هـــ)، تاج العروس من جواهر القـــاموس، تحقيـــق عبـــد الحليم الطحاوي، التراث العربي- الكويت، ط(1404-1984)، ج16، ص559.

تعلم غيبي، لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب، ويشهد بصحته قوله في آخر الآيــة:

] x y z { | Z كأنه قال: تعلم غيبي يا علام الغيوب.[1]

ويشير ابن فارس إلى أن أصل كلمة (النفس) شيء واحد يدل على خروج الــنَّفَس (النــسيم) ودخوله، وترجع كل المعاني إليه.[2]

أما المعنى الجامع بين هذه المعاني هو أن النفس: أمر خفيٌّ داخلي يظهــر أثــره ولا تظهــر حقيقته، وهو أمر متحرك متقلب يجري داخلَ البدن ويخرج منه.

وهناك معنى ذكره الفلاسفة وعلماء النفس - وهو الأهم في هذه الدراسة والمقصود منهــا - حيث يشير الأستاذ سميح عاطف الزين إلى أن النفس هي: جوهر روحاني بــسيط، ولا تعتبــر أمراً مادياً، وفي نفس الوقت هي أمر قائم بذاته لا ينحصر في حيِّز معين، وهو لا يتغير بتغيــر الظواهر النفسية ولا يتبدل بتبدلها، واتفق الفلاسفة على أن النفس قوى متعــددة: كقــوة الــذاكرة والإرادة والتخيل وغيرها من العمليات العقلية.[3]

وقد أشار إلى أن النفس متعلقة بالبدن بحيث تقوم على تحريكه وتسييره، وعندما تفارق البــدن فإنها لا تفنى بفنائه، ولا تنحلُّ بانحلاله، بل تنتقل إلى عالَم آخر، وما دامــت فــي البــدن فإنهــا الباعث على حدوث الإحساس والتفكير والعواطف وما إلى ذلك مما يصدر عــن الإنــسان مــن حركات وسكنات.[4]

---

(3) الزبيدي، تاج العروس، ج16، ص561.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص153، بتصرف.

(3) الزين، سميح عاطف، علم النفس(معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة)، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1(1411-1991)، م1، ص11، بتصرف.

(4) سميح عاطف الزين، علم النفس، ص11، بتصرف.

أما علماء النفس فقد أشاروا إلى أن النفس ليست عبارة عن أمر قائم بذاته، إنما هي عبارة عن مجموعة من السلوكيات والعمليات العقلية والشعورية لمعرفة الأسباب التي تدعو الإنسان ليتصرف تصرفاً معيناً بذاته، وإلى الطريقة التي يتصرفون بها، للتنبؤ لما سيكون عليه هذا السلوك مستقبلاً في ضوء التغييرات على المؤثرات التي يتعرض لها.[1]

رابعاً: الزوجية:

من (زوج): والزَّوْجُ خلاف الفَرْدِ يقال زَوْجٌ أَو فَرْدٌ، والزَّوْجُ الفَرْدُ الذي له قَرِينٌ ذكر أو أنثى، والأَصل في الزَّوْجِ الصِّنْفُ والنَّوْعُ من كل شيء، وكلُّ شيئين مقترنين شكلين كانا أَو نقيضين فهما زوجان، وكلُّ واحد منهما زوج.[2]

ويشير ابن فارس إلى أن "الزاي والواو والجيم، أصل يدل دائماً على مقارنة شيء بشيء، ومن ذلك الزوج زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها".[3] وهو يقصد هنا من المقارنة كما يبدو أنه الاقتران وليس المقارنة القائمة على التناقض، بل على العكس لأن التزاوج يدل على ضم كل متشابه إلى بعضه.

ومن ذلك نخلص للمعنى العام الذي أوجزه الدكتور صلاح الخالدي: " معنى (الزوج) يقوم على الاقتران القائم على التماثل والتشابه والتكامل، فحتى يتم الاقتران لابد من وجود صفات بين الطرفين تحقق التماثل والتشابه عند اجتماعهما وتكاملهما واقترانهما.

---

(1) عدس، محمد عبد الرحيم، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، مكتبة المنار - الأردن، ط1(1405-1985)، ص11،9، بتصرف.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ص429.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص35.

وهذا المعنى متحقق في الزوجين الذكر والأنثى، فالله خلق الذكر ميَّالاً للأنثى، طالباً لها، راغباً فيها، والله خلق الأنثى ميالةً للذكر، راغبةً فيه".(1)

وبعد هذا العرض اللغوي لهذه الألفاظ سأقوم ببيان معناها الاصطلاحي مركَّبة مع بعضها بحيث نخرج بالمعاني الأساسية لهذه الدراسة.

أولاً: العلاقة النفسية:

هي الارتباط الشعوري المشترك إيجاباً أو سلباً بين إنسان وآخر، بحيث يتمكن هذا الارتباط الشعوري من القلب ويلازمه، مع تأثره وتقلبه حسب سلوك الإنسان وتصرفاته الناتجة عن العمليات العقلية والشعورية، ضمن متغيرات متطورة من وقت لآخر ومن حالة إلى أخرى.

ثانياً: العلاقة الزوجية:

هي ارتباط الرجل بالمرأة، لوجود أمر مشترك بينهما يقوم على التماثل والتشابه والتكامل، بحيث يلتزمان بهذا الاقتران لوجود ما يلزمهما به، وهي المودة والرحمة وسكونها في قلبيهما للحفاظ على هذا الارتباط بعيداً عن الخصومات والخلافات، والقدرة على معالجتها بطريقة سليمة.

ثالثاً: الخصائص النفسية:

هي انفراد كل من الرجل والمرأة بطبيعة داخلية، يظهر أثرها دون حقيقتها على كل منهما عن طريق السلوك، وتكون هذه الطبيعة ملازمة لحقيقة وجوهر كل منهما على حدة، فيتمايزان عن بعضهما ولا يلتقيان على طبيعة واحدة.

المبحث الثاني

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار - الأردن، ط1(1421-2000)، ص212.

الاختلافات (الجسدية والعقلية والنفسية)

بين الرجل والمرأة وتأثيراتها

يقول الله سبحانه وتعالى:] وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ ´ Z آل عمران: ٣٦، ويقول جل جلاله:] ! "

$ % Z النجم: ٤٥، وقال:] إِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â Z القمر: ٤٩.

فهذه الأخيرة تشير إلى حقيقة علوية صادقة كاملة، هي حقيقة الكون وما حوله من عوالم وأجرام، وما فيه من مخلوقات وأحوال ونظم وارتباطات ووظائف.

فقد قدّر الله لكل شيء مقداره وصفته وخصائصه، وقد ضبط زمانه ومكانه وارتباطه بكل ما يحيط به من الأشياء، ومن بين ذلك ما قدّره الله تعالى في خلق الإنسان من جعله مزدوجاً متكاملاً، فعلى الرغم من وجود اختلاف بين جنسيه -الذكر والأنثى- إلا أن حكمة الله اقتضت أن تجعل من هذا الاختلاف الظاهر بواعث للتقارب والتجاذب والتآلف والتناسق، الأمر الذي يعد أساس بناء الحياة الإنسانية وتنميتها.

وقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى تدبر أمور النفس الإنسانية وما فيها من علوم ودقائق، قال جل جلاله:] r s t u v Z الذاريات: ٢١. فهذه الآية تعد دافعاً للإنسان لكي يبحث ويتأمل في خلق الله تعالى، ويكشف عن جوانبه المتعددة بما فيها الذكر والأنثى.

لقد شاء الله سبحانه أن يخلق الإنسانية من جنسين مختلفين، ليصبحا أداةً للتوالد ووسيلة لتكاثر النسل، فميز كلاً منهما بمميزات خاصة، ومنح كل جنس منهما صفات مغايرة تؤهله لما عليه القيام به نحو المجتمع الإنساني من وظائف مأوكلها الله إليه، وقضت بها حكمته في خلقه، فجعل للرجل معالم ووظائف خاصة يحقق فيها نفسه وما تمليه عليه سنن الكون، ورسم للمرأة المجال الذي يجب أن تسعى فيه وتحقق فيه ذاتها كذلك، ثم أمرهما بالتعاون على تسهيل عقبات الحياة

والتكاليف لتنفيذ سنن الله في خلقه؛ من إعمار واستخلاف، إضافةً للتآزر في أداء الواجبات الإنسانية التي من أجلها وُجِدا في هذا العالم.

فالذكر والأنثى متممان للوحدة الإنسانية، ويكمل كل منهما الآخر، ويسد النقص الموجود في صاحبه، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "النساء شقائق الرجال"(1)، والذكر والأنثى كما عرفهما البعض: "هما نموذجان من الأشخاص يتمايزان نوعياً بالتعاون في سبيل التكاثر ولا يمكن تعريفهما إلا بالترابط"(2)، فالرجل والمرأة يختلف كل منهما عن الآخر بطبيعته الجسدية والعقلية والنفسية، بحيث لا يستطيع أحدهما التعدي على وظيفة الآخر وما أوكل إليه من مهام.

والدين الإسلامي دين فطرة، يتناسب في تشريعاته وتكليفاته بما فطر الله الخلق عليه من الصفات -الجسدية والعقلية والنفسية- مراعياً الفروق بين جنسي التكليف (الرجل والمرأة)، لذلك لا نجد تناقضاً في طبيعة كل جنس مع الآخر، أو مع وظيفته، إلا عندما يحاول كل جنس الانسلاخ من صفات بني جنسه، ومحاولة اكتساب صفات الجنس الآخر، أو التعدي على وظائفه.

وفي هذا المبحث سأقوم بعرض بعض النقاط الجوهرية الاختلافية بين الرجل والمرأة من النواحي السابق ذكرها، والتنبيه على أن الاختلاف في ناحية ما يؤثر على النواحي الأخرى ويجعل بينها مفارقات، خاصة الناحية الجسدية والعقلية اللتين تؤثران على الناحية النفسية بشكل ملحوظ.

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غراس- الكويت، ط1 (1423-2002)، باب الرجل يجد البلل في منامه، م1، ص429.
(2) بوفوار، سيمون دي، الجنس الآخر، الأهلية للنشر والتوزيع- عمّان، ط1 (2008)، ص17.

الفروق الجسدية

وكما سيأتي تفصيله، أن الرجل بطبيعته الجسدية وبنيته العضلية تؤهله للقيام بالوظائف الثقيلة التي تحتاج لمجهود عضلي قوي، وخلقت المرأة بطبيعة جسدية لينة ورقيقة لتتناسب مع وظيفتها التي تحتاج للخفة واللين.

أما الفوارق الجوهرية الجسدية بين الرجل والمرأة فهي:

أولاً: الأعضاء التناسلية والكروموسومات

حيث "يؤكد العلماء أن كل التغييرات الجسمية تحمل طابع الفوارق الناتجة عن الجنس، ويظهر ذلك في البناء الجسمي من خلال العضلات والأنسجة في الوظيفة الفيزيولوجية، وفي التركيب الكيمياحيوي، فكل خلية في جسم الإنسان وكل عضو فيه يحمل صفات مميزة لجنسه عن الآخر".(1)

فالأعضاء التناسلية للرجل تختلف عن أعضاء المرأة التناسلية بما يتناسب مع وظيفة كل منهما، فالرجل يمتلك أداة التخصيب والمرأة تمتلك مكانه، فكان لكل منهما خصائص معينة لهذه الأعضاء المسؤولة عن العملية الجنسية التناسلية التكاثرية.

أما الكروموسومات فقد عرفها البعض بأنها: مادة بروتينية موجودة في نواة الخلية الحية، وتحمل الصفات الوراثية المميزة، وعدد هذه الكروموسومات في جسم الإنسان (46) كروموسوم تكون على شكل أزواج مسؤولة عن تحديد جنس الجنين؛ أهو ذكر أم أنثى، حيث إن الكروموسوم (x) هو الصبغة الجنسية الأنثوية، والكروموسوم (y) هو الصبغة الجنسية الذكرية.(2)

---

(1) كركر، عصمة الدين، المرأة من خلال الآيات القرآنية، الشركة التونسية للتوزيع- تونس، (د.ط)، ص14.
(2) الراشد، صلاح صالح، الفرق بين الجنسين، مركز الراشد- القاهرة، (2002)، ص25، بتصرف.

وأنبه هنا على قضية هي أن بويضة المرأة تحمل دائماً الكروموسوم (X)، أما الرجل فإنه يحمل الكروموسوم (X) والكروموسوم (y)، فإذا حملت نطفته الكروموسوم (X) فإنه سيتحد مع كروموسوم البويضة الذي صبغته (X) دائماً، فيكون الناتج (XX)، فيكون جنس الجنين، أنثى لأنه إذا اتحد كروموسوم (X) مع الكروموسوم (X) كان الجنس أنثى، أما إذا حملت نطفة الرجل الكروموسوم (y) فإنه سيتحد مع البويضة التي تحمل الكروموسوم (X)، فيكون الناتج (Xy)، عندها يكون الجنين ذكراً؛ لأنه إذا اتحد الكروموسوم (X) مع الكروموسوم (y) كان الجنس ذكراً، مما يعني أن الذي يحدد جنس الجنين ذكراً أم أنثى هو الرجل، فالأمر راجع إلى الكروموسوم الذي تحمله نطفته، أما المرأة فهي مستقبلة لها بالكروموسوم الذي لا يخلو جنين منه سواء كان ذكراً أم أنثى وهو الكروموسوم (X)، والدليل أنه لا يوجد جنين يحمل الكروموسوم(yy).(1)

ثانياً: الوزن والطول

إن الذكور يولدون غالباً بوزن يزيد عن الإناث بنسبة 5% ويبقى هذا الفرق إلى سن الحادية عشرة، ثم تنعكس هذه النسبة لتصبح الإناث أكثر وزناً من الذكور بنفس النسبة السابقة، وفي سن العشرين يزيد وزن الذكور على الإناث بنسبة 20%.

أما من حيث الطول فإنه من المعلوم أن الذكور أطول من الإناث، حيث يزيد طول الذكور عند الولادة على الإناث بنسبة 2% إلى سن الحادي عشر، ثم تنعكس نفس النسبة لصالح الإناث إلى سن السابع عشر فيقف الطول عندهن، أما الذكور فيبقى طولهم يزيد إلى سن العشرين، فتزيد نسبة طول الذكور على الإناث إلى 10%.(2)

---

(1) انظر الأبرش، مها عبد الله، الأمومة ومكانتها في الإسلام، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط(1417-1996).

(2) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص14-15، بتصرف.

ثالثاً: العظام والعضلات.

إن عظام الرجل أصلب وأعرض وأكثر احتمالاً من عظام المرأة التي هي أرق وأضعف وأقل صلابة، وهذا أشار إليه مختلف العلماء والأطباء، ويدلنا على هذا قول الرسول **r**: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه فقد كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء"(1)، وعن أنس بن مالك قال: كان للنبي **r** حادٍ يقال له أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي **r**: "رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير" قال قتادة: يعني ضعفة النساء.(2)

فقد شبه الرسول **r** النساء بالأوعية الزجاجية الرقيقة التي يسهل كسرها، وحذر الحادي من وقوع النساء من فوق الإبل مما يؤدي إلى تكسر عظامهن.

ومن ناحية طبية، فعضلات الرجل على وجه العموم أقوى من عضلات المرأة، حيث إن عضلات المرأة تحتوي داخلها سائلاً مائياً أكثر من الرجل فتبدو رخوة، إلى جانب ذلك فإن عضلات المرأة بين الضلوع قليلة النمو ويزيد فيها النسيج الدهني، وتقدر كمية عضلات المرأة بنحو 35.8% من كل جسمها أما الرجل فنسبتها 41.8% من جسمه.(3)

هنا تعلم المرأة معنى قوله تعالى:] ! " # $ % & ') ( ) (' & % $ # " ! * + , - . Z النساء: ٣٤، وهو أن واجب الرجل حمايتها ورعايتها على وجه العموم، وهو المكلف بالواجبات التي تحتاج جهداً عضلياً ثقيلاً، فالقوة العضلية هي مما فضل الله

---

(1) البخاري، محمد بن اسماعيل (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق عز الدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون- دمشق، ط1(1492-2008)، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ص585.
(2) البخاري، صحيح البخاري، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، ص1982.
(3) وصفي، محمد الحاج، الرجل والمرأة في الإسلام، الجفان والجابي- قبرص، ط(1997)، ص23، بتصرف.

بها الرجل على المرأة في مجال الكد والتعب وكسب القوت، والضعف العضلي هو ما فضل الله به المرأة على الرجل في مجال الزوجية والأمومة اللتين تحتاجان للرقة والنعومة في التعامل معهما.

رابعاً: الجِلْد والشعر والحنجرة.

إن جلد المرأة كما هو ظاهر أنعم وأرق من جلد الرجل الذي يوصف بالسُّمك والخشونة، فجلد المرأة أكثر حساسية بعشر مرات من جلد الرجل، حيث يكون جلد الأنثى رقيقاً ومغطى بطبقة دهنية إضافية توضع تحت سطحه وتعطي دفئاً في الشتاء، فتجعل المرأة أكثر مقاومة للبرد من الرجل، أما الرجل فهو على العكس من ذلك فجلده السميك والخشن يفقد حساسيته بعد سن المراهقة بشكل عام، وتتركز حساسيته في مجال معين بحيث يتناسب مع الهدف الرئيس، وهو وظيفة الرجل المسؤول عن حماية المرأة والصيد والقتال والمشي عبر الأشواك والأشجار في مجال الزراعة مثلاً، وغيرها من الأمور، بحيث يساعده جلده القاسي لكي لا تؤثر عليه الجروح التي قد يتعرض لها أثناء عمله كثيراً، فلا يعيقه ذلك عن أداء ما هو موكل إليه القيام به.[1]

والمرأة ذات الجلد الرقيق الحساس يتناسب ذلك مع وظيفتها كزوجة وأم كما أشرت سابقاً، حيث إن جلدها الرقيق يساعدها كثيراً في العملية الجنسية، لأنها تحتاج لوقت أطول من الرجل للوصول للذروة الجنسية، فكان جلدها ذو الحساسية العالية تجاه اللمس مساعداً لها لتتماشى مع سرعة الرجل في الوصول للذروة وقت الجماع، إضافةً إلى أن جلدها الرقيق الناعم هو أحد

(1) بيز، آلان، معارك قيس وليلى، ترجمة غزوان الزركلي، دار كنعان- دمشق، ط1(2005)، ص51-52، بتصرف.

الأمور التي يستمتع بها الرجل من المرأة من خلال لمسه لها أو لمسها له، فيشعر بأنوثتها أمامه وبرجولته أمامها.

أما من ناحية الأمومة، فكلنا يعلم أن الأطفال منذ الولادة يعتمدون في تواصلهم مع أمهاتهم على اللمس، ومع وجود هذه الرقة الجلدية تشعر الأم بحاجة طفلها لها، وتبادله الإحساس بالعاطفة وتشعره بالحنان اللازم له، إضافةً إلى ذلك أن بنية الطفل الضعيفة تحتاج لرقة في التعامل معها وفي تدبير أموره ورعايته بلطف، ويساعدها على ذلك نعومة جلدها وحساسيته أثناء لمسها طفلها وإمساكها له، فهي المسؤولة عن إطعامه وتغسيله وتغيير ملابسه وغير ذلك من أمور الأمومة.

ومن ناحية الشعر فإن الشعر الذي ينبت على جلد الرجل أطول وأكثف مما هو عند المرأة، ويزيد طوله في مناطق كثيرة من جسمه خاصة الذقن والصدر والشارب، وشعر رأس المرأة أطول كذلك من شعر رأس الرجل.(1)

أما الحنجرة فهي عند المرأة أصغر من حنجرة الرجل وأقل تصلباً، ثم إننا نلاحظ جزءاً بارزاً في مقدمة رقبة الرجل يسمى "تفاحة آدم" يعد من عظام الحنجرة، أما المرأة فإن الجزء البارز في رقبتها من الأمام يرجع إلى بروز الغدة الدرقية بشكل غير بارز يضفي على رقبتها منظراً جميلاً.(2)

إذاً هذا التركيب الفيزيولوجي في الحنجرة هو المسؤول عن اختلاف صوت الرجل الذي يتصف بالخشونة عن صوت المرأة الذي يتصف بالنعومة، وهذا كي يعطي كل جنس خصائص صبغته الجنسية (الذكورة والأنوثة).

---

(1) محمد الحاج وصفي، الرجل والمرأة في الإسلام، ص24، بتصرف.

(2) محمد الحاج وصفي، الرجل والمرأة في الإسلام، ص28، بتصرف.

خامساً: الوظائف العضوية.

وقبل أن أتحدث عن الوظائف العضوية لابد أن أشير إلى موضوع له صلة كبيرة بهذه الوظائف وهو"الهرمونات"، حيث تختلف هرمونات الرجل عن هرمونات المرأة، وتؤثر هذه الهرمونات في وظائف الجسم ومظاهره وصفاته.

أما هرمونات المرأة فهي"الأستروجين" و"البروجسترون" هرمون الحمل، أما هرمونات الرجل فتعرف هرموناته بـ"الأندروجينات" وأهمها "التستسترون" وهذه الهرمونات هي المسؤولة عن تحديد صفات الرجولة والأنوثة، مثل نعومة الصوت وخشونته، وتوزيع الشعر في الجسم وكثافته، إضافةً إلى بعض الوظائف العضوية مثل الدورة الشهرية لدى المرأة.(1)

وكيمياء هذه الهرمونات، أن الهرمون الأنثوي "الأستروجين" يعطي المرأة الشعور بالراحة والرضى بشكل عام، لكي يساعدها في تأديتها لوظيفة "راعية العش"، وهذا الهرمون يقوي الذاكرة عند النساء، وهذا يفسر ضعف الذاكرة لهن بعد بلوغ سن اليأس، أما الهرمون الثاني "البروجسترون" فهو المسؤول عن مشاعر الأمومة لدى المرأة، والعجيب أن هذا الهرمون يفرز لدى المرأة نسباً في جسمها مثل نسب حجم الرضيع نفسها عند رؤيته أو ملامسته.

أما الهرمون الذكري، فإن "التستسترون" هو الدافع للرجل ليقوم بمهمة الحفاظ على الجنس البشري والدفاع عنه، وهو المسؤول عن نمو الشعر وتساقطه، وعن غلاظة الصوت وحسن القدرة البصرية، إضافةً إلى أن هذا الهرمون هو المسؤول عن درجة العنف عند الذكور، ويقل هذا الهرمون بين عمر الخمسين والستين فيكون الذكور أقل عدوانية وأكثر اجتماعية، أما

---

(1) صلاح الراشد، الفرق بين الجنسين، ص37، بتصرف.

هرمون الأنثى "الأستروجين" فينخفض بعد سن اليأس وتصبح المرأة أكثر عرضة للضغط النفسي.[1]

وسأبدأ الآن بالحديث عن الوظائف العضوية التي تختلف اختلافاً واضحاً ظاهراً بين الرجل والمرأة تبعاً لكل جنس وتشريحه الجسدي، وما يهم في هذه الجزئية أن أعرض الوظائف العضوية للمرأة، لأنها لا توجد عند الرجل أصلاً، وهي: الحيض، الحمل، الولادة، النفاس، الرضاعة.

الحيض: وهو من العلامات الخاصة بالمرأة، ويبدأ معها من سن البلوغ إلى سن اليأس، بحيث يعتريها الحيض كل شهر ولمدة زمنية معينة تختلف من أنثى لأخرى، ومكانه الرحم الذي تختص به المرأة عن الرجل كذلك.

"ويمثل الحيض أحد أهم الفروق المهمة والجذرية بين الذكر والأنثى، وهو عبارة عن إفراز دوري لدم ممزوج بالمخاط وخلايا بالية تساقطت من الغشاء المخاطي المبطن للرحم".[2]

أما سبب الحيض فهو الإنباء عن وصول المرأة لمرحلة الخصوبة، حيث يمر جسم المرأة بدورة شهرية في رحمها ومبايضها وأثدائها وجهازها التناسلي حسب تغيير الهرمونات في الجسم زيادةً أو نقصاناً، بحيث تعيد هذه العملية التوازن لهرمونات الجسم.

ووجد العلماء أن سبب الحيض أن الرحم يمر بثلاث مراحل:

أولها: مرحلة النمو، فينمو الغشاء المبطن للرحم ضعف حجمه العادي بخمس مرات، بسبب هرمون تفرزه "حويصلة غراف" بالمبيضين وهو "الأستروجين" وهو هرمون الأنوثة.

---

(1) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص194-201، بتصرف.

(2) النيال، مايسة أحمد، في سيكولوجية المرأة، دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية، (2002)، ص21.

ثانيها: ينمو الرحم ثمانية أضعاف حجمه العادي، وتنمو الخلايا ويزداد عـــددها بـــين الغـــدد، والسبب في هذا النمو هو إفراز هرمون "البروجسترون" وهو هرمون الحمـــل مـــن "حويـــصلة غراف" بعد إخراج البويضة منها إلى قناة الرحم استعداداً لتلقيح الحيوان المنوي.

ثالثها: إن لم يكن هناك حيوان منوي - لعدم زواج أو لاستخدام موانع الحمل أو لعـــدم إرادة الله تعالى لذلك - فإن الذي يحصل هنا هو الطمث، حيث يقل هرمون "البروجسترون" عندما يعلم المبيض أن لا حمل هناك فيتوقف عن إفراز هرمون الحمل، فإذا قل هذا الهرمـــون فـــي الـــدم انقبضت الأوعية الدموية، فيذوي الغشاء ويتفتت ما تحته من أوعية دموية، ويخرج منهـــا الـــدم المحتقن أسود أكمد وهو دم الحيض، على شكل قطع من الغشاء المبطن للرحم، ويتجلط الدم في الرحم، ثم تسلط عليه مواد مذيبة بواسطة خميرة أنزيم يدعى "مذيب الليفين"، ويمتد نـــزول هـــذا الدم عدة أيام يختلف عددها من امرأة إلى أخرى.[1]

أما من حيث تأثير هذا الحيض على نفسية المرأة، فإنه يعد أياماً قاتمة في حياة المرأة، فبـــين حوالي اليوم (21-28) من بداية الدورة الشهرية والتي تبدأ من أول الحيض إلى الحيض التـــالي ينخفض مستوى الهرمون الأنثوي بشكل حادّ وتبدأ أعراض الدورة الـــشهرية بـــالظهور، وهنـــا تصاب المرأة غالباً بالإحباط والحزن والاكتئاب.[2]

وقد يرتبط بظهور الحيض كل العوامل النفسية الكامنة في شخصية الفتاة من غضب وخجـــل وهبوط نفسي، والحدث الفسيولوجي يؤثر في سيكولوجية المرأة بشكل كبير.[3]

---

(1) البار، محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقـــرآن، الـــدار الـــسعودية للنـــشر والتوزيـــع- الريـــاض، ط5(1404-1984)، ص91-94، بتصرف.

(2) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص198، بتصرف.

(3) حسن، عبد المنعم سيد، طبيعة المرأة في الكتاب والسنة، مكتبة النهضة المصرية- القـــاهرة، ط1(1985)، ص73-74، بتصرف.

ولأجل هذا التأثير النفسي للحيض نجد حكمة الشرع في عدم إيقاع الطلاق في فتـــرة حـــيض المرأة، لأنها تكون غالباً في مستوى أقل من العقل والفكر والنفسية من الأيام العادية، فلا تُحسب عليها تصرفاتها لأنها بغير وعي تام أو إدراك، لسرعة انفعالها واضطرابها فـــي هـــذه الفتـــرة، خاصة أنها تتعرض لبعض الآلام الجسدية مما يضيق عليها خُلُقَها ويقلل مدى احتمالها وصبرها.

ولعل القرآن الكريم يخبرنا عن هذا في أوجز لفظ وآدبه حيث قال: [p q r t u v w x y z | } ~ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ Z البقرة: ٢٢٢، فهو أذى للمرأة من النواحي التي ذكرناها- الآلام الجسدية والنفسية المصاحبة للحيض- ومن ناحية أخرى فهو أذى لصحتها وصحة الرجل إذا ما حصل بينهما جماع، وقد قرر ذلك الأطباء ذوو الاختصاص.(1)

الحمل والولادة: عند التقاء الحيوان المنوي الذكري بالبويضة الأنثوية داخل الـــرحم تحـــدث عملية التلقيح والإخصاب، ويبدأ الحمل وتبدأ مراحل نمو الجنين من النطفة إلى العلقة فالمـــضغة فالعظام فيكسوها اللحم، إلى آخر ذلك من تكون الحواس ومعالم الوجه والجسم.

ويقوم الجنين بامتصاص الغذاء من دم أمه من كافة العناصـــر التـــي يحتاجهـــا، وبالكميـــة المطلوبة لديه ولو على حساب الأم وتغذيتها، فهو لا يعرف إلا أنه يريد أن يتكون ويخرج للحياة إنساناً كامل النمو، وأثناء ذلك فإن جسم الأم يتأثر كثيراً بوجود الجنين، فتنتابهـــا توعكـــات فـــي جهازها الهضمي من اضطراب ووحم، وتسارع ضربات القلب وبذلـــه مجهـــوداً كبيـــراً، لأنـــه مطالب بضخ كمية مضاعفة من الدماء تكفي الأم وجنينها، أما الجهاز التنفسي فإنها تعـــاني مـــن ضيق في التنفس كلما زاد حجم الجنين لأنه يضغط على أجزائها كلها، ويؤثر الجنين كذلك علـــى

(1) ينظر: كتاب خلق الإنسان، محمد البار، ص101.

قوة عظامها لأنه يمتص الكالسيوم الذي تتغذى به الأم، وقد يحــصل للمــرأة الحامــل بعــض الأمراض المزمنة كالسكري والضغط وأمراض الكلى وغيرها.[1]

وهذا بدوره يؤثر على نفسية المرأة الحامل كونها تتعرض لآلام جسدية تعكس آلاماً نفسية، فهي في هذه المرحلة تصاب بالقلق والخوف من مصاعب الحمل والولادة التي قد تتعرض لها هي أو جنينها، حتى إن هناك بعض النساء يصبن بما يعرف بــ"كآبة الحمل" لتغير وظائفها الجسمية ومظهرها الخارجي، وفي هذه الفترة تحتاج المرأة لغيرها ليقف معها ويكون داعماً لها، خاصة زوجها، لأن الأمر الذي تعاني منه يهمهما شخصياً بالدرجة الأولى، فلابد من الاهتمام بها خاصة في الشهور الأخيرة، لأنها في حالة تعب كبيرة، جسدياً ونفسياً، لأنه قد يتطرق إلى نفسها أن هناك احتمالاً لمفارقتها الحياة في لحظة من لحظات ولادتها الصعبة، إلا إنْ رحمها الله ويسَّر لها السلامة بعد تعرضها لآلام المخاض والطلق، فقد وصف الله تعالى هذه المرحلة في حياة المرأة فقال: "] I J K L M N O P Z لقمان: ١٤، وقال سبحانه:] & ' ( ) * + , - . / Z الأحقاف: ١٥، وقال تعالى في وصف والولادة:] ´ µ ¶ ¸ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ! " # $ Z مريم: ٢٣ – ٢٦.

وحين تنتهي مدة الحمل فإن الجنين يتخذ وضعه الطبيعي لنزوله من رحم أمه، حيث يــصبح رأسه للأسفل جهة فتحة الرحم وساقاه للأعلى منقبضاً على نفسه، ولتسهيل عملية الولادة، فــإن

(1) ينظر: كتاب خلق الإنسان، محمد البار، ص450.

الأطباء ومن قبلهم القرآن الكريم ينصحون المرأة الحامل التي على وشك الولادة بتناول الرطــب والتمر لأنه ينشط انقباضات الرحم المهمة في تسهيل خروج الجنين من الــرحم دون التعــرض لاختناقه أو إيذاء الأم، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قصة مريم عليها السلام في الآيــات السابقة.

يقول الكتور محمد البار: "ولقد أثبتت العلوم الحديثة أن للرطب خاصة فوائد عديدة في حالــة المخاض، منها: أن الرطب تحتوي على مادة مقبضة للرحم فتنقبض العــضلات الرحميــة بعــد الولادة، فيمنع النزيف ويكون دم النفاس قليلاً".(1)

إذاً في ظل هذه الآلام والمخاوف قبل الولادة وأثنائها وبعدها، لابد من مراعاة الجانب النفسي للمرأة، حتى إن القرآن الكريم نبه لهذه القضية في قوله تعالى:] فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ! " # $ Z، فقد وجه الله تعالى مريم عليها السلام إلى أن تطمئن وتهدأ نفسها تطييباً لمشاعرها لما أصابها من الحزن نتيجة آلام المخاض، فالله تعالى خلق الخلق ويعلم ما في نفوسهم وما يتعرضون له، فتوجه الله سبحانه وتعالى بهذه المواساة ليعلم الناس أن هذا الأمر مطلوب منهم في معاملتهم مع المرأة الحامل والولود.

النفاس: هو الفترة التي تلي الولادة مباشرةً، حيث يتم إفراز ما في الرحم من بقايا الدم ويعود الرحم والجهاز التناسلي لطبيعته الأولى وحجمه الطبيعي، لأن الرحم يتضخم ثمانيــة أضــعاف حجمه الأصلي ليتسع للجنين ويحافظ عليه، فبعد هذا التضخم لابد من عودته إلى ما كان عليــه بالتدريج في فترة النفاس التي تمتد إلى أربعين يوماً.

---

(1) محمد علي البار، خلق الإنسان، ص458.

وفي فترة النفاس ينصح الأطباء الأمهات أن تكون لها فترة راحة - نفسياً وجسدياً وفكرياً - ليساعدها ذلك على التخلص من مشاق الحمل والولادة، ولكي تستطيع العناية بطفلها الرضيع الذي يحتاج جهداً خاصاً به غير قليل، ولكي يعود جسم الأم في هذه الفترة إلى حالته الطبيعية، فعليها التزام الراحة، لأنها معرضة لأن تصاب بأمراض قد تكون خطيرة على حياتها، مثل حمى النفاس وحصول الالتهابات الجرثومية، وليس معنى ذلك أن لا تتحرك الأم أبداً، بل عليها أن تقوم بالمشي قليلاً والقيام ببعض الأمور الخفيفة لكي يساعدها ذلك على تحريك الدم في جسمها وتنشيط دورتها الدموية، ولا ننسى أنها بحاجة للرعاية النفسية والجسدية في هذه الفترة لتستعيد عافيتها ومعنويتها، ولقد قال الله عز وجل:] وَعَاشِرُوهُنَّ Z النساء: ١٩، وصدق رسوله الكريم **r** عندما عبَّر عن ذلك في أوجز لفظ فقال: "استوصوا بالنساء".[1]

الرضاعة: تعتبر الرضاعة من أهم الأمور المتصلة بالحمل والولادة، والتابعة لها، حيث تبذل الأم مجهوداً كبيراً في هذه الوظيفة العضوية التي امتازت بها كسابقاتها عن الرجل، ففيها يتم امتصاص الغذاء من دم الأم وتحويله إلى لبن خالص نقي يتغذى به الطفل طوال هذه الفترة، وهو الذي يعتمد عليه في درجة قوة جسم الطفل ومناعته وبناء أجهزته الداخلية.

ويرى الدكتور كريم الأغر أن الرضاعة تعتبر متممة للحضانة الرحمية، لأن لها علاقة وثيقة بعلم الوراثة الذي من شأنه أن يؤثر في التكوين الإنساني، ولها ارتباط كذلك بالنمو الجسمي، وهي امتداد طبيعي لتخلق المخلوق، حيث إن لبن الأم يعد من أكمل الأغذية من الناحية البيولوجية، فلا يوجد طعام له قيمة غذائية توازي القيمة الغذائية الموجودة في لبن الأم، لأنه

(1) سبق تخريجه ص21.

يحتوي على العناصر الغذائية الأساسية من كربوهيدرات وأملاح معدنية وبروتينات وفيتامينـــات ودهون ومياه، وكلها ضرورية لبناء الجسم وتطوره.[1]

وهناك فوائد كثيرة للرضاعة لا مجال لذكرها هنا، فيستطيع القارئ التوسع في الموضوع في الكتب ذات الاختصاص، لكن كل هذه الفوائد تنبئ عن مدى عظمة هذه المهمة للأم في إمـــدادها للطفل بالطاقة والصحة الجسمية والعقلية حتى النفسية، لأنها تشعر الأم والطفل بالأمـــان حيـــث يتواصل الطفل مع أمه من خلال اللمس أكثر من الحواس الأخرى، وتنبئ هذه الفوائد كذلك عـــن مدى رحمة الله تعالى في خلقه، فيسوق الرزق لهذا الإنسان الذي لا حول له ولا قوة منذ كونـــه نطفة إلى تكوينه إنساناً كاملاً إلى مماته.

وإذا لاحظنا النصوص الواردة في موضوع الرضاعة وجدناها تحدد هذه المدة بالسنتين، يقول تعالى:] z { | } ~ ﮯ Z البقـــرة: ٢٣٣، ويقول:] I J K L M N O P Z لقمان: ١٤، ويقـــول:] & ' ( ) * , - . / ا Z الأحقاف: ١٥، فمن ناحية طبية وجد أن الجهاز الهـــضمي للرضـــيع يكتمـــل نمـــوه تدريجياً حتى نهاية العامين، ويمكن للطفل بعدها أن يعتمد في غذائه على المصادر غير الإنسانية بدون أي خطر على صحته، أما إذا تناول الرضيع لبناً صناعياً أو بقرياً قبل انتهاء هـــذه المـــدة فهو معرض لأن يصاب بالسكري أو الحساسية.[2]

فالمرأة تحتاج لبذل مجهود كبير في هذه المهمة، فيجب مراعاتها والاهتمام بهـــا، لأن التعـــب الجسدي لابد أن يلحقه التوتر وحدة الانفعال، لعدم أخذ القسط الكافي من الراحـــة، حتـــى عنـــد

---

(1) الأغر، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحـــام، دار المعرفـــة- بيـــروت، ط1(1425-2005)، ص432، بتصرف.

(1) كريم الأغر، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص461، بتصرف.

الفصال فإن الأم تحزن لعدم إرضاع ولدها، فقد اعتادت على هذا التواصل بهذه الطريقة، ففطامه يؤثر على نفسيتها بفطرة الأمومة ومستلزماتها.

الفروق العقلية

تعد من الفروق الجوهرية بين الرجل والمرأة، والتي أعطت كل جنس خصائــصه ووظائفــه المعينة، فلها آثار عميقة وبعيدة المدى.

ولهذه الفروق العقلية بين الرجل والمرأة حكمة ظاهرة، وهي أنه لو كان عقل الرجل وعقــل المرأة متشابهين في آلية التفكير وطريقته لما استطاع أحدهما أن يكمل الآخر، لأنهما سيتنافــسان معاً جنباً إلى جنب في كل المجالات، مما يعيق الاتفاق بينهما، وينشأ الخــصام الفكــري الــذي سيؤثر حتماً على سلوك كل منهما.

لابد إذاً من وجود عقلين مختلفين حتى يتولى كل من الرجل والمرأة أدواره في الحياة يــسعى لتدبيرها بنجاح ووفاق دون التعدي على الطرف الآخر ومخاصمته في مجاله.

فإذا بدأت عرض هذا الموضوع من حيث أصل الخِلْقة، وجدنا أن العلماء والأطباء توصــلوا إلى نتائج مهمة في هذا المجال، وهي أن هناك فرقاً بين حجم ووزن وطريقة تقسيم الأعــصاب في دماغ الرجل ودماغ المرأة.

يشير الدكتور محمد الحاج إلى أن حجم جمجمة الرجل أكبر من حجم جمجمة المــرأة وأثقــل وزناً منها، حيث يقل حجم جمجمة المرأة بنحو العشر ويتبع ذلك فراغ الجمجمة، وترجــع خفــة وزن جمجمة المرأة إلى كون العظام المسطحة في الجمجمة رقيقة جداً في وسطها، وعلى وجــه العموم وجه جمجمة المرأة يشبه وجوه الأطفال، وسبب ذلك أن نشاط المخ عند الرجال يستدعي

نشاط عضلات الوجه للتعبير عما يدور في المخ من أفكار، لذلك تظهر ارتفاعات بارزة على سطح جمجمة الرجل عند اتصال العضلات بعظام الوجه أكثر مما تظهر على جمجمة المرأة.(1)

إذاً هناك اختلاف بين دماغ الرجل ودماغ المرأة، ووجدنا أن هذا الاختلاف قد يكون في حجم ووزن الدماغ ومواصفاته، فيعطي اختلافاً في طريقة التفكير وسير عمل العقل، ومن المعروف أن اختلاف المظاهر يعني اختلافاً في الجواهر.

ومن ناحية أخرى توصل بعض الباحثين في فحوصات الدماغ إلى نتائج تؤكد أن هناك اختلافاً بين دماغ الرجل ودماغ المرأة هو المسؤول عن الخلافات التي تقع بين الرجال والنساء، فقد برهن العالم الدنماركي"بيرته باكين برغ" من كوبنهاغن على أن الرجل يمتلك أربعة مليارات خلية عصبية إضافية عن المرأة، ورغم ذلك فإن المرأة تتفوق على الرجل بما يخص الدماغ العام بنسبة 3%، ويؤكد أنه رغم صغر مخ المرأة إلا أن ذلك لا يؤثر على وظائفه.(2)

وقد اعتقد بعض الباحثين من زاوية أخرى أن اختلاف سلوك الأولاد عن البنات راجع إلى البيئة الاجتماعية والتربية والمدرسة، حيث يرون أنه يجب على الولد أن يكون مقداماً كثير الحركة، بل ويُقبَل منه أي تصرف عدواني، بينما على الفتاة أن تكون هادئة ولطيفة ورقيقة، لكن الأبحاث العلمية أثبتت أن الاختلاف بين الجنسين ليس عائداً فحسب إلى النشأة والتربية، بل أيضاً لاختلاف التركيب البيولوجي، واختلاف تكوين المخ لدى الأولاد عن البنات.(3)

والفروق العقلية بين الرجل والمرأة كثيرة جداً بحيث تنعكس على الحواس والسلوكيات التي سأشير إلى بعضها لاحقاً، لكن ما يهم الآن هو الفروق الجوهرية بينهما والتي يترتب عليها اختلاف وظائفهما في الحياة.

---

(1) محمد الحاج، الرجل والمرأة في الإسلام، ص19، بتصرف.

(2) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص63-64، بتصرف.

(3) مها الأبرش، الأمومة ومكانتها في الإسلام، ج1، ص221-222، بتصرف

ومن أهم هذه الأمور: أن دماغ الرجل مقسم ومنفصل كل قسم عن الآخر في مجال الوظائف، أما دماغ المرأة فمتشابك مترابط بحيث تستطيع المرأة القيام بعدة وظائف معاً، أما الرجل فلا يستطيع إلا أداء عمل واحد في وقت واحد.

وهذا ما شرحه الكاتب والمحاضر "مارك جونجر"، حيث شبه عقل الرجل بالصناديق المحكمة الإغلاق، فإذا أراد الرجل أن يفعل شيئاً ما فإنه يذهب لصندوق ذلك الشيء ويفتحه ويغلق الصندوق السابق، لذا يلاحظ على الرجل أنه أثناء عمله لا ينشغل كثيراً بما تقوله له زوجته أو ما تطلبه، فتقع الخلافات الزوجية بسبب اعتقاد الزوجة أن زوجها يتجاهلها ويتجاهل ما تطلبه منه لعدم اهتمامه بها، لكن إن عرفت المرأة آلية عمل عقل الرجل وطريقة استيعابه لما يجري حوله من أمور فإنها ستعلم أن زوجها لم يكن متجاهلاً لها أو غير مكترث لأمرها، إنما كل ما في الأمر أنه لم يكن يعمل في صندوق الكلام مع أحد أو الإصغاء إليه.

أما المرأة فهي على العكس من ذلك، فدماغها مكون من مجموعة من النقاط الشبكية المتصلة معاً جميع الوقت والنشطة دائماً، فيمكنها ذلك من أداء أكثر من مهمة في وقت واحد، والانتقال من حالة إلى أخرى بسرعة ودقة دون خسائر كبيرة.[1]

فإذا أردنا مناقشة هذا القول فلعلنا نلاحظ أن هذه التقسيمة متناسبة مع وظيفة كل من الرجل والمرأة، أما الرجل فهو مطالب بالعمل وكسب القوت والجد بما يقوم به، وهذا يتطلب التركيز والجدة، فأعمال كالحكم والقضاء والإصلاح والشهادات تتطلب الإنصاف والعدل، فإن كان عقل الرجل كعقل المرأة متشابكاً فإن ذلك قد يجعله مشوشاً وتختلط عليه الأمور، لأنه لابد لمن كان عقله متشابكاً أن يفكر في أكثر من أمر في نفس الوقت، فقد لا ينصف أو يتسبب بظلم أحد.

---

(1) جونجر، مارك، الفرق بين عمل مخ الرجل ومخ المرأة، www.youtube.com/watch?v=Gumz73mt5zm

أما المرأة التي وظيفتها رعاية البيت والأولاد والزوج حتى العمل خارج المنزل وتوفير كل ما يحتاجه أهل ذلك البيت، فهي وظيفة تحتاج لمن يستطيع القيام بأكثر من أمر واحد في وقت واحد، فهي مضطرة في نفس الوقت أن تحضر الطعام وترضع طفلها وتعلم أولادها وتنظف المنزل وتستعد للقاء زوجها والقيام على راحته، كل ذلك في نفس الوقت، إذاً وظيفة الزوجية والأمومة ورعاية المنزل كلها تتطلب تدبيراً سريعاً تقدر عليه المرأة التي يمكنها عقلها من الانتقال من حالة إلى أخرى بسرعة وسلاسة دون ارتباك، فسبحان من قدر للخلق أقدارهم.

ومن هنا ننطلق إلى أن القوى العقلية المتاحة للرجل والمرأة متساوية تماماً حسب وظيفة كل منهما، فما يقدر عليه عقل الرجل ولا تقدر عليه المرأة في مجال معين، فإن عقل الرجل لا يقدر على أمور يقدر عليها عقل المرأة في مجال آخر، فلذكاء الرجل مميزات خاصة به يتفوق بها، ولذكاء المرأة مميزات خاصة به تتفوق بها كذلك، لأنهما على قدر واحد من التكريم العقلي للإنسان الذي يتميز به الرجل والمرأة على حد سواء على سائر الكائنات الحية دون تفريق أو تفضيل.

"وقد أثبتت الدراسات أنه قلما توجد بين البنين والبنات فروق ذات شأن في مجال المواهب العقلية، وأن نتائج الاختبارات الدقيقة المضبوطة بالأرقام على الفريقين تكاد تكون متساوية، لكن يوصف ذكاء المرأة على وجه العموم بكونه "وثّاباً" فهو قليل التأمل سريع الوصول إلى النتائج، فلدى المرأة فطنة بديهية وحذاقة فطرية تقترحان النتائج بسرعة ويقين معاً، على أن هذه القدرة العجيبة تصدر عن القلب، حيث يمكن إدخال أي شيء إلى عقل المرأة عن طريق عواطفها، وهذه حقيقة يجدر التأمل والاعتبار بها، فلا ريب أن قلب المرأة يزيدها فطنة وذكاءً، وهذه الميزة هي نفسها موطن الضعف في ذكاء المرأة [في بعض المجالات]، فالعاطفة بطبيعتها تحول دون صفاء الذهن وانصافه فتدفع العقل إلى الحكم من غير تأمل وتمحيص، وإنه من الصعب على

أصحاب النفوس الحساسة أن يلازموا طريق العدل والـصواب، فليـست أفكـارهم إلا ظـلالاً لعواطفهم، وحاصل القول أن الذي ينقص ذكاء النساء على العموم إنمـا هـو الركـون للواقـع والاعتماد عليه".(1)

فيستنتج من هذا القول أن ميزة ذكاء الرجل فصله بين الأمور وعدم خلطها، فيستطيع التركيز والتأمل بشكل أكبر، لكن يعد ذلك نفسه موطن الضعف في ذكاء الرجل من ناحية أخـرى هـي عدم قدرته على الإنجاز بالتتابع وأداء أكثر من أمر في وقت واحد، وعدم قدرته على الإسـراع في الانتقال بين الأمور، مما يجعله مرتبكاً أثناء وجود ضغط عملي عليه.

ومن ناحية شرعية يقول الله تبارك وتعالى:] ! " # $ % & '

( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5

6 Z النساء: ٣٤، فحدد هنا وظيفة الرجل ووظيفة المرأة، فالرجل قائم على أمر المرأة وحمايتها ورعايتها وتوفير احتياجاتها، لأنه الأنسب لهذه المهمة، لما فضل الله به الرجل على المرأة من هذه الناحية وهي مقدرته العقلية على تولي هذه المهمة التي تحتاج للإدراك والتعليل والتحكيم بروية، ونحن نعلم أن المرأة لا تستطيع إدراك الأمور من زاوية منصفة كالرجل بسبب طبيعة عقلها المتشابك والمتسرع في الوصول للنتائج من جهة، وبسبب عاطفتها من جهة أخرى، وبسبب ما تتعرض له المرأة من أمور عضوية تمنعها من القيام بهذا الأمر من حيض وحمل وولادة ونفاس وغير ذلك من أمور أشرت لها مسبقاً، فالمرأة عندما تتعرض لموقف ما هي والرجل فإن الفرق بين إدراك الرجل وإدراك المرأة يبدو واضحاً، لأن الرجل يتطلع إدراكه للوصول للفكرة والجوهر، أما المرأة فيتطلع إدراكها للأشخاص والمظهر، وليس المقصود أن

(1) عبده، سمير، العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة، مكتبة المعارف- بيروت، (د.ط)، ص17-18.

المرأة لا تدرك الفكرة، إنما المقصود أن إدراكها للأشخاص وظاهر الأمر يسبق إدراك الحقيقة والجوهر، فيشتت لها أفكارها بسبب انشغالها بظواهر الأمر وأشخاصه، فتبتعد عن التركيز والتعليل، وكذا يقال في الرجل من أن إدراكه للحقائق يسبق إدراكه للأشخاص والمظاهر، فيستطيع التركيز والتعليل والحكم.

ونحن نعلم أن هناك أموراً في الحياة تتطلب التحكيم والإدراك السريع للموقف لإصلاح الخلل وعدم تفويت المصلحة، فالأنسب والأقدر على ذلك هو الرجل، أمـــا المـــرأة صـــاحبة العاطفـــة الحساسة والانفعالات السريعة فلا تقدر على ذلك، إنما تقدر على ما لا يقدر عليه الرجـــل فـــي وظيفة الزوجية والأمومة التي أشارت إليها الآيـــة:] 0 1 2 3
4 5 6 Z والتي تتطلب فكراً وثّاباً وعاطفة دفّاقة لتستطيع العطاء، فليس عيبًا في المـــرأة عدم توليها وظيفة القوامة، لأنها تولت مهمة أخرى موازية لها - بل تعد قوامـــة الرجـــل عليهـــا تكريماً لها، لتسخير الله تعالى لها من يقوم على حاجاتها ويوفرها لها دون اجهـــاد لهـــا - فهـــي راعية البيت ومدبرة أموره، كي يمتلئ بالسكينة والمودة والرحمة، وليس المطلوب مـــن المـــرأة تولي القضاء والسلطة لتكون لها قيمتها في المجتمع، بل قيمتها تملأ المجتمع لأنها هي من يصنع أفراده، هي من يصنع السلطان والقاضي وصاحب المكانة الرفيعة.

هذه بعض الفروق العقلية الجوهرية بين الرجل والمرأة والتي تفيدنا في هـــذا البحـــث مـــن حيث فهمنا لخصائص الرجل وخصائص المرأة، ومحاولة تفسير سلوك كل منهما مع الآخر.

الفروق النفسية

وبعد شرح الاختلافات الجسدية والعضوية والعقلية بين الرجال والنساء وتحديدها لوظيفة كل منهما، لابد من أن تكون هذه الاختلافات مؤثرة على نفسيتهما، فتختلف بينهما تبعاً للاختلاف الناشئ عن سابقاتها، فكل ما يتبع الاختلاف فهو مختلف، وكل ما يتبع التشابه فهو متشابه.

واختلاف نفسية الرجل عن المرأة أمر خفي غير واضح بطابعه العام، وهذا سببه الجهل بطبيعة كلا الجنسين لبعضهما، فترى الرجل حائراً متسائلاً عن طبيعة مشاعر المرأة وسلوكها، وتسأل المرأة كذلك عن طبيعة مشاعر الرجل وسلوكه، فيتهم الرجل المرأة بالغرابة وعدم فهمه لتصرفاتها دون أن يعي أن ذاك السلوك كان ناتجاً عن بعض المشاعر التي أصابتها وهو لا يدركها، لأنه لا يشعر بنفس الطريقة التي تشعر بها المرأة أولاً، ولأنه لا يعرف طبيعتها التي خلقت أصلاً عليها، وأنها أمور تمليها عليها فطرتها.

وفي الوقت نفسه نجد المرأة تتهم الرجل بعدم وجود أحاسيس ومشاعر لديه، نتيجة قيامه بأمور لا تتوقعها هي، أو يتعامل مع موقف معين على خلاف ما تتطلع إليه وتنشده، دون أن تعي أنه لا يشعر بنفس شعورها ولا يفكر بنفس طريقتها، والسبب في ذلك أن التكوين النفسي (السيكولوجي) لكل منهما يختلف عن الآخر.

فمثلاً يختلف الرجل عن المرأة في الوجدان والإحساس، وتعريفه: الشعور باللذة والألم، المسيطر على السلوك الإنساني، والذي يبين الفرق بين سلوك الرجل وسلوك المرأة، وهو أقوى وأوضح عند المرأة من الرجل، إذ يظهر على المرأة الإحساس بالاشمئزاز والفزع والإعجاب والدهشة وغيرها من الأحاسيس أكثر من الرجل.[1]

ومن ناحية أخرى درجة الانفعال، فمن الواضح أن الرجال أكثر تروياً وضبطاً لانفعالاتهم من المرأة، فشدة الرجل وجَلَدُه يعطيه هذه الصفة النفسية، أما المرأة فلضعفها وغلبة الإحساس عليها

(1) محمد الحاج، الرجل والمرأة في الإسلام، ص48-49، بتصرف.

فإنها شديدة الانفعال قليلة التروي، بسبب وجود ميول فطرية لديها قد لا يستطيع الرجل استيعابها، فتكون عثرة في طريقهما.

ويقول بعض الباحثين: إن انفعالات الرجل وإن كانت أقل ظهوراً إلا أنها أعمق وأطول أثراً من انفعالات النساء، لأن انفعالات المرأة سريعة وحادة لا تقدر المرأة على إخفائها وكظمها.[1]

وهذا يفسر لنا من ناحية شرعية كون عصمة الطلاق بيد الرجل لا المرأة، للحفاظ على قوام الأسرة واستمرارها، وكذلك مسؤوليته عن الإنفاق لحفظ المال من التقويض والاندثار الذي قد تفعله المرأة في لحظة انفعال، بسبب وجود الغيرة من قريناتها، وسعيها لامتلاك ما هو أفضل مما لديهن.

أما الحالة المزاجية فهي أكثر تقلباً عند المرأة من الرجل، ولعل ذلك راجع إلى ما تحدثت عنه سابقاً من كون المرأة تمر في حالات فسيولوجية متعددة، كالحيض والحمل والولادة والرضاعة وغيرها من أمور تجعلها متقلبة في كل أمورها خاصة النفسية، وبُعْد الرجل عن هذه الاضطرابات الفسيولوجية المتكررة جعله أكثر ثباتاً على الحالة المزاجية التي هو عليها، ولا ننسى الناحية العقلية التي تكلمت عنها سابقاً فلها دوركبير في ضبط الحالة النفسية وعدمه.

يقول الدكتور محمد الحاج: "إن الحالة المزاجية هي الحالة التي تلي الانفعال بعد زوال المؤثر له، وتجد انفعال المرأة سريع الظهور سريع الخمود والزوال، فهي تغضب منك بسرعة لأدنى سبب، ويزول غضبها بأوهى سبب، وأقل المؤثرات يبكيها وأقلها يضحكها، وذلك لأنه ينقصها التروي وضبط النفس، فهي تخضع لتجاربها الحسية الوقتية المرتبطة ببيئتها الحاضرة لا للمستقبل".[2]

وهنا أحب أن أنبه إلى قضية تبعاً للخبرة والتجربة، هي أن الحالة المزاجية للمرأة قد تطول كثيراً في حال كبتها انفعالها ومشاعرها، لعدم تمكنها من ذلك لسبب من الأسباب، فتظهر آثار

(1) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص17، بتصرف.

(2) محمد الحاج، الرجل والمرأة في الإسلام، ص51.

هذه الحالة عليها إلى أن تقوم بالإفصاح عما في داخلها، خاصة لمن كان السبب في هذه الحالة التي هي عليها.

ومن الفروق النفسية بين الرجل والمرأة هو ما يخاف منه الرجل وما تخاف منه المرأة، فالرجل يخاف غالباً من الفشل، لذلك يسعى لتثبيت نفسه في العمل سواء العمل في كسب رزقه أو العمل في البيت أو الحي... فهو يريد أن يكون ناجحاً دائماً ويريد أن يشعر بالحاجة إليه، فالرجل عندما يصل لمرحلة الفشل الذريع وأنه لا حاجة له، فإنه يصاب بالاكتئاب، بل يكون ذلك بمثابة الموت البطيء له.

أما المرأة فإنها تخشى غالباً من الرفض وأنها غير مرغوب فيها، وحتى تشعر بكيانها فلابد أن تشعر بأنها مرغوب فيها ومحبوبة، وتسعى لتثبيت ذاتها بعلاقتها مع الآخرين، وكسب الحب والرغبة من زوجها وأسرتها ومجتمعها، وعندما تشعر بأنها مرفوضة تصاب بالقلق والاكتئاب الداخلي.[(1)]

وهنا يجب على المرأة أن تُشعِر زوجها بمدى الحاجة إليه وأنه نجح في إسعادها، ويجب عليها كذلك أن تبتعد عن التذمر الكثير، لأن ذلك يشعره بفشله في تحقيق ما يلزمها وما يسعدها -وقد يضطره هذا الشعور إلى البحث عن أنثى أخرى تقدِّر ما يصنعه لأجلها وترضى به- ومن جهة أخرى على الرجل أن يُشعِر زوجته بأنها محبوبة ومرغوبة لديه وللمجتمع، ويعبر عن حبه لها كي تشعر بالأمان وتبتعد عن القلق.

أما الناحية العاطفية في حياة الرجل والمرأة، وأقصد بها درجة الحب والحنان والعطف والإخلاص وغيرها مما يتبع ذلك، فهي واضحة ظاهرة عند المرأة بدرجة كبيرة، وأقوى من الرجل، بل تكاد المرأة تتسم بها في كل حالاتها لعدم مفارقة طبيعتها العاطفية لها، فالرجل يمتلك

---

(1) صلاح الراشد، الفرق بين الجنسين، ص33، بتصرف.

هذه المشاعر لكن بدرجة أقل وعلى مستوى خفي لا يشعر به من حوله في غالبية الأحيان، ذلك أن المرأة لا تقدر على إخفاء مشاعرها ولا تخجل من إبدائها أمام الآخرين، بل تفصح عنها بشكل طبيعي جداً، فالعاطفة متمكنة منها وآسرة لها.

أما الرجل فهو على عكس ذلك، لأنه يخفي مشاعره بسبب خوفه على هيبته أن تختل أمام الآخرين، حتى لو كان من أقرب الناس له في حالة إفصاحه عن طبيعة مشاعره وإبدائها، فنظرة الرجل لنفسه: الهيبة والشدة والجَلَد، وإظهار المشاعر يتعارض مع هذه النظرة.

يقول آلان: "إن الذكر بطبيعته حذر، متوازن، دفاعي، يحب المنافسة، يريد إخفاء أحاسيسه عن محيطه ليبقى دائماً سيد الموقف، إذ أن إظهار المشاعر عند الرجل يساوي الضعف، أما الأنثى فقد بُرمِج دماغها بحيث تستطيع أن تقوم بدورها كراعية للعش، فتصبح منفتحة صدوقة متعاونة مظهرة لضعفها ومشاعرها دون حرج، إذ تعرف أنها لا تستطيع أن تسيطر دائماً على الموقف".(1)

إن العاطفة القوية عند المرأة تتناسب مع كونها زوجةً وأماً، فأساس هذه العلاقات العاطفة الجياشة التي تدفع صاحبها للعطاء والتضحية من أجل الآخر والتمسك به، يقول الله تعالى: [u v w x y z { | } Z الزخرف: ١٨، فالمرأة تنشأ وتتربى لينة الطبع رقيقة غنية بالأحاسيس، لأنها ستتعامل مع النفوس الضعيفة من صغار وغيرهم، فكانت قليلة الخصومات غير ظاهرة الحجة، لأن طبيعتها اللين والأنوثة، وليس المطلوب منها أن تكون غير ذلك لأن هناك من يقوم بذلك عنها، وهو نصفها الآخر (الرجل).

---

(1) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص173-174.

وقدرة المرأة على تفعيل عاطفتها في كل الأحوال والأوقات سببه قدرتها على أداء أكثر من مهمة في وقت واحد، كما أشرت إلى ذلك سابقاً، فتستطيع الجمع بين ما تقوم به الآن وبين ما تمليه عليها عاطفتها، وهذا ما يجعلها أماً ناجحة عطوفة على أطفالها تهرع إليهم كلما سمعت نداءهم، تتفقدهم وتوفر مستلزماتهم في كل الأوقات مهما كانت طبيعة العمل الذي تقوم به.

أما الرجل الذي يعمل خارج البيت في أمور تقام عليها الأمم مثل السلطة والقضاء والتجارة، فلابد هنا من إقصاء العواطف أثناء عمله، لأنه مطالب بمجابهة أمور الحياة والكسب وشق الصعوبات وحل المشكلات والقتال، فلا يمكن فعل ذلك إذا تغلبت عليه العاطفة واختلطت عليه المشاعر، فلا يجب أن يتخلف الرجل عن كفاحه، ومواصلةُ الكفاح تعني إقصاء العواطف وتغليب العقل والحكمة، ليستطيع السيطرة على ما بين يديه من أعمال ووظائف قد تكون بالغة الحساسية.

يقول في ذلك الأستاذ محمد قطب: "هذه الوظيفة -وظيفة الرجل- لا تحتاج أن تكون العاطفة هي النبع المستجاش، بل ذلك يضرها ولا ينفعها، فالعاطفة تتقلب في لحظات من النقيض إلى النقيض، فلا تصبر على اتجاه واحد إلا فترة تتجه بعدها إلى هدف جديد، وهذا يصلح لمطالب الأمومة المتغيرة والمتقلبة، لكن لا يصلح لعمل خطة مرسومة يحتاج في تنفيذها إلى الثبات على وضع واحد لفترة طويلة من الوقت، وإنما يصلح لذلك الفكر، فهو في طبيعته أقدر على التدبير وحساب المقدمات والنتائج قبل التنفيذ، وهو أبطأ عملاً من العاطفة الجياشة المتفجرة، ولكن المطلوب منه ليس هو السرعة بقدر ما هو تقدير الاحتمالات والعواقب وتهيئة أحسن الأسباب

للوصول للهدف المنشود [مهما كانت طبيعة العمل] فكلها أمور تحتاج إلى إعمال فكر ويفسدها تقلب العاطفة".[1]

وقد أجرت الباحثة الكندية "ساندرا وتيلسون" دراستها على الرجال والنساء بهدف تعيين مراكز الإحساس في الدماغ لدى كل منهما، وقد استخدمت في دراستها صوراً مثيرة لمشاعر قوية، فجعلت الصور هذه تنتقل أولاً إلى نصف الدماغ الأيمن عن طريق العين اليسرى والأذن اليسرى، ثم إلى الدماغ الأيسر عبر العين اليمنى والأذن اليمنى، وقد توصلت إلى أن مركز اعتلاج الأحاسيس في نصف الدماغ الأيمن للرجل يبين أنه متواجد بشكل منفصل عن باقي الوظائف الدماغية، أي أن الرجل عندما يتعرض للضغط في موقف ما فإنه ليس بالضرورة أن يكون عاطفياً، فيستطيع أن يستمر بتقديم الحجج وصياغة الكلام في (نصف الدماغ الأيسر) والبحث عن حل في (مقدمة الدماغ الأيمن)، فلا يكون عنده خلط للمشاعر والوظائف الدماغية الأخرى.

أما المرأة فيمكن إثارة المشاعر لديها في الوقت الذي تكون فيه الوظائف الدماغية الأخرى مفعلة، لأن مراكز الإحساس موزعة على شقي الدماغ الأيمن والأيسر لديها، عكس الرجل الذي يكون مركز الإحساس لديه فقط في منطقة الدماغ الأيمن.[2]

وهذا الكلام يؤكد لنا طبيعة ونوع المشاعر لدى الرجل والمرأة، أي أنها خفية لدى الرجل وظاهرة لدى المرأة، وأن نسبة مراكز الإحساس في المرأة تعلو على الرجل بمقدار الضعف تقريباً.

---

(1) قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ط3(1960)، ص217.

(2) ينظر: آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص167-168.

ولابد من الإشارة إلى أن عاطفة المرأة ليست نقصاً فيها، إنما هي سبب قدرتها وعظمتها من جوانب متعددة، قال الرسول r : "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن".[1] والمقصود هنا بنقصان العقل: هو تغليب العاطفة على العقل، مما يعني أنها غنية بالعواطف ورقة الإحساس، قوية المشاعر بحيث تستطيع أن تأسر الرجل وأي رجل إنه صاحب العقل الراجح والطبع الحازم الشديد، ولله در الشاعر حين قال:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها   ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

وتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى   أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

وهنا أحب أن أوجه رسالةً للرجال والنساء، هي أنه على النساء أن يثقن بمشاعر الرجل تجاهها أكثر مما يبدو لهن، لأن مشاعر الرجل غير بادية ومنفصلة عن الموقف، للأسباب التي ذكرت قبل، وعليهن أن يتعرفن على طبيعة الرجل أكثر فأكثر، ولا يرهقنه - قدر الإمكان- بمطالبته بإبداء مشاعره دائماً، لأن ذلك يتعارض مع طبيعته، أما الرجال فعليهم أن يراعوا فطرة المرأة وطبيعتها الحساسة العاطفية، والتعامل معها بالود والحنان والعطف الذي أمر به الله تعالى:] وَعَاشِرُوهُنَّ ´ Z النساء: ١٩، وبما وصَّى به النبي r : "استوصوا بالنساء"[2]، فالمرأة لا تحتاج من الرجل أكثر من مراعاة طبيعتها الضعيفة والرقيقة، ولا تحتاج أكثر من كلمة طيبة، ومسحة حنونة، وخلق كريم في التعامل معها، فهي الزوجة الحنونة المحبة والمخلصة تنتظر المقابل من زوجها، لتشعر بالأمان والراحة معه، فلا يستكثرنَّ رجل على امرأته ما تحتاجه، بل عليه أن يكون متأكداً بأنها تُكنُّ له في قلبها مودة ورحمة وألفة مهما حصل بينهما من خلاف.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب ترك الحائض الصوم، ص107.

(2) سبق تخريجه ص21.

وخير ما أستدل به هنا قول الرسول r : "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"[1]، وسيرته الطاهرة تكشف لنا عن مدى روعة تعامله مع أزواجه ورعايته لهن، مع كونه رسولاً يحمل رسالة للعالمين تعجز الجبال عن حملها بما فيها من مشقة وأمانة ومسؤولية، إلى جانب الحروب والمعارك التي كان يخوضها r ، فلله در النبي الكريم الذي كان يداعب زوجته عائشة t ويسابقها ويلاطفها، وكيف كان يغتسل معها في إناء واحد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كنت أغتسل أنا ورسول الله r من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي، قالت: وهما جنبان"[2]، وكيف كان يشرب من بعدها ويضع فمه مكان فمها، فعن عائشة قالت: "كنت أتعرق العظم وأنا حائض فأعطيه النبي r فيضع فمه في الموضع الذي فيه وضعته، وأشرب الشراب فأناوله فيضع فمه في الموضع الذي كنت أشرب منه"[3].

فالرسول r صاحب رسالة الإسلام يبين لنا أن الإسلام راعى هذا كله في المرأة في كل شأن من شؤون الحياة، حتى في المواقف الصعبة وأحلك الظروف، فهذه عمته r صفية رضي الله عنها يوم أحد أشفق عليها النبي الكريم، ولم يشغله ثقل الموقف ووطأته عن الإشفاق على هذه المرأة التي رأت أخاها حمزة t عم النبي r قتيلاً وقد مُثِّلَ به، فقد ورد أنها جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس، وبيدها رمح تضرب في وجوههم، فقال النبي r : "يا زبير.. المرأة"، لقد أشفق

---

(1) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هـ)، سنن الترمذي، مكتبة ابن جرير - دمشق، ط1(1424-2004)، باب فضل أزواج النبي r ، ص1078.

(3) مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، صحيح مسلم، دار عالم الكتب- الرياض، ط1(1424-2003)، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، ج3، ص6.

(3) أبو داود، سنن أبي داود، باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها، ج2، ص10.

عليها الرسول الكريم **r** من صدمة نفسية من رؤية أخيها حمزة مقتولاً -شهيداً- وقد مثل بـــه، لا لشيء إلا لأنها امرأة".[1]

الفصل الأول

الخصائص النفسية للرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الخصائص النفسية للرجل

المبحث الثاني: الخصائص النفسية للمرأة

المبحث الثالث: الخصائص النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة.

(1) ... الأفكـــار

الفصل الأول

الخصائص النفسية للرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم

لقد خلق الله تعالى الرجل والمرأة ليكونا عنصرين تنشأ بينهما بداية الحياة على وجه الأرض، ويتم التناسل والتكاثر والاستخلاف عليها، ولأنهما مطالبان بعمارة الكون على حدٍّ سواء، وأداء واجب ومسؤولية أنيطت بكل منهما خُلِقا بطبيعةٍ تتناسب مع وظائفهما، وجزء من هذه الطبيعة ما يخص الجانب النفسي لديهما، فالرجل خلق بتكوين نفسي يتفق مع وظائفه وما تتطلبه، وكذلك المرأة، -وكما أشرت- أن التكوين النفسي للرجل يختلف عن التكوين النفسي للمرأة، وهذا الاختلاف والتمايز هو سبب التكامل والتناسق بينهما إذا فهم كل منهما الخصائص النفسية الموجودة عند شقه الآخر، لأن ذلك يؤدي إلى تفسير دوافع السلوكيات الصادرة عن كل منهما تجاه الآخر، وبالتالي معرفة كيفية التعامل معها.

والخالق جل وعلا أرشدنا في كتابه العزيز إلى هذه الخصائص من خلال حديثه عن وظيفة كل من الرجل والمرأة، ولم ينص بشكل مباشر على هذه الخصائص، لأن من أسلوب القرآن

الكريم أن يأتي بالنص بحيث يحتوي على كثير من المعاني ليستطيع عقل الإنسان البحث والتدبر فيه، ولإيجاد السعة في استنباط الأحكام والاحتكام إليه في كل مكان وزمان، فنجده يحتوي على أسلوب الاحتباك والاختزال والإيجاز، ومفهوم المخالفة وغيرها من الأساليب التي تعطي روعةً في التعبير والتوجيه بما يلامس العقل والروح معاً.

وفي هذا الفصل سأتحدث عن الخصائص النفسية الخاصة بالرجل، ثم الخاصة بالمرأة، ثم المشتركة بينهما، وذلك من خلال الآيات المبثوثة في الكتاب العزيز، معتمدة على أسلوب الاستنباط والاستشفاف من النص بمدلوله العام وما يشير إليه من أمور متعددة.

على أنني سأتناول في هذه الدراسة الرجل والمرأة على أصل الخلقة والطبيعة التي جبلا عليها، ولا أقصد أبداً من خرج عن أصل هذه الخلقة والطبيعة، لأننا سنصل إلى نتيجة واحدة وهي: أن الرجل امرأةٌ والمرأة رجلٌ، لكنني أريد أن أمايز بين هذين الجنسين لوجود خلاف سببه الاختلاف بينهما، ولا أقصد كذلك القول: إن من خرج عن بعض خصائص جنسه أنه شاذ عنه، بل على العكس من ذلك، فهناك بعض الصفات التي يجب على الإنسان أن يهذبها في نفسه حسب ما أمر الشرع ووجّه، فمثلاً من الخصائص النفسية للرجل في طبيعته أنه يحب التطرف (التسلط) والخروج عن حد الاعتدال في معاملته للمرأة[1]، فعليه هنا أن يهذب نفسه مما اعتاد بنو جنسه على القيام به، وتحقيق معنى العدالة في داخله في معاملته لهذه المرأة، كذلك ومن خصائص المرأة النفسية أنها تميل لإفشاء الأسرار[2]، فعليها أن تهذب نفسها وتتبع تعليمات الشرع الذي يحرم هذا الأمر ويمقته.

(1) انظر ص57 (الرسالة).

([2]) انظر ص 112(الرسالة).

وليس معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على خصائص سيئة، إنما خلق الله تعالى الإنسان بطبيعة يختبر فيها هذا المكلف والمحاسب على أعماله وتصرفاته، فهي مدار لاختبار مدى الإيمان والصبر على الطاعة، وبالتالي تحقيق العدالة بين الناس، إضافة إلى أن تهذيب النفس يدخل ضمن طاقة الإنسان وقدرته، فهو مخلوق بطبيعة تختبر التكليف الذي أنيط به، وفي نفس الوقت لا تخرج عن قدرته، فهو لا يطالب بما لا طاقة له به.

المبحث الأول

الخصائص النفسية للرجل

إن الرجل يتمتع بخصائص نفسية معينة ليكون قادراً على أداء وظائفه التي أوكلت إليه لعمارة الأرض وتحقيق سنة الاستخلاف فيها، وقد تكون هذه الخصائص أمراً فطرياً جبل عليها الرجل، أو أمراً مكتسباً من البيئة التي يعيش فيها، ولعل الغالب فيها هو الأمر الفطري، وسأشرح هذا المبحث بعدد من المطالب أتناول في كل منها خصيصة أو اثنتين هما الأقرب لبعضهما.

وسأتحدث عن هذه الخصائص بشرحها وتوجيهها للوصول إلى نفسية سليمة يسودها النقاء والصفاء، بما يؤدي إلى حياة أكثر استقراراً، ويجب على المرأة أن تتعرف على هذه الخصائص وتدرسها جيداً لكي تعرف كيفية التعامل مع الرجل وتتعلم التصرف معه في المواقف والأحداث التي يتعرضان لها، لأنها لو تعاملت معه وهي تجهل حقيقته من الداخل فإنها سوف تصطدم به كثيراً، ويؤدي هذا إلى وجود خلاف دائم بينهما.

وعلى المرأة كذلك أن تعرف طبيعة الرجل كي لا تحمِّله ما لا يطيق فلا يحتملها، فيكون سعياً لإنهاء الحياة الزوجية، فإذا أرادت الزوجة أن تستقر في حياتها مع زوجها عليها أن تعرف

خصائصه النفسية التي تعد دافعاً لسلوكه وتصرفاته، ولا مانع من أن تحاول المرأة معاونة الرجل على تعديل هذه الأمور النفسية وتهذيبها للوصول إلى مرحلة الوفاق والانسجام، وكذا يقال للرجل.

المطلب الأول: الشجاعة والجرأة

"الشجاعة: غريزة في الإنسان، فهو يلقى الحروب ويقاتل طبعاً وحمية لا حسبة".(1)

"والأشجع من الرجال كالشجاع: من فيه خفة كالهوج لقوته، يقولون رجل شُجاعٌ وهو خاص بالرجال ولا توصف به المرأة ".(2)

" والجُرْأة: الشجاعة، ورجل جريء: مُقْدِمٌ من قوم أجرِئاء، والجريء: المقدام، وقد جرؤ يجرؤ جرأة وجراءة واستجرأ وتجرا وجرأه عليه حتى اجترأ عليه جرأةً، وهو جريء المَقْدَم أي: جريء عند الإقدام".(3)

ويعرفها البعض بأنها: ثمرة إحساس الشجاع العميق لعاطفة اعتبار الذات، فالرجل إذا ما شعر بشبح الجبن أو اقترب منه فإنه يشعر بالخطر، وأن إحساسه بتقدير نفسه سوف يهتز أو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، م9، ص74.
(2) الزبيدي، تاج العروس، ج21، ص252.
(3) ابن منظور، لسان العرب، م2، ص75.

يضعف، فرأس ماله الذي هو أعز شيء لديه في الوجود هو شجاعته، والشجاعة ليست مجـرد مظهر سلوكي، إنما هي صفة جوهرية وترجمة صادقة لما يعتمل في القلب من شجاعة.(1)

وتظهر هذه الصفة بشكل واضح في الرجل الحقيقي، ونستطيع معرفة ذلك في كتاب الله مـن خلال استقراء الآيات التي تتحدث عن وظيفة الرجل في الحياة، مثل تكليفه بالمحاربـة والقتـال، فقد قال تعالى:] وَقَـٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ´ µ ¶ ¸ ¹ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ Z التوبة: ٣٦، وقال سبحانه:] ! " # $ % & Z البقـرة: ٢١٦، فوظيفة الجهاد وظيفة صعبة، لأنها قد تفقد الإنسان أغلى ما يملك في الحياة وهي روحه، فلا بـد من توفر الشجاعة والجرأة فيمن يقوم بهذه المهمة الشاقة ويقبل عليها، دون أن يتعارض ذلك مع فطرته، يقول سيد قطب: "وهكذا يربي الإسلام الفطرة، فلا تمـل التكليـف، ولا تجـزع عنـد الصدمة الأولى، ولا تخور عند المشقة البادية، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضـعفها أمـام الشدة، ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرها ويمدها بعونه ويقويها".(2)

أما الكره المذكور فهو لا يتنافى مع هذا التكليف، لأن الجهاد -كما قلنا- يتطلب إفناء الـنفس وهي أغلى ما يملك الإنسان، يقول الرازي: "إن المراد من الكره، كونـه شـاقاً علـى الـنفس، والمكلف وإن علم أن ما أمره الله به فهو صلاحه، لكن لا يخرج بذلك عن كونه ثقيلاً شاقاً علـى النفس، لأن التكليف عبارة عن إلزام ما في فعله كلفة ومشقة، ومن المعلوم أن أعظم ما يميل إليه الطبع الحياة، فلذلك أشق الأشياء على النفس القتال".(3)

---

(1) أسعد، يوسف ميخائيل، سيكولوجيات، نهضة مصر للطباعة- مصر، (د.ط)، ص85-109، بتصرف.

(2) سيد قطب (ت1387هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط15(1988)، ج1، ص224.

(3) الرازي، الفخر(ت606هـ)، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربـي- بيـروت، ط2(1417-1997)، ج2، ص384.

هذا ونلاحظ في الرجل المجاهد ما فطره الله عليه ومما اكتسبه من قوة الإيمان: رباطة الجأش، في حين أننا نرى من خرج عن هذه الفطرة أنه يكون جباناً متخاذلاً، كالمنافقين فإن الله وصفهم في كتابه بقوله تعالى:]) (* + , - . 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > Z محمد: ٢٠، فدلت الآيات على أن الرجل الحقيقي هو المقاتل، فلا بد من كونه شجاعاً جريئاً في الحق، عكس المنافق الذي يكسوه الجبن والتخاذل.

يقول سيد قطب في هذه الآية: "وهو تعبير لا تمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى، وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية! ويبقى بعد ذلك متفرداً حافلاً بالظلال والحركة التي تشغف الخيال! وهي صورة خالدة لكل نفس خوارة لا تعتصم بإيمان، ولا بفطرة صادقة، ولا بحياء تتجمل به أمام الخطر، وهي طبيعة المرض والنفاق!".(1)

وتستوحى هذه الصفة النفسية من أمر مادي وهو الخلقة الجسدية التي خلق عليها الرجل، حيث توحي بالقوة وتؤهله لامتلاك هذه الصفة، فمن خلق بهذه البنية الجسدية لا بد له من استخدامها في مجراها الطبيعي بكونه شجاعاً جريئاً قليل المهابة من الأمور الجسام، وهذه البنية الجسدية مهمة بما يخص الناحية القتالية، وقد أشار الأستاذ يوسف ميخائيل إلى أن من مقومات الشجاعة الحربية اللياقة البدنية والمهارات القتالية، وتحقيق الهدف الجماعي من غير تباطؤ أو تشتيت، وكلها متوفرة في الرجل الذي يمتلك المقومات الأساسية لخوض الحرب من الناحية

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج2، ص651.

العضلية التي تومئ إلى أن صاحبها متمتع بالشجاعة، إضافة إلى المظهر العام للجسم من طـــول القامة وضخامة الجثة.(1)

والذي يتبادر لي أن هذه الصفة تظهر في الرجل من كونه المبادر بالنكاح والعلاقة الزوجيـــة، ذلك أن الذكر والأنثى يتربى كل منهما على وجود حواجز بينهما، لمنعهما من الوقوع بهذه العلاقة بطريقة محرمة، وعند الزواج الشرعي لا بد من إزالة هذه الحواجز للتمكن من ممارسة الحيـــاة الزوجية بشكل طبيعي، فكانت هذه المهمة موكلة للرجل؛ لتوفر الشجاعة والجرأة الكافية للقيام بها، أما المرأة فقد جبلت على الحياء بقدر لا يمكنها من تولي هذه المبادرة والإقبال عليها غالباً، فقد قال تعالى:] نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ ´ µ ¶ ¸ شِئۡتُمۡۖ Z البقرة: ٢٢٣، فهذا أمر على الإباحة، يخاطب به الرجال بأن يجامعوا نساءهم كما يريدون في حدود الشرع والمسموح به، فلو لم يكن الرجل يتمتع بالشجاعة والجرأة لما وجه له الخطاب خاصةً دون النساء، ولكان الخطاب عاماً يشمل الرجـــال والنساء، ولكن لكي يوازن الله تعالى بين الرجل والمرأة بما يناسب وظيفة كل منهما جعل هـــذه الخصيصة للرجال، لأنهم القوامون على النساء، وجعل خاصية الحياء عند المرأة ليتناسب ذلك مع كونها المرغوبة والمطلوبة، وأنها تأتي تحت لواء الرجل القائم على مصالحها ورعايتهـــا، فهنـــا يشعر الرجل برجولته والمرأة بأنوثتها، وكذا يقال في قوله تعالى:] M N O P Q R S Z الأعراف: ١٨٩، فالرجل هو الفاعل والمرأة هي الحامل.

وقوله تعالى:] 8 9 : ; < = > Z النـساء: ٣٤.

فكما أنه المسؤول عن الفعل فإنه المسؤول عن الترك في حالة نشوز الزوجة، أما الزوجـــة فلـــم تؤمر بهجر مضجع زوجها إذا نشز معها، لأنها ليست من يدير هذه العلاقة ويقبل عليها حتى تقوم بالإعراض عنها من تلقاء نفسها، إذاً نستطيع القول إن هذه الخصيصة النفسية عند الرجل تتناسب

(1) يوسف ميخائيل أسعد، سيكولوجيات، ص90-109، بتصرف.

مع نوعية الرغبة الجنسية التي يمتلكها، حيث تعد أقوى وأظهر عنده من المرأة التي تحتاج للعاطفة أولاً، فلكي يحدث هناك توازن عنده لا بد من وجود الجرأة للإقبال على مثل هذا الأمر.

وكله يحتاج لشجاعة نفسية من الرجل ومعرفة كيفية استخدام مشاعره في الوقـــت المناســـب، كي لا تهتز صورته أمام أحد، وخاصة المرأة، وهذا مرتبط بالمعنى الوجداني للـــشجاعة، كمـــا أشير إلى ذلك من أن المعنى الوجداني للشجاعة: أنها فن سياسة الوجدان، فالشجاع يـــستطيع أن يوجه شحنات عاطفية مناسبة لاستهلاك الموقف بغير إفراط ولا تفريط، أي أن المبالغة في دفـــع الشحنات الوجدانية لا يتماشى مع مطلب الشجاعة، وكذلك اختيار الوقت المناسب مهم في عملية استخدام الشحنات الانفعالية الوجدانية.[1]

---

(1) يوسف ميخائيل أسعد، سيكولوجيات، ص85، بتصرف.

المطلب الثاني: تحكيم العقل على العاطفة في مواجهة الأمور

معلوم أن الرجل غالباً ما يحكِّم عقله فيما يتعرض له من مواقف وأحداث، حيث إنه يقلل من انفعالاته قدر الإمكان، وهذا أمر لا بد منه في الرجل ليحقق وظيفته في الحياة من أمور القوامة والمسؤولية وما يترتب على ذلك من تبعات، لأن الإنسان عندما يكون مسؤولاً عن أمور مهمة لابد من توفر الروية والتفكر عنده، والحياة فيها من الأمور الجسام ما يشق على النفس احتماله إن لم يتروَّ الإنسان في إصدار الحكم المتعلق به، وبما أن الله خلق الرجل بطبيعة جسدية تقتضي تحمله لمثل هذه الأمور، فإنه أكسب هذه الخصيصة النفسية ليتحقق التوازن ما بين الطبيعة الجسدية والنفسية والعقلية والوظيفية، لأنه من المعلوم أن طريقة التفكير واستخدام العقل تؤثر على النفسية وتدير وجهتها، ومما يدل على هذا من كتاب الله قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . Z النساء: ٣٤، وقوله تعالى:] n o p Z البقرة: ٢٢٨، يقول البقاعي: "لما أوثروا به من رصانة العقل وتمام الدين"[1].

والذي يهمنا في هذا المقام ليس الحديث عن القوامة، إنما ما تعنيه هذه الوظيفة التي أوكلت للرجال دون النساء؛ من أن الرجل يتمتع بتحكيم العقل بعيداً عن العواطف، مما يتيح له الفرصة لينجح في إدارة حياته، وننبه هنا إلى أن هذه الصفة تعتبر مقابلة لصفة لدى المرأة وهي تحكيم العاطفة في مواجهة الأمور، فهي مخلوقة بطبيعة تقتضي من الرجل الذي يعد مسؤولاً عن هذه

---

(1) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن(ت885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، تخريج عبد الرازق المهدي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1415-1995)، ج1، ص429.

المرأة أن يكون بطبيعة أخرى بحيث تحدث تقارباً بين هذين الكائنين اللذين يعتبران أساس قــوام الحياة وإنشائها.

ولا ننسى أن الرجل أعطي مهمة الإنفاق وعصمة الطلاق، وهما تابعتان لوظيفــة القوامــة، وهاتان المهمتان تحتاجان إلى إدارة بشكل مدروس وعقلاني لأنه يترتب عليها أمــور عظيمــة، فالأموال تعتبر قواماً لمتطلبات الحياة ومصدراً مهماً من مصادرها، والعلاقة الزوجيــة يترتــب عليها بناء البيوت واستمرارها، وللمحافظة على هذه الأمور وعدم الإخلال بها جعل الرجل هــو المسؤول عن الإنفاق، وعصمة الطلاق بيده، لأنه أقدر على التفكيــر والتــروي فــي إصــدار الأحكام، قال تعــالى:] ! " # $ % & ' ( ) (' + ,

- Z الطلاق: ١.

يقول صاحب الظلال: "وكذلك زود الرجل - فيما زود بــه مــن الخــصائص - بالخــشونة والصلابة، وبطء الانفعال والاستجابة، واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاســتجابة، لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذي كان يمارسه في أول عهده بالحياة إلى القتال الذي يمارسه دائماً لحماية الزوجة والأطفال، إلى تدبير المعاش، إلى سائر تكاليفه في الحيــاة، لأن وظائفــه كلهــا تحتاج إلى قدر من التروي قبل الإقدام، وإعمال الفكر، والبطء في الاستجابة بوجه عام!، وكلهــا عميقة في تكوينه عمق خصائص المرأة في تكوينها، وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامــة، وأفضل في مجالها"[1].

على أنني لا أقصد القول بأن المرأة لا تستطيع تحكيم عقلها في مواجهة الأمــور أو التــروي فيها، لكنني أقول: إن أصل المرأة أن تكون كتلة من العاطفة التي يحتاج لها كــل مــن حولهــا

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج2، ص770.

ليتحقق الأمن والاستقرار لديهم، فيصعب عليها مع وجود هذا الكم الهائل من العواطف أن يكون تحكيم العقل متوازناً لديها في كل الأمور، خاصة العظيمة منها، فلا تستطيع حل كل المشكلات؛ لأنها ذات عاطفة حساسة وشفافة قد تصدر معها أحكاماً خاطئة، وإلا فهناك كثير من النساء من تفكر بطريقة أفضل من كثير من الرجال، وأنبه على أنه لولا وجود هذه العاطفة عند المرأة لفات الرجال كثير من الراحة والاستقرار في حياتهم مع النساء.

ويرى الشنقيطي أن الرجل أفضل من المرأة؛ لأن الرجولة شرف وكمال، والأنوثة نقص خَلْقي طبيعي، ويعلل ذلك بأن المرأة تميل للزينة والتنشئة فيها، فتعوض النقص الموجود فيها[1]. ولعلي لا أوافق الشيخ على ما قاله، لأن الاهتمام بالزينة والميل لها لا يحرم صاحبها من أن يوصف بالشرف والكمال، إنما اهتمت المرأة بالتزين لأنها وظيفتها التي أوكلت إليها كأنثى لتلبي نقص وضعف الرجل في ميله للمرأة وزينتها، فإن لم تتزين المرأة للرجل قام صاخباً عليها ولفاته كثير مما تمليه عليه فطرته، فليس مطلوباً من المرأة أن تكون رجلاً لتحصل على وصف الشرف والكمال، إنما حصلت عليه بوصفها صانعةً للرجال ومربيةً لهم. ومن جهة أخرى من قال إن الرجل لا يتزين ولا يهتم بالزينة؟! يقول تعالى:] " # $ % & ' ( ) Z الأعراف: ٣١، ويقول تعالى:] إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ Z الحج: ٢٣، فها هو الرجل يتزين في الدنيا والآخرة، فالنص جاء على عمومه في جزاء المؤمنين، أي يشمل الرجال والنساء، ولو لم تكن الزينة محببة للإنسان، لما جعلها الله تعالى جزاءً له في الجنة، بل

(1) الشنقيطي، محمد الأمين الجكني (ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ضبط محمد الخالدي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ط)، ص67، بتصرف.

وردت كثير من الآيات التي تتحدث عن صفة النعيم في الجنة وهي تذكر الزينة كعلامة أساسية في هذا النعيم.

كذلك لابد من التنبيه على أن الذي ساعد الرجل على امتلاك هذه الخصيصة أنه حاز على القوة النفسية لبعده عن الاضطرابات النفسية المتكررة التي تمر بها المرأة من حمل وولادة وحيض ونفاس وغيرها من الأمور، وهذا ما سأتحدث عنه عند شرح الخصائص النفسية للمرأة إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: التطرف والخروج عن حد الاعتدال.

والتطرُّف: هو الزوغان عن طريق الحق والعدل، قال صاحب لسان العرب: "الزيغ الميل، زاغ يزيغ زيغا وزيغانا... يقال: زاغ عن الطريق يزيغ إذا عدل عنه، وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: «أخاف إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»، أي: أجور وأعدل عن الحق".(1)

وهذه الخصيصة النفسية لدى الرجل موجودة فيه من أول الخلق، ويشهد على ذلك ويدلل عليه التاريخ والنص والعقل وطبيعة الخِلقَة والواقع، فالاستبداد بشكل عام سنة من سنن الحياة العامة، ويعرِّف الاستبداد الأستاذ أحمد عبادي فيقول: "الاستبداد هو إلغاء الآخر، وتقليص كيانه في ذات لا تملك إلا أن تطيع وتتبع، مما يحبس دفق الشهود الحضاري عن الوصول إلى كل أوصال الأمة، ويرفع عن الآراء نعمة التشاحذ والتبادر والتهاذب، وهو بوتقة تنصهر فيها الآراء ليبرز إبريزها ويُنفى زَبَدُها، فتتسم الحياة بالركود والجمود تبعاً لذلك، لأن الإنسان يُجَرَّد من أهم خصائص إنسانيته وهي المسؤولية... والاستبداد داء ينخر كيان أمتنا في كل المستويات، قد امتزجت به كل ذرة من ذراتها، فما من خيط من خيوط شبكة العلاقات الاجتماعية، إلا وهو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، م4، ص448.

منصبغ بالاستبداد: الزوج مع زوجته، والأب والأم مع أبنائهما، والذكور مع الإناث، والكبير مع الصغير."(1)

وهذا الاستبداد لحق الرجل في معاملته للمرأة، فإن حكّمنا العقل وجدناه ممكناً جداً، لأن من سنة الحياة أن يتسلط القوي على الضعيف، والجميع يعلم ضعف المرأة أمام الرجل كونها تابعه له- وسيتم تفصيل ذلك عند الحديث عن الدليل من خلال النص لاحقاً إن شاء الله تعالى.

أما طبيعة الخِلقة التي وُجِدَ عليها الرجل، فإن العلماء يقولون: إن مستوى هرمون "التستوسترون" عندما يكون في حد مرتفع فإنه يكون سبباً للعنف، وهذا الهرمون موجود في الذكور بمستوى عالٍ، وقد أظهرت دراسة أجريت في جامعة سيدني بأستراليا أن (44%) من الذكور يحاولون حل مشاكلهم عن طريق استعمال العنف كلامياً أو جسدياً، وأن (78%) من الإناث يتجنبن ذلك، إلا اللواتي ارتفع عندهن مستوى "التستوسترون"، ذلك أن العدوانية لدى الذكور هي أحد أسباب التفوق الذكري في الجنس البشري، إذ العدوانية صفة ذكرية لا علاقة لها بالظروف أو البيئة الاجتماعية.(2)

أما التاريخ فيشهد على تسلط الرجل وتطرفه، فهو يسعى دائماً للسلطة والامتلاك لكافة الأشياء؛ المال والأرض والإنسان (نساء- بنين- خدم)، وعلى صعيد هذه الرسالة يهمنا ما يخص علاقة الرجل بالمرأة التي لطالما استعبدها الرجل ولم يعطها حقها وقيمتها الحقيقية، بل لم يعتبرها من بني جنس الإنسان، إنما هي نوع من أنواع الحيوانات أو من الشياطين أو كائن بلا روح.

---

(1) عبادي، أحمد، الإسلام وهموم الناس، وزارة الأوقاف- قطر، ط1(1416- 1996)، ص119-120.
(2) آلان، معارك قيس وليلى، ص201-202، بتصرف.

مثلاً في الحضارة اليونانية رغم تقدم الفكر وازدهاره، لم يكن التشريع الإغريقي يعترف بحقوق المرأة، ويعتبرها مخلوقاً تقل قيمته الإنسانية عن قيمة الرجل.(1)

فيقول "أرسطو طاليس": "المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخلقة... والمرأة للرجل كالعبد للسيد والعامل للعالم والبربري لليوناني، وإن الرجل أعلى منزلة من المرأة."(2)

ويرى "أفلاطون" صاحب المدينة الفاضلة أن المرأة الصحيحة الجسم والخالية من العيوب تعتبر مشاعاً للرجال الأصحاء لإنجاب أطفال أصحاء، ومن ثم هي رجس من الشيطان لحملها خطيئة أمها العليا حواء.(3)

ويعلق الأستاذ علي يوسف على وضع المرأة في هذه الحضارة: "وبحكم هذا التحكم الفظيع والسيطرة الكاملة من قبل الرجل، والخضوع والاستسلام من قبل المرأة، خلت مجالس الفلاسفة من المرأة وكأنها لم تخلق لتفهم شيئاً من الأشياء، فلم تشتهر منهن امرأة نابهة إلى جانب الشهيرات من الغواني أو من الجواري الطليقات."(4)

أما في المسيحية فيقول "توماس إكويناس" المعروف عند النصارى بـ"رسول الرحمة": "إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معاً، والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاه، وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، أما العبد فليس كذلك."(5)

---

(1) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص27.
(2) الحاجي، محمد عمر، النساء شقائق الرجال، دار المكتبي- سورية، ط1(1423- 2002)، ص33.
(3) محمد الحاجي، النساء شقائق الرجال، ص33، بتصرف.
(4) علي، علي يوسف، الرجل والمرأة في الإسلام، دار الإرشاد- بيروت، ط1(1973)، ص17.
(5) ديوارنت، وِل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية،(د.ط)، م4، ج6، ص139.

وفي اليهودية إذا نظرنا إلى مطلع سفر التكوين من الكتاب المقدس نجد أن المرأة مفــروض عليها أن تكون تحت سلطان الرجل وهو يتسلط عليها، قالوا: "وقال للمــرأة: لأكثــرن مــشقات حملك بالألم، تلدين البنين، وإلى بعلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك".(1)

أما المرأة الهندية فلا أعجب مما يقوم به الهنود معها إذا توفى زوجها، بحيث "تحــرم حــق الحياة بعده، لأنهم يعتقدون أنه لا طاقة لها على الحياة بعد وفاة زوجها، فكانوا يقيدونها بالسلاسل والأغلال ويحرقونها مع زوجها في أتون واحد.!!"(2)

وهكذا نرى أن المرأة على مر التاريخ كانت تعاني من اضطهاد في حقوقهــا وقيمتهــا مــن الرجل المتسلط والمتجبر عليها في كافة الأديان-عدا الإسلام- والأقوام، فأنزلوها منزلة العبيــد والرقيق، بل أفظع، بحث تخضع له بكل جوارحها وحتى بروحها، كل ذلك من أجــل أنهــا ذات بنية جسدية ضعيفة، وذات نفسية رقيقة لا قدرة لها على الخصومات والمجادلات.

فإذا اقتربنا من عهد العرب في الجاهلية وجدناهم بحالة ليست أفضل من غيرهم في تعــاملهم مع النساء، فقد ساد في مجتمعاتهم الكثير من العادات الاجتماعية السيئة، ومنها غلبة القوي على الضعيف والتسلط عليه، لذلك كانوا يؤثرون البنين على البنات، ويقومون بجرائم بحقهن، ومنهــا جريمة الوأد، فما إن عرف الرجل أن امرأته قد أنجبت له أنثى فإنه يسارع لدفنها فــي التــراب وهي على قيد الحياة، ليتخلص- كما كانوا يعتقدون- من عارها وفضيحته أمام القوم، وقــد قــال الله تعالى بحقهم عند مجيء الإسلام:] A B C D E F G H I J K L M N O P Q R ¦ T U V W X Y Z ¦ \ ] ^ _ Z النحل: ٥٨ - ٥٩، وقال تعالى:] = > ? @ A B C Z التكوير: ٨ - ٩.

---

(1) الكتاب المقدس، العهد العتيق، سفر التكوين، الإصحاح الثالث، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، م1، ص12.

(2) محمد الحاجي، الرجل والمرأة في الإسلام، ص30

فهذا يعد في قمة الظلم والخروج عن حد الاعتدال، فإذا وصل الأمر إلى أن يقوم الرجل بقتل النفس، وليست أي نفس، إنها التي جاءت من صلبه هو، لا لشيء إلا لأنها أنثى وليست ذكراً، فلا داعي لأن يماري الرجال بالاعتراض على هذه الصفة فيهم إلا من رحم ربي وهذبه الإسلام وشذبه.

وظل تطرف الرجل في معاملته للمرأة وتسلطه عليها قائماً إلى يومنا هذا، لكن الذي اختلف أن الإسلام جاء بأحكام تهذب هذه النفس الإنسانية، ومنها ما يهذب نفسية الرجل أمام المرأة وتعطيها حقوقها الكاملة دون ظلم أو استعلاء من أحد عليها، فالرجل الذي يحتكم إلى الشريعة الإسلامية ويعرف ما له وما عليه فإنه يلتزم بإعطاء ما فرض الله للنساء من الكرامة والحقوق والاحترام.

وعلى الرغم من أن الإسلام جاء ليهذب النفس، إلا أن آثار الطبيعة البشرية تبقى غالبة في بعض الأحيان تتنازعها المبادئ والاعتقادات والأفكار، لذا جاء الإسلام بتوجيهات لأحكام الحياة العملية واليومية ترشد الإنسان الذي يملك هذه الطبيعة إلى ما يجب عليه القيام به فيما يتعرض له من مواقف_ أي ما على الرجال القيام به تجاه النساء والعكس كذلك، فتسلط الرجل على المرأة حتى في ظل الإسلام نابع مما نشأ عليه من الثقافات الخاطئة والبيئات الجاهلة في تربية الأبناء على معاملة المرأة معاملة دونية، ونابع مما أعطي عليها من سلطات وكونها تابعة له في ذلك، وهو ما يسمى قوامة الرجل على المرأة، وبما أن الرجل خلق بطبيعة تناسب وظيفته في الحياة فإنه مستعد فطرياً ليكون متسلطاً عليها، لأنه قائم على جميع شؤونها، إضافةً إلى أنه أقوى منها مادياً (جسدياً) ومعنوياً (نفسياً)، فالبنية الجسدية القوية تسيطر على البنية الضعيفة، والنفسية الشجاعة الجريئة تغلب الرقيقة العاطفية.

فإذا نظرنا إلى آية القوامة وجدنا قول الله تعالى:] ! " # $ % &

' ( ) * + , - . 0 1 2 3 4

5 6 8 9 : ; < = > ? A

B C D E F H I J K L Z النساء: ٣٤، فالمعنى العام للآية

أن الله تعالى وظف الرجال لرعاية المرأة والقيام على أمورها بتوفير ما تحتاجه من الحماية والنفقة، وما على المرأة في المقابل من كونها صالحة وقانتة وحافظة لزوجها وبيتها ونفسها، فإن حدث خلل ما منها فقد أرشد الله تعالى الرجل إلى ما يمكنه من إصلاح هذا النشوز وعدم طاعتها له بأن يعظها بالقول الحسن اللين واللجوء للحوار الهادف، فإن بقيت على نشوزها فله أن يهجرها في المضجع، فإن أبت فله أن يضربها ضرباً غير مبرح، كما وضح الرسول **r** بحيث لا يهين كرامتها ولا يؤذيها، لكننا إذا لاحظنا أن التوجيه لم يقتصر على ذكر هذا العلاج فحسب، بل أوضح للرجال أن لا يبغوا على النساء إن عادت الواحدة منهن إلى طاعة زوجها، لأن من عادة الرجل أنه عندما يسلط على المرأة يكون قاسياً وعنيفاً، فجاء التوجيه على عدم التمادي في ذلك.

جاءت الآية إذاً لتعادل ما بين الرجال والنساء لكي لا يفرض الرجل سيطرته الكاملة على المرأة، فكما أنه أعطي القوامة وفضل في ذلك عليها، بيَّن القرآن أن المرأة لها دور كبير في حماية البيت والزوج والمال، فلا يجب على الرجل أن يتكبر عليها ويستصغر ما تقوم به، ثم جاءت لتبين حق الزوج في تعديل سلوك زوجته لكن بالحق ودون تمادٍ في العقاب، فقوله تعالى:

] A B C D E F Z يدل فيه لفظ "فلا تبغوا" على وجود هذه الصفة في الرجل خاصة مقابل المرأة، لأن البغي هو مطلق الظلم، فعندما عبر القرآن بهذا اللفظ دل على

إثبات ذلك، فلم يعبر بلفظ آخر لأنه أراده في هذا المقام لكي لا يدخل في نفس الرجل القائم على المرأة والمعالج لنشوزها أنه يحل له بذلك أن يتسلط عليها ويخرج عن حد الاعتـدال، ولتأكيـد ذلك ختمت الآية بقوله تعالى:] H I J K L Z ليذكر الرجال أن من يظلم الناس فالله أكبر منه، وسينتقم لكل من ظُلِم، فيرتدع الرجل مخافةً من الله ومن حسابه، يقول العلامـة محمد رشيد رضا: "إنما يبغي الرجل على المرأة بما يحسه في نفسه من الاستعلاء عليها، وكونه أكبر منها وأقدر، فذكّرَه الله تعالى بعلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ ويخشع ويتقي الله فيها."[(1)]

يقول البقاعي: " «فإن أطعنكم» أي: بشيء من الوعظ والهجر في موضع المبيت من البيت، أو الضرب «فلا تبغوا» أي: تطلبوا «عليهن سبيلاً» أي: طريقاً إلى الأذى على ما سـلف مـن العصيان؛ من توبيخ على ما سلف نحوه، بما لكم عليهن من العلو، بل اغفروا لهن ما سلف، ولا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المناقشة، «علياً كبيراً» أي: له العلو والكبر على الاطـلاق بكمال القدرة ونفوذ المشيئة، فهو لا يحب الباغي ولا يقره على بغيه، وقدرته عليكم أعظـم مـن قدرتكم عليهن".[(2)]

ومما يدل على خصيصة الخروج عن حد العدل في الرجل أن هناك آيات أخرى في القرآن تثبت هذا الموضوع وتوجهه، حيث يقول تعالى:] B C D E F G H

I K L M N O P R S T U V W

(1) رضا، محمد رشيد (1935م)، حقوق النساء في الإيلام وحظهن من الإصلاح المحمدي، وضع هوامـشه: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- القاهرة، (د.ط)، ص47.

(2) البقاعي، نظم الدرر، ج2، ص252.

X Y Z النساء: ١٢٩، ويقول أيضاً: [Z [\ ] ^ _ ` a b d

e f g h i j k l n o p q Z النساء: ٣.

فتتحدث هذه الأخيرة عن إمكانية الرجل من الزواج مرة أخرى بعد زواجه الأول، بل له أن يتزوج ثالثة ورابعة، وعلى الرغم من السماح له بذلك إلا أنه قيد ذلك بضمان العدل بين هؤلاء النساء، فإن لم يكن قادراً على العدل بينهن فقد أمره الله تعالى بالاقتصار على واحدة، لأن من حكمة الله تعالى الحفاظ على البيوت وليس هدمها، ولأن الله تعالى خلق الإنسان وهو أعلم بطبيعته، ويعلم ما جبل عليه الرجال من حب النفس، وما جبلت عليه النساء من العاطفية والحساسية، نظم هذا الحكم ليضمن للطرفين حقهما، لكن ضمن شروط يراعى فيها كلاهما، وفي ذلك من تحقيق التراحم والكرامة ما يضمنه، ويعلل القرآن اشتراط العدل بين النساء لما يعلمه من تطرف الرجل في ميله لما يحب، فقال: [n o p q Z النساء: ٣، أي: ألا تظلموا أحداً هو من مسؤوليتكم وهن النساء، ونلاحظ التعبير «أدنى» أي: أقل ما يمكن لكم أن تفعلوه لكي لا تظلموا زوجاتكم ويُضمَن حقهن، وهو الاكتفاء بواحدة.

ويقال كذا في الثانية، إلا أنها أشد تأكيداً على عدم قدرة الرجال على العدل بين النساء، وأنهم لو تزوجوا أكثر من واحدة فإنه لا بد لهم من أن يخرجوا عن حد الاعتدال بظلم أحدهن، لأنه من المحتمل جداً أن ينحاز إلى واحدة منهن، فلا يوفي الأخريات حقهن من الرعاية والنفقة والمسؤولية، فقد فعل ذلك بطبيعته، ولكي لا يظلم من هم تحت مسؤوليته وأمانته أمره الله تعالى أن يعدل ويسدد ويقارب فيما تذهب إليه نفسه، فلو تأملنا اللفظ القرآني: [B C D E F G H I Z النساء: ١٢٩، نجدها نتيجة حتمية بأن الرجل غير قادر على العدل بين النساء، لأن الله تعالى فطره على حب الأفضل والأجمل، فعقّب ذلك بقوله: [K

L M N Z، ولو نظرنا للألفاظ المستخدمة في الآية من حيث تأدية المعنى المراد وهي «ولن تستطيعوا» «ولو حرصتم» «كل الميل» «فتذروها»، لوجدناها كلها تدل على أقصى ما تحمله الكلمة من معنى، فقوله: "ولن تستطيعوا" نفي القدرة بـ"لن" يدل على التأكيد بعدم القدرة مطلقاً، وقوله: "ولو حرصتم" نجد أن الحرص يعبر عن أقصى درجات الحذر والانتباه لما يقوم به الإنسان، وكذلك قوله: "كل الميل" فإن إضافة "كل" إلى "الميل" تدل على مطلقه وتمامه، وقوله: "فتذروها" تدل على مطلق الترك، لذلك لم يقل: (تتركوها) لأن الترك لا يدل على مطلقه عكس "تذروها"، فنفهم من ذلك ما هي طبيعة الرجل، وما يجب عليه ليهذب طبيعته في تعامله مع المرأة للوصول إلى نتيجة ترضي الطرفين وتحقق الغرض النفسي الأول من الزواج وهو المودة والرحمة، والله أعلم بمراده.

يقول سيد قطب: " إن الله الذي فطر النفس البشرية، يعلم من فطرتها أنها ذات ميول لا تملكها، ومن هذه الميول أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات، بل إنه يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء- ولو حرصوا- لأن الأمر خارج عن إرادتهم، ولكن هنالك ما هو داخل في إرادتهم، هناك العدل في المعاملة، العدل في القسمة، العدل في النفقة، العدل في الحقوق الزوجية كلها، حتى الابتسامة في الوجه، والكلمة الطيبة باللسان، وهذا ما هم مطالبون به، هذا هو الخطام الذي يقود ذلك الميل، لينظمه لا ليقتله! [K L M N O P Z فهذا هو المنهي عنه، الميل في المعاملة الظاهرة، والميل الذي يحرم الأخرى حقوقها، فلا تكون زوجة ولا تكون مطلقة، ومعه الهتاف المؤثر العميق في النفوس المؤمنة؛ والتجاوز عما ليس في طاقة الإنسان".(1)

(1) سيد قطب، الظلال، ج6، ص3296

ونرى قوله تعالى:] , - . / 1 2 3 4 5 6 8 9

: ; > Z البقرة: ٢٣١. فهنا يوجه القرآن الأزواج عند طلاق زوجاتهم بـــأن يـــسرحوهن بإحسان أو يمسكوهن بمعروف، ونهاهم عن إبقائهن بهدف إيذائهن وإلحاق الضرر بهن، ســـواءً على الصعيد المادي، بأن تختلع المرأة منه بمالها، أو المعنوي بالانتقام منها والإساءة لها، والمهم هنا أن نعرف أن الرجال مستعدون للتسلط على المرأة، فجاء التوجيه الإلهي للنهي عن ذلك، قال صاحب «البحر»: " ومعنى ضراراً: فسر بتطويل العدّة، وسوء العشرة، وبتضييق النفقة، وهـــو أعم من هذا كله، فكل إمساك لأجل الضرر والعدوان فهو منهي عنه".(1)

وعقّب ذلك بقوله:] 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; > Z للتأكيد على عظم هذا الأمر، لأن من يظلم الناس فما هو في الحقيقة إلا ظالم لنفسه بما سيلاقيه من حـــساب الله وعقابه، وقد حذر الله تعالى من التهاون بآياته واتخاذها لهواً واستهتاراً لعظم شأن هذا الأمـــر عنده، فمعاملة الرجل للمرأة بالحسنى هو أمر أكد عليه القرآن والشرع في كل جزء من أجزائه.

ويشرع الله تعالى في كتابه ما يضمن للمرأة حقوقها وعدم ضياعها لها أو غبنها فيها، من إعطائها إياها بالمعروف- وهو ما تعارف عليه الناس في العرف أو الشرع من قدر معين- فيقول:] h i j k l Z البقرة: ٢٢٨،] وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ © رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ Z البقرة: ٢٣٣،] وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ à ٱللَّهَ â تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ Z البقرة: ٢٣٣، وغيرها من الآيات، فمن المحتمل أن يستغل الرجل ضعف زوجته ويتجبر فيها فلا يعطيها حقها كما يجب.

(1) أبو حيان، محمد بن شهاب الأندلسي (ت745هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، ط(1992)، ج2، ص489.

ومن الأمور التي تثبت تطرف الرجل وتسلطه: الآيات التي تتحدث عن الظهار والإيـلاء، فقد تحكم بحق يشمل الطرفين- هو وزوجته- لكنه غالى في ذلك وجعله حقاً له وحده يتخذه متى شاء، وهذا مخالف لتعاليم الشرع والدين.

إلى هنا أكون قد تحدثت أن من خصائص الرجل النفسية التطرف والخروج عن حد الاعتدال بدراسة قرآنية نفسية وتاريخية ومنطقية.

المطلب الرابع: الميل للكتمان مع الميل للمجتمع الخارجي

قال ابن منظور في «لسان العرب»: "الكتمان: نقيض الإعلان، كـتم الـشيء يكتمـه كتمـاً وكتماناً، واكتتمه وكتمه، ورجل كاتم للسر وكتوم، وسر كاتم أي: مكتوم، ومكتّم بالتـشديد بولـغ في كتمانه، واستكتمه الخبر والسر".[1]

ويبدو على الرجال أن من طبعهم عدم الرغبة في الإفصاح عن كل ما يجول في خـواطرهم أو ما يحصل لهم من أحداث، وهذا راجع إلى قلة كلام الرجال بسبب كثـرة التعـاملات التـي يتعرض لها أثناء يومه، وخروجه المستمر من البيت، فيميل للإسرار، عكس المرأة التـي تميـل للبوح عما يجول في نفسها- وسنفصل الكلام عنها في بابها- لأنها تقضي معظـم الوقـت فـي الأماكن المغلقة، وهذا الأمر يتناسب مع وظيفة الرجل، فهو يميل للإسرار لقلة كلامـه، ويميـل للخروج المستمر من البيت والسعي نحو العمل، لأنه مطالب بالإنفاق، فقد قـال تعـالى:] 8 9 : ; < = > ? @ A Z الجمعة: ١٠. يقـول البقـاعي: «فـإذا قضيت الصلاة» أي: وقع الفراغ منها على أي وجه كـان «فانتـشروا» أي: فـدبوا وتفرقـوا مجتهدين في الأرض جميعها إن شئتم، لا حجر عليكم ولا حرج، رخصة من الله لكم «وابتغوا»

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، م7، ص596.

أي: وتعمدوا وكلفوا أنفسكم مجتهدين بالسعي في طلب المعاش بالبيع والـشراء وغيرهمـا مـن مصالح الدين والدنيا".(1)

ويدل على ميل الرجل للإسرار قوله تعـالى:] فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ Z يوسف: ٧٧. فعلى الرغم من تقوُّل إخوته عليه بالباطل وهو صاحب السلطان، إلا أنه كتم ما يجـد في نفسه منهم، لأنه يعلم أن الوقت لم يحن لإظهار ذلك وأنه يتطلب الصبر، قال أبو الـسعود: " «فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ» أي: أكنّ الحزازةَ الحاصلة مما قالوا «فِـي نَفْـسِهِ» لا أنـه أسـرّها لـبعض أصحابه، كما في قوله تعالى:] وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا Z نوح: ٩، «ولَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ» لا قولاً ولا فعـلاً صفحاً عنهم وحِلماً".(2)

وكذلك قوله تعـالى:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q S T U V W X Y [\ ] ^ Z التحريم: ٣، فيدل ذلك على ميل الرجل للكتمان وميل المرأة للبوح، فالقرآن يعرض لنا الموقف الذي يسر فيـه الرجـل فإن المرأة تقابله بالبوح.

ونرى في سورة يوسف التي تعرض نماذج للرجل ونماذج للمرأة، أن موقـف الرجـل هـو الكتمان، سواء كتمان العزيز مما حدث مع زوجته مع سيدنا يوسف- عليه الـسلام- أو موقـف سيدنا يوسف من إخوته، ثم موقف امرأة العزيز من النسوة اللاتي أفشين سرها فـأخبرتهن بمـا حصل معها، وموقف الرسول من زوجاته حيث أسر لإحداهن حديثاً فقامت هي بالبوح به، وهذا

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج7، ص601.
(2) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1419-1999)، ج3، ص419.

يعرف كذلك بمفهوم المخالفة، وهو: معنى يقابل الآخر بما يعاكسه، وسأتحدث عن بـوح المـرأة في بابه إن شاء الله تعالى.

والرجل يميل للكتمان لأنه يخشى عادةً عاقبة البوح ويضع له حسباناً كبيراً، لأنه - كما قلت - يحكم عقله غالباً، فلا تأخذه العاطفة ويفشي ما عنده من أسرار، ويتجلى ذلك من موقـف عزيـز مصر مع زوجته ومع سيدنا يوسف، حيث أمره بتكتيم الموضوع وعدم إفشائه لكـي لا يفتـضح أمره في المدينة، واكتفى بأن يأمر زوجته بالاستغفار دون إحداث بلبلة حول الموضـوع، قـال تعالى:] يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ Z يوسف: ٢٩. قال الرازي: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا» أعرض عن ذكر هذه الواقعة حتـى لا ينتـشر خبرهـا ولا يحصل العار العظيم بسببها، وكما أمر يوسف بكتمان هذه الواقعة أمر المرأة بالاستغفار".[(1)]

كذلك قد يخفي الرجل بعض مشاعره من الحزن والبكاء، لأنه يريد المحافظة دائمـاً علـى صورة الهيبة والصمود في نفسه دون أن تتعرض للاهتزاز.

ويلحظ أن الرجال عادة يخفون على زوجاتهم بعض ما يحدث لهم، أو يكتمون بعض المشاعر تجاههن، وهذا قد يعد أمراً سلبياً؛ لأن هناك أموراً يجب على الرجل أن يصارح بهـا زوجتـه، لأنها شريكة له في كل أموره، بل عليه أن يستشيرها في بعض هذه الأمور، خاصـة إن كانـت تعود بمصلحة على حياتهما وتبعدها عن مجال الشك والتناقض، بل تزيد من سعة الثقة بينهمـا، أما إذا كان الرجل على يقين من أن زوجته لن تتقبل الأمر الذي سيصارحها بـه، فالأفـضل أن يتجنب البوح بذلك، لأنه سيعود بالضرر على مستقبل حياتهما الزوجية، أما ما يتعلـق بمـشاعر

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج6، ص447.

الزوج تجاه زوجته فلا داعي لأن يخفي الزوج ذلك على زوجته، لأن هذا الإفصاح يبني العلاقة بينهما ويوطدها.

يقول آلان وباربرا بيز: "فيما يخص الرجال فالكلام لا يشكل مقدرة أساسية لدماغهم، والنصف اليساري من المخ هو المسؤول تحديداً عن اللغة، ولكن لا يوجد منطقة محددة يمكن اعتبارها مختصة بالكلام، وقد كشفت الدراسات أن أغلبية الإعاقات الكلامية عند الرجال تكون نتيجة لإصابة مقدمة نصف الدماغ الأيسر".[1]

وفي مرجع آخر يقولان: " وقد أدى امتلاك الرجل لعقل غير بارع في مهارات اللغة والكلام إلى ظهور الاختلافات الملحوظة بين الجنسين فيما يتعلق بمشكلات اللغة، حيث يفوق الرجال النساء بنحو ثلاث إلى أربع مرات في الإصابة بصعوبات النطق... إن عقول الرجال مبرمجة على حل المشكلات، والرجل يستخدم اللغة والكلام لكي يتحدث عن الحقائق والبيانات، ومعظم الرجال يتحدثون عندما يكون لديهم شيء ليقولوه... والرجل يتحدث مع رجل آخر حول مشكلة شخصية يعاني منها في حالة واحدة فقط؛ إن شعر أن هذا الرجل الآخر بإمكانه حل هذه المشكلة".[2]

وعندما يتعرض الرجل للضغوطات والمشكلات فإنه يعزف عن الكلام ويميل للصمت وعدم البوح، يقول د.جون جراي: "عندما يتضايق الفرد من أهل المريخ -الرجل- لا يتكلم أبداً عما يضايقه، فهو لن يثقل كاهل فرد آخر من أهل المريخ بمشكلته إلا إذا كانت مساعدة صديقه ضرورية لحل المشكلة، وبدلاً من ذلك يصبح هادئاً جداً، ويدخل إلى كهفه الخاص ليفكر في

---

(1) آلان وباربرا بيز، معارك قيس وليلى، ترجمة غزوان الزركلي، دار كنعان- دمشق، ط1(2005م)، ص93.

(2) آلان وباربرا بيز، لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة، مكتبة جرير، ط1(2005م)، ص163-164.

مشكلته، يقلبها ليجد حلاً، وعندما يجد الحل يشعر بتحسن ويخرج من كهفه، وإذا لم يكن قـــادراً على الوصول إلى حل فإنه يقوم بشيء لينسى مشكلاته، مثل قراءة الأخبار أو ممارســـة لعبــة، وبتحرير عقله من مشكلات يومه يستطيع تدريجياً أن يسترخي".[1]

المبحث الثاني

الخصائص النفسية للمرأة

في هذا المبحث سأقوم بدراسة لنفسية المرأة حسب ما ورد من إشارات لها في كلام الله تعالى في كتابه الكريم.

المطلب الأول: الرقة والحياء

عن أبي هريرة t ، عن النبي r قال: " الإيمان بضع وستون شعبة، والحيـــاء شـــعبة مـــن الإيمان".[1]

---

(1) جراي، جون، الرجال من المريخ النساء من الزهرة، مكتبة جرير، ط3(2008م)، ص59.

قال **الفيروز أبادي**: "والحياء، بالمد: التؤبة، والحشمة، حيي منه حياء، واستحيا منه، واستحى منه، واستحياه، وهو حيي، كغني: ذو حياء، والحشم، بضمتين ذو الحياء التام".(2)

قال الراغب الأصفهاني: "الحياء: هو انقباض النفس عن القبيح، وهو من خصائص الإنــسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، وهو مركب من جبن وعفة".(3)

وقال **النووي**: "الحياء: هو خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير فــي حــق ذي الحق".(4)

فدل ذلك على أن الحياء سمة المؤمن، وأنه من تمام الإيمان، سواء كان المتصف به رجلاً أو امرأة، لكنه في المرأة أظهر، لأن حظ الرجل من الشجاعة والجرأة أكبر من حظها.

على أن المرأة سليمة الفطرة تتصف برقتها، ومبعث هذه الرقة هي طبيعة الخلق الذي جاءت منه، وطبيعة البنية الجسدية التي تتمتع بها، إضافةً إلى الجبلة النفسية التي حــازت عليهــا، أمــا طبيعة الخلقة فأقصد بها: أنها خلقت من ضلع آدم، وهو الضلع الأعوج فيه كما هو معلوم، فقــد قال الله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 Z النساء: ١، وعن أبي هريرة قال: قال الرسول **r** : "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقــت

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب أمور الإيمان، ص60

(2) الفيروزأبادي، أبي طاهر مجد الدين محمد (ت823هــ)، القاموس المحيط، اعتنى به حسان عبد المنــان، بيت الأفكار الدولية- لبنان، ط(2004)، ص447.

(3) الراغب الأصفهاني (ت502هــ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيــق صــفوان داوودي، دار القلــم دمــشق، ط1(1412-1992)، ص270.

(4) النووي، محي الدين بن شرف(ت676هــ)، رياض الصالحين، مؤســسة الريــان- بيــروت، ط(1414-1994)، ص331.

من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه فقد كسرته، وإن تركته لـم يـزل أعوج، فاستوصوا بالنساء".[1]

فدلت الآية على أن أصل خلقة المرأة هو ضلع من آدم-حتى لو كان المعنى مجازاً فإنه يشير لهذا المعنى- وبيّن الحديث أن هذا الضلع فيه عوج، ولأن الضلع رقيق فقد أوصى الرسـول r به خيراً، ووجه الرجال إلى عدم محاولة تقويم هذا العوج، لأنه في النهاية سيؤدي إلـى كـسره، لذلك أرشدهم إلى تركه كما هو والاهتمام بالمرأة وهي على هذه الطبيعة، حتى أن هناك روايـة تقول: " وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج"[2] أي: أن الرجل لولا هذا العوج الموجود بالـضلع الذي خلقت منه المرأة وجاءت على هذه الشاكلة لم يستطع الاستمتاع بها بوضع طبيعي، ذلك أن الرجل يميل للمرأة الرقيقة وهي صفة للمرأة تجذب الرجل لها، فلو لم تكن بهذه الرقـة لنفـرت منها نفس الرجل ولم يستلطفها، وبالتالي عدم سير الحياة الزوجية كما ينبغي، وهذا مـا يحـصل مع الأزواج الذين استرجلت عندهم المرأة ولم تتصف بالأنوثة المطلوبة، فنفـر منهـا زوجهـا، فكانت حكمة الله تعالى في خلق المرأة من هذا الضلع الأعوج لتكون كائناً رقيقاً.

وهناك من يبين أن المقصود بأن أعوج ما في الضلع أعلاه، أي: هو ما يحتويه الرأس وهـو العقل، أي طريقة التفكير، ولا أعتبرها صفة نقص في المرأة، بل جاءت لتلائم طبيعـة الرجـل التي خلق عليها من كونه يميل لقيادة المرأة، وأن تكون تحت رعايته وبحاجته، أي حتى طريقـة التفكير التي تنهجها المرأة يرغبها الرجل، لأنه يشعر بتفوقه عليها.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة أنـي جاعـل فـي الأرض خليفـة"، ص585.

(2) البيهقي، أحمد بن الحسين(ت458هـ)، شعب الإيمان، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1410-1990)، ج4، ص374.

أما الطبيعة الجسدية التي خلقت عليها المرأة، فتنبه على هذه الخاصية فيها -الرقة- لأن طبيعة جسدها في تكوينه الخارجي مظهر أنثوي رقيق، إضافة إلى تكوينه الداخلي من العظام والعضلات صفتها الرقة وصغر الحجم عادةً وقلة العضلات، ليكسبها الرقة في الشكل الخارجي والداخلي، وهذا مهم فيها لكونها زوجةً وأماً، فكل من الرجل والطفل بحاجة إلى لمسة الحنو منها.

وهذه الطبيعة الجسدية أضفت على المرأة رقة نفسية وحساً مرهفاً يشعر بكل ما يدور حوله، لأن مهمتها العطاء، فتعطي كل أحد حقه سواءً، كان أماً أو أباً أو زوجاً أو ابناً.

وينبثق من هذه الرقة الجسدية والنفسية صفة الحياء عند المرأة، " فالحياء ظواهر طبيعية تتجلى في سلوك الإنسان، وفي أغلب الحالات تظهر مؤشرات الحياء لدى النساء أكثر من الرجال".(1)

ويقول "كريستوف أندريه": إن هناك من يرتضي خجله ويستخدمه للحصول على عطف وحماية ورفق المحيط، وهذا النوع من المواقف يسهل اعتماده من قبل النساء، لأن مجتمعاتنا في الواقع تربط بسهولة الصفات التي تعزى تقليدياً إلى الخجل (النعومة والخضوع والعاطفة) بصفات أنثوية، وهكذا يجد العديد من الرجال أن النساء الخجولات فاتنات، لأنه من الأسهل إغراء شخص يشك بنفسه ولا يستطيع قول لا.(2)

وهذه الصفة نلاحظها في آيات القرآن التي جعلت الرقة والحياء العنصر الأساسي لأحد القصص القرآني، وهي قصة موسى عليه السلام مع ابنتي الرجل الصالح، حيث قال تعالى:

---

(1) مجد، محمد، الإنسان بمظهريه، دار الهادي- بيروت، ط1(1425-2004)، ص289، بتصرف.
(2) أندريه، كريستوف، الخجل، تعريب جورجيت الحداد، عوينات للنشر والطباعة- بيروت، ط1(1999)، ص19-20، بتصرف.

I H F E D C B A ? > = ; : 9 8 7 [

J Z القصص: ٢٣، فهما من رقتهما وحيائهما لم يقتربا للسقي مع وجود الرعاء، فلا قدرة لهما على مقارعتهم على السقي، وهذا ما يدل عليه لفظ «تذودان»، وطلب الفتاة من أبيها استئجار موسى عليه السلام للسقي عنهما، يقول صاحب الظلال: "إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال، وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت، امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى، والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة".(1)

وكذلك قوله تعالى:] \ [ ] ^ _ ` a b c d e

f g h i Z القصص: ٢٥، فهذا نص واضح يبين حياء المرأة وأنها خاصية نفسية لديها، وكما قلت من قبل إن الحياء يكون عند الرجال والنساء، لكنه أظهر في المرأة، فلو نظرنا إلى المشهد القرآني السابق لوجدنا حواراً من موسى عليه السلام للفتاتين، وحواراً آخراً من إحدى الفتاتين إلى سيدنا موسى عليه السلام، أما الحوار الأول فهو حوار من رجل لامرأة، ولم يظهر النص القرآني أن موسى عليه السلام قد استحى عند مخاطبته للفتاتين، فلم يقل: "قال موسى على استحياء: ما خطبكما" بل على العكس، فلم يبين أي تردد في إقباله على مخاطبتهما، بينما في الحوار الثاني الذي كان من إحدى الفتاتين لموسى عليه السلام أبرز نفسية المرأة الحيية وهي تخاطب الرجل.

---

(1) قطب، سيد، الظلال، ج5، ص2687.

وهذا أمر ضروري في الرجل والمرأة؛ بأن يكون حياء المرأة أشد من حياء الرجل، فالرجــل هو المبادر في العلاقة الزوجية الشرعية مع المرأة، فكان لابد من أن تتوافق الطبيعة النفسية مع هذه الوظيفة التي تحتاج إلى جرأة وعدم حياءٍ بدرجة معقولة، لكي تسير الحيــاة الزوجيــة فــي وضعها الطبيعي، فالرجل طالب للمرأة راغب فيها، وليس العكس، ولو خارجياً، وكانت المــرأة حيية لأنها مرغوبة وليست مبادرة، فإن لم تكن على قدر أكبر من الحياء من الرجــل لأصــبح هناك تضارب ما بين الرجل والمرأة، وما بين خــصائص المــرأة النفــسية نفــسها، لأن مــن خصائصها -اللاحقة- كذلك الغرور والكبرياء الأنثوي لكونها مرغوبــة، فلــو بــادرت الرجــل وصدها لسبب ما، أدى ذلك إلى تخلخل هذا الكبرياء، وبالتالي إحساسها بــالنقص وعــدم الثقــة بنفسها.

ثم يأتي بعد ذلك مشهد آخر يدل على حياء المرأة وهو طلب الفتاة من أبيها أن يستأجر سيدنا موسى عليه السلام، في قوله تعــالى:] y z { | } ~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُZ القصص: ٢٦، فنلاحظ حياءها في طلبها من أبيها، ذلك أنها أعجبت بموسى عليــه السلام وتمنته زوجاً لها لما رأته من الصفات الحميدة من القوة والأمانة، وهي من الصفات التــي تتمناها كل فتاة في الرجل الذي سيكون زوجاً لها، لكنها دعته لاستئجاره ولم تطلب منه مباشــرة أن يكون زوجاً لها، ففهم الأب مراد ابنته، لأن من شأن الفتاة ألا تتحــدث عــن الرجــل إلا إذا أعجبها، فلبى والدها دعوتها، فكان ما طبعت عليه من الحياء مانعاً لها من الطلب بشكل صريح.

وإذا استعرضت آراء بعض المفسرين في هذه الآية أجد **الآلوسي** يقــول: " علــى اســتحياء معناه: أنه كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معاً، لا عند المجيء فقط، وتنكير استحياء

للتفخيم، ومن هنا قيل: جاءت متخفرة أي شديدة الحياء، وأسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء، لئلا يوهم كلامها ريبة، وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى.

ثم إن كلامها هذا كلام حكيم جامع لا يزاد عليه، لأنه إذا اجتمعت الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك، وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول: استأجره لقوته وأمانته، ولعمري أن مثل هذا المدح من المرأة للرجل أجمل من المدح الخاص وأبقى للحشمة، وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها أن يزوجها منه".[1]

ويقول **ابن عاشور**: " وذكر «تمشي» ليبني عليه قوله: «على استحياء»، وإلا فإن فعل (جاءته) مغن عن ذكر «تمشي»، و«على» للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف، والمعنى: أنها مستحيية في مشيها، أي: تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة، مبالغةً في الحياء والاستحياء، وجعل لموسى اختيار إحداهما لأنه قد عرفها، وإنما اختارها دون أختها لأنها التي عرف أخلاقها باستحيائها وكلامها، فكان ذلك ترجيحاً لها عنده".[2]

ويقول صاحب الظلال: "[b c d e f g h i ¡ Z القصص: ٢٥، فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح؛ لا التلجلج والتعثر والربكة، وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم،

---

(1) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق محمد الأمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1(1421-2000). ج19، ص366.

(2) ابن عاشور، محمد بن الطاهر(ت1393هـ)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، (د.ط)، م8، ص103-106.

ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذي يطمع ويغـري ويهـيج؛ إنمـا تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب، ولا تزيد".[1]

يقول الأستاذ عصمة الدين: " إن من بين ما رُكِّب في المرأة من طبائع، بل ومن أبرزها فيها وأظهرها عندها: صفة الحياء التي تكاد تكون قاعدة عامة عند المرأة العادية التـي تربـت فـي وسط يؤمن بالأخلاق والفضيلة، فالحياء من أحمد الصفات وأحسنها في المرأة، فهو الذي يضفي على الأنثى جمالاً ويقوي الرغبة فيها... وللحياء مزايا أخرى من بينها ما يـؤثِّر علـى المـرأة نفسها؛ فيمنعها من الاندفاع الذي هو من مميزاتها خاصة إذا ركزته التربية الأخلاقية والتهـذيب الديني الذي يملي على الإنسان الابتعاد عن الفواحش والسيئات وعدم الاندفاع لها".[2]

ويضيف إلى ذلك الأستاذ عبد المنعم حسن: "أن الحياء في العصر الحـديث يـسمى بـصمام الأمان أو قناع الوقاية، لأنه يمنع المرأة من الاسترسال في الكيد والفتنة والإغراء، فيمنعها مـن الوقوع في الخطأ".[3]

ويقول الأستاذ كذلك: "إن حياء المرأة من مكملاتها الخُلُقية في نظر الرجال، لأنه دليل علـى تصونها وعفتها وتمنعها وأنوثتها، وقد أعجب به العـرب، لأن أخلاقهـم قائمـة علـى الغيـرة والعصبية والإشادة بالمرأة المتملكة لصفات الأنوثة".[4]

وفي الأحاديث ما يدل على هذا، فعن أبي سعيد الخدري قال: "كان النبي **r** أشد حيـاءً مـن العذراء في خدرها"[5]، فقد قورن حياء النبي **r** بحياء المرأة العفيفة والمصونة؛ لعظـم قـسطها منه، فدل ذلك على أن الحياء هو سمة المرأة -سليمة الفطرة- وطبيعتها بشكل ملازم لا يفارقهـا

---

(1) قطب، سيد، الظلال، ج5، ص2787.

(2) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص159.

(3) حسن، عبد المنعم، طبيعة المرأة في الكتاب والسنة، مكتبة النهـضة المـصرية- القـاهرة، ط1(1985)، ص53، بتصرف.

(4) عبد المنعم حسن، طبيعة المرأة في الكتاب والسنة، ص55.

(5) البخاري، صحيح البخاري، باب صفة النبي **r**، ص627.

بشكل عام، فهو أمر فطري يتحلى به كل إنسان؛ رجلاً كان أم امرأة، على أن حياء الرجل في الغالب الأعم لا يأتي مقابل المرأة، أما حياء المرأة فإنه يأتي مقابل الرجل في الغالب، وبدرجة أقل مقابل النساء.

لكن يبدو أن الأستاذ عباس العقاد يرى أن المرأة تتلقى عرفها من الرجل، وأن حياء المرأة إنما هو إملاء من الطبيعة أو من إملاء الرجل عليها، وأن الحياء الطبيعي لا يحسب من الأخلاق إنما هو عمل من أعمال التكوين يصطبغ بالصبغة الخلقية كلما وافقت آداب الاجتماع، أما الحياء الذي يمليه الرجل عليها فهو الذي يحسب من الناحية الخُلُقية، لأنه يتصل بشعور الرجل نحوها ونظرته لها، فالمرأة لا تستحي أمام المرأة، وضرب مثلاً لذلك بأن النساء لا تتوارى عن بعضها بالحمامات إلا أن تستتر لعيبٍ أو مخافةً من منافسة نظائرها لها.[1]

لكنني لا أوافق الأستاذ على كلامه، لأن هناك كثيراً من النساء من تستحي أن تكشف جسدها أمام النساء، حتى لو لضرورة، كالكشف أمام الطبيبة مثلاً، وليس لعيب فيها أو أنها تخاف من منافسة قريناتها، بل يرجع ذلك إلى الفطرة والتربية والبيئة والتنشأة الدينية للفتاة.

ويقول: "إن حياء المرأة الذي تتلقاه من طبيعتها: أنها تخجل من مفاتحة الرجل بدوافعها الجنسية، وتنتظر المفاتحة من جانبه وإن سبقته إلى الحب والرغبة".[2]

فقد قصر الحياء الفطري على الدوافع الجنسية، وهذا أمر غير مقبول، فالمرأة تستحي من كثير من الأمور، ولا يقتصر حياؤها على الأمور الجنسية، أو ما يرتبط بالرجل.

---

(1) العقاد، عباس محمود، المرأة في القرآن، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3(1969)، ص42-43، بتصرف.

(4) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص42.

الفرق بين الحياء والخجل، وهل هو فطري أم مكتسب؟

الفرق بين الخجل والحياء: " إن الخجل: معنى يظهر في الوجه، لغم يلحق القلب عند ذهاب حجة أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك فهو شيء تتغير به الهيبة. والحياء: هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يقال يخجل أن يفعله في هذه الحال، لأن هيئته لا تتغير منه قبل أن يفعله، فالخجل مما كان والحياء مما يكون، وقد يستعمل الحياء موضع الخجل توسعاً ".(1)

وقال بعضهم: "الخجل: هو فَوْرَة النفس لفرط الحياء، وإنما يحصر في الصبيان والنساء دون الرجال".(2)

"الحياء: هو انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق، أو أن الحياء: هو الخوف من ظهور شيء قبيح منه. أو أن الحياء يدل على أنه قد أحس بالقبيح، ومع إحساسه به يحذره ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فيه، ويعتبر من الفضائل التي تحت وصف العفة".(3)

يقول العقاد: "الحياء: هو مفاضلة بين ما يحسن وما لا يحسن، وبين ما لا يليق وما يليق، وما هو أعلى وما هو أدنى".(4)

ومنهم من يفرق بينهما بما يسمى الحياء الشرعي وغير الشرعي، معتبرين الحياء الفطري والمكتسب من الشرعي، والخجل من اللاشرعي، فـ"هناك حياء شرعي وهو ما كان وفق

---

(1) العسكري، أبو هلال (ت بعد 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط1(1421-2000)، ص212-213.

(2) داود، عبد الباري محمد، الحياء في الإسلام، مطبعة الإشعاع الفنية- مصر، ط1(2002)، ص89.

(3) ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تهذيب الأخلاق، وزارة الثقافة والإرشاد- دمشق، (د.ط)، ص49.

(4) العقاد، المرأة في القرآن، ص48.

الشرع وفيه معنى الحشمة[1]، ومن الحياء نوع يسمى الحياء النفساني أو الفطري، وهو الذي خلقه الله تعالى في كل نفس، أما الخجل فليس حياءً شرعياً؛ لأن الخجل إفراط في الحياء إلى حد الاضطراب والحيرة، ومن أجل ذلك كان مذموماً... فقالوا: "الحياء يمنع الرزق" و"حياء الرجل في غير موضعه ضعف"، فالمقصود بالحياء في هاتين الحكمتين هو الخجل".[2]

وقال ابن حجر العسقلاني: "الحياء الشرعي: هو الحياء الذي يقع على جهة الإجلال والتقدير للأكابر، وهذا الحياء مأمور به محمود".[3]

وقال آخر إكمالاً لرأي ابن حجر: "الحياء غير الشرعي: الخجل، وهو ما يقع من الإنسان على سبيل الضعف والمهانة، وقد يكون سبباً لترك أمر شرعي".[4]

يرى الغزالي أن الحياء الكامل يسبقه استعداد فطري يمهد له، أما الخجل فإنه يقع في الخير والشر وقد يوقع صاحبه في الأخطاء مع أنه العنصر البارز في الحياء.[5]

إذاً نفهم من ذلك أن الحياء فطري جبل الله تعالى عليه عباده ليساعدهم في اجتناب المعاصي، ومكتسب يستطيع الإنسان التحلي به عن طريق الإيمان بالله عز وجل والتعلم والتطبيق.

أما الخجل فهو صفة سلبية مَرَضية، تعبر عن اضطراب وضعف ومذلة.

---

(1) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1(1971)، ج1، ص502.

(2) العبد، محمد عبد اللطيف، الأخلاق في الإسلام، مكتبة دار العلوم- المبتديان، ط2(1405-1985)، ص189-190.

(3) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفيحاء- دمشق، ط3(1421-2000)، ص302.

(4) قرعوش، كايد، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج للنشر والتوزيع- عمان، ط4(1426-2006)، ص274-275.

(5) الغزالي، محمد، خلق المسلم، نهضة مصر للطباعة والنشر- القاهرة، ط1(1997)، ص152، بتصرف.

علامات الحياء:

"وإذا تأملت وجدت أن اضطرابات النفس لها علامات تظهر على البدن، وهــذا يــدل علــى التلازم بين النفس والبدن والظاهر والباطن، وهذه العلامات التي تظهر على البدن تختلــف مــن شخص لآخر، فمنهم من تكون العلامات ظاهرة على بدنه، ومنهم من لا تكون ظاهرة لا يلحظها إلا المتفرسون، وقد يختلف ظهورها من اضطراب لآخر عند الشخص نفسه على حسب اختلاف أحواله، وشدة الاضطراب الحاصل له، وصعوبة الموقف الواقع عليه، ومن أسباب الاضطراب: الفرح والحزن والغضب والحياء، ومن علامات الحياء: تصبب العرق، واحمرار الوجــه، وفــي شدة الحياء تكون علاماته: تغطية الوجه وخفض الرأس والانتقال من المكان والابتعاد الفــوري عن الأنظار لصعوبة المواجهة"[1]، كما ورد عن "أم سلمة، أن أم سليم جــاءت إلــى النبــي **r**، فقالت: يا رسول الله؛ إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمــت، قــال النبي **r**: "إذا رأت الماء"، فغطت أم سلمة- تعني: وجهها- وقالت: يــا رســول الله: أوَ تحــتلم المرأة؟ قال: "نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها".[2]

المطلب الثاني: الكيد

أما المعنى اللغوي للكيد، فقد ورد في القاموس المحيط: "الكيد المكــر والخبــث، كالمكيــدة، والحيلة والحرب".[3]

وفي تاج العروس: " الكيد: الأخذ على خفاء ولا يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه".[4]

وفي لسان العرب: " والكيد التدبير بباطل أو حق".[1]

---

(1) خنفر، حازم، تأملات وخواطر، الدار العثمانية- عمان، ط(2006)، ص27-28

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب الحياء في العلم، ص82.

(3) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، ص316.

(1) الزبيدي، تاج العروس، التراث العربي- الكويت، (د.ط)، ج9، ص122.

وعند المفسرين كالآلوسي: " وأصل الكيد: الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه[في الغالب الأعم]، وهو يستلزم الاجتهاد، فتجوز به عنه، وفيه إيذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل ليحتاطوا في الحفظ، فيكون الظفر بالمطلوب أتم في التبكيت، وتسميته كيداً لما أن ظاهره لطف وباطنه قهر".(2)

وعند الرازي: " الكيد: هو أن يحتال الإنسان ليوقع غيره في مكروه ".(3)

وقال الراغب: "ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، وهو يقتضي أن الكيد أخص من الاحتيال، وما ذلك إلا لأنه غلب استعماله في الاحتيال على تحصيل ما لو اطلع عليه المكيد لاحترز منه، فهو احتيال فيه مضرة ما على المفعول به، فمراد الراغب بالمذموم: المذموم عند المكيد لا في نفس الأمر".(4)

يفهم من ذلك أن الكيد يستخدم فيه التخطيط والتدبير في الخفاء، وفيه المذموم والممدوح.

وقبل الحديث في هذه الخصيصة النفسية لدى المرأة، أقول: إن الكيد صفة موجودة عند الرجال والنساء، وقد وصف الله كيدهم في عدة مواضع، مثل قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 Z يوسف: ٥، وقوله تعالى:] c d e Z الطارق: ١٥، وقوله تعالى واصفاً نفسه:] g h Z الطارق: ١٦.

فدل ذلك على أنها صفة إنسانية بشكل عام، لكن ما تختص به هذه الدراسة هو ما يخص جانب الرجل أمام المرأة والمرأة أمام الرجل، وليس الخصائص النفسية لدى الإنسان كما أشرت سابقاً، لأن هناك خصائص نفسية كثيرة يمتلكها الإنسان كونه إنساناً جبل على خِلقة معينة، مثل

---

(2) ابن منظور، لسان العرب، م7، ص776.

(2) الألوسي، روح المعاني،ج17، ص81.

(3) الرازي، التفسير الكبير، م3، ص344.

(4) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص728.

قوله تعالى:] 3 4 5 6 Z الأنبياء: ٣٧، وقوله عز وجل:] K L M N O P Q R S T U V W X Z المعارج: ١٩ - ٢١، وغيرها من الآيات التي تبين خصائص نفسية أخرى للإنسان، لا يتسع لها المجال والمقام لذكرها والتفصيل فيها، لذلك أخذت ما يخص الرجل ويؤثر عليه في معاملته للمرأة، وما يخص المرأة ويؤثر عليها في معاملتها للرجل، وهذا الكلام يقال في المطالب السابقة، فكل ما أوردته من خصائص نفسية يشترك فيه الرجال والنساء لكن بدرجات متفاوتة، نسبت أظهرها في الرجال للرجال وأظهرها في النساء للنساء، خاصة عندما يتقابل كل منهما أمام الآخر.

لذا فإن الكيد مشهور لدى النساء مقابل الرجل، وليس من شأن الرجال أن يكيدوا أمام المرأة، لأن الكيد هو وسيلة الأضعف للحصول على ما يريد وتنفيذ مساعيه، وبما أن المرأة أضعف من الرجل فإنها تلجأ للكيد وتحسن استخدامه غالباً، لتحصل على ما تخطط له، فهي لا تملك تلك البنية القوية التي يمتلكها الرجل الذي لا يلجأ للكيد أمام المرأة غالباً لأنه الأقوى، فتكون له السلطة وبالتالي لا يحتاج لوسيلة أخرى لتحقيق مآربه كالنساء.

ويعتبر الكيد سلاحاً مهماً وفعالاً تصل به المرأة إلى ما هو خير لها في الدنيا والآخرة إن استخدمته في الطريق الصحيح دون إيقاع الأذى بأحد[1]، فقد ورد في صحيح مسلم عن أسماء t قالت: "... جاءني رجل فقال: يا أم عبد الله، إنني رجل فقير أردت أن أبيع في ظل دارك، قالت: إني إن رخصت لك أبى ذلك الزبير، فتعال واطلب إلي والزبير شاهد، فجاء فقال: يا أم

---

(1) العظم، مؤيدة، سنة التفاضل وما فضل الله به النساء على الرجال، دار ابن حزم- بيروت، ط1(1421-2000)، ص192، بتصرف.

عبد الله... فقالت: مالك بالمدينة إلا داري؟! فقال لها الزبير: مالك أن تمنعي رجلاً فقيــراً يبيــع، فكان يبيع إلى أن كسب".[1]

وإن صفة الكيد عند النساء كخصيصة نفسية مسألة تطرَّق لها الكتاب العزيز، حيث وصــفت بالكيد في أربع مواضع في القرآن، أولها قوله تعالى على لسان عزيــز مــصر:] ´ µ ¶ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ Z يوسف: ٢٨.

وثانيها قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g h i j Z يوسف: ٣٣.

وثالثها قوله تعالى:] l m n o p q s t u v Z يوسف: ٣٤.

ورابعها قوله تعالى:] y z { | ~ جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ © ٱلَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ Z يوسف: ٥٠.

فهذا من الكيد الذي تستخدمه المرأة من أجل الحصول على ما تريد بطرق ملتويــة وخاطئــة توقعها بالحرام، لكنه أولاً وأخيراً سمة لها قد تستغلها بالخير أو الشر.

فإن فرط الحساسية عند المرأة وقوة اندفاعها نحو ما ترومه وتقتنع به يجعلها تستعمل كثيــراً من الوسائل التي تبلغها إلى غايتها ومن بينها الكيد، وفي قصة امرأة العزيز ما يدل على مكانــة الكيد عند المرأة إذا ما اندفعت بصلابة وثبات، عندما تقع فريسة لشدة حساسيتها وتستجيب لهــا، وفي هذه القصة يتجلى لنا في وضوح أن غريزة الجنس التي تلهبها العاطفة تقود بالتأكيــد إلــى

---

(2) مسلم، بن الحجاج(ت261هــ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد، دار إحياء التــراث العربــي- بيــروت، (د.ط)، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية، ج4، ص1716

الشر إذا لم تنظم بسياسة من الدين، فتحمل الإنسان على طلبها مهما بعدت وساءت نتائجها، وإن فاتته تجعله يستخدم كل الوسائل والأسلحة، ومنها الكيد والمؤامرات.[1]

يقول أبو السعود: "وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق

ولا تحسب هنداً لها الغدر وحدها سجية نفسٍ كل غانية هند".[2]

ويقول ابن عاشور: "الكيد: فعل شيء في صورة غير المقصود، للتوصل إلى مقصود... وقد استبان للعزيز براءة يوسف عليه السلام من الاعتداء على المرأة، فاكتفى بلوم زوجه بأن ادعاءها عليه من كيد النساء، فضمير جمع الإناث خطاب لها، فدخل فيه من هن من صنفها بتنزيلهن منزلة الحواضر".[3]

ويقول الأستاذ عبد المنعم حسن: "ومما يعين على أن الكيد لون من ألوان طبيعة المرأة وسمة من سماتها، أن الله سبحانه وتعالى أورد الحكم به عليهن على لسان من شهد به لهن في صورة قانون عام يصدق على النساء جمع، ولم يودره خاصاً لامرأة العزيز التي هي صاحبة الوقعة، الأمر الذي يدل على أن الكيد عام فيهن".[4]

وقد يرد تساؤل هاهنا، وهو هل من الممكن أن يستنبط الإنسان من خلال الآيات القرآنية خصيصة نفسية دل عليها كلام البشر في القرآن، مثل قول العزيز لامرأته: "إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم"؟ فليس كل كلام البشر الوارد في القرآن كلاماً صحيحاً، مثل قول فرعون: "فقال أنا ربكم الأعلى"، فهو وإن ورد في القرآن لكنه خاطئ غير صحيح؟

---

(1) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص162، بتصرف.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص384.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، يوسف(28)، م5، ص258.
(4) عبد المنعم حسن، طبيعة المراة في الكتاب والسنة، ص32.

ويرد على هذا التساؤل إضافةً إلى ما قلته من أن المخاطب عام لذلك قال: "إنه من كيدكن" مع أن صاحبة الحدث واحدة؛ أن الكلام الوارد في القرآن على لسان البشر، فالقرآن منه بموقفين، إما أن يعارضه ويكذبه، وإما أن يُقِرّه ويوافق عليه، وهذا واضح في مسألة كيد النساء، حيث أقر القرآن وصف العزيز للمراة بالكيد، حيث ورد على لسان يوسف عليه السلام هذا الوصف لهن في قوله تعالى:] b c d e f g h i j Z يوسف: ٣٣، وكذلك قوله تعالى:] إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ Z، وهو النبي المؤيَّد أولاً، ثم إقرار الله عز وجل له في هذا الوصف، وأن الكيد من سجايا النساء الطبيعية، حيث قال تعالى:] l m n o p q r s t u v Z يوسف: ٣٤، فقد ورد هذا القول عن الله عز وجل إقراراً ليوسف عليه السلام، فلم يكن مدعياً عليهن بما وصفهن، أما قول فرعون الطاغية:] H I J K Z النازعات: ٢٤، فقد عارض القرآن هذا القول وفنده، فلو نظرنا لسياق الكلام لوجدنا قوله تعالى:] ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q Z النازعات: ١٧ - ٢٥، فالسياق يدل على تكذيب فرعون وبيان طغيانه وعصيانه في ما قال عن نفسه من ادعاء الألوهية، ونتيجة لذلك استحق العذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

وقد يرد تساؤل آخر هو: هل من الممكن أن تستنبط خصيصة نفسية من قـصة وردت فـي القرآن، فهي لا تمثل جانباً ثابتاً مما يحدث من مواقف؟

ويرد على هذا التساؤل أن كل كلمة في القرآن جاءت لهدف ولرسالة معينة يصل إليها الإنسان من خلال تدبره وتفهمه لكلمات القرآن، ومنها القصص القرآني الذي يعرض نماذج بشرية تحاكي سلوك الإنسان، وتروي له قصته مع الحياة ومع الإله ومع النفس والغير، ومع المال والحيوان وغير ذلك، فهي تصور عنه يقاس عليه البشر، فامرأة العزيز كانت نموذجاً للمرأة الكائدة التي استهوتها الرذيلة، فخلعت ثوب الحياء والعفة عنها لتأخذ ما تريد، بينما يعرض لنا القرآن نموذجاً آخر للفتاة العفيفة الحيية التي لبست لباس التقوى لتحصل على حاجتها، وهي ابنة الرجل الصالح شعيب عليه السلام - كما رجح ذلك المفسرون - عندما رأت في نفسها إعجاباً بسيدنا موسى عليه السلام، أي أن القرآن عرض نموذجاً للحب العذري الشريف الذي يعود على صاحبه بالنفع والحصول على بغيته، ونموذجاً للحب الفاحش الرذيل الذي يعود على صاحبه بالفشل والفضيحة.

وهكذا قس في باقي القرآن الكريم، فالقصة فيه لا تعبر عن موقف عابر وأحكام غير ثابتة وخاصة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي قاعدة أصولية يتعامل بها مع أسباب نزول القرآن حسب المواقف والأحداث مع أشخاص معينين، لتعميم النص وشمول الغير به ممن يقاس عليهم، وهذا السبب من إبقاء القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وهو أنه كتاب شامل، وهكذا يقال في هذا المقام، فالكيد الوارد لا يخص امرأة واحدة بل كل امرأة، والله تعالى أعلم.

ويجب التنبيه إلى أن كيد النساء ليس كله مذموماً، إنما هناك المحمود منه، لذلك لا يعد خصيصة نفسية سلبية، بل على العكس فإنه يدل على قدرة المرأة وحنكتها، فعلى الرغم من ضعفها إلا أنها تغلب الرجل في هذا الجانب، فتستطيع بحيلتها فعل ما يعجز عنه الرجال، لأن هناك أموراً لا تجدي معها القوة شيئاً، بل تحتاج للتدبير والتحايل، ولا ننسى هاهنا قول الرسول

r : "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن".(1) وقولـــه **r** : "مـــا تركت بعدي فتنةً هي أضر على الرجال من النساء".(2)

قال الأستاذ عبد المنعم حسن: "وليس الكيد شراً كله، إذ يطلق على حسن التدبير وسعة الحيلة، ومما يلفت النظر أنه لم يرد وصف كيد الرجال بالعظيم، مع أن لهم منه حظـــاً يقـــل أو يكثـــر، وأحسب مرد ذلك إلى ما بين طبيعة الرجل والمرأة من فروق، إذ يعهد في المرأة لون خاص من ألوان الكيد يكاد يقتصر عليها، ولا ينسب إلى غيرها، ذلك بأن لها من طبائعها ما يساعدها عليه، كالغيرة وحدة العاطفة والضعف النوعي الذي يجعلها تعمد إلى الكيد والالتواء حـــذراً، حيـــث لا تقوى على المواجهة ولا تطيق المنازلة، ولم تعهد منها مقارعة الحجة بالحجة، فتستعيض بالكيـــد عن ذلك كله، وربما دفعها الكيد لإجادة الرياء والتفنن فيه".(3)

وهناك مسألة أخرى؛ أن المرأة تلجأ إلى هذه الطرق لإنجاز ما تريد تحقيقه، لأنه يتناسب مـــع طبيعة خَلْقها، فقد خلقت من ضلع أعوج، وهذا العوج الموجود في الـــضلع يـــدل علـــى وجـــود الالتواء، وكلنا يعلم أن الكيد من الطرق الملتوية التي يلجأ إليها المرء عندما لا يستطيع اســـتخدام الطرق المباشرة، وكيف لها أن تقوى على ذلك وقد وصفها الله تعالى بقوله:] u v w x y z { | } Z الزخرف: ١٨، وسنتطرق لهذه الآية بالشرح في المطلب القـــادم إن شاء الله تعالى.

وهنا مسألة مهمة في قضية لفظ الكيد في القرآن، وهي وصف هذا الكيد تارة، وعدم وصـــفه تارة أخرى، ذلك أننا لاحظنا أن الكيد ذكر بشكل عام منسوباً لعدة أطراف، منها ما نسب لله عز

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب ترك الحائض الصوم، ص107.
(2) مسلم، صحيح مسلم، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ج4، ص2097.
(3) عبد المنعم حسن، طبيعة المرأة في الكتاب والسنة، ص34.

وجل في قوله تعالى:] p q r Z يوسف: ٧٦، أي: دبرنا له هذا الوضـــع، وهـــو تأييد من الله عز وجل له، وكذلك قوله تعـــالى:] g h Z الطـــارق: ١٦، وقـــال عـــن كيـــد الكافرين:] c d e Z الطارق: ١٥، بحيث لم يوصف الكيد بشيء معين، لكن يوجـــد ثلاثـــة مواضع في القرآن وصف بها الكيد، أحدها: قوله تعـــالى عـــن نفـــسه:] h i j Z الأعراف: ١٨٣.

وثانيها: قوله عز وجل عن الشيطان:] R S T U V Z النساء: ٧٦، وثالثها: قوله تعالى عن النساء:] µ ¶ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ Z يوسف: ٢٨.

أما الموضع الأول فلا مراء فيه، فالله سبحانه وتعالى يتصف بأحسن الصفات، ولا يقارن بما وصف به غيره من الكائنات دون تعطيل أو تكييف أو تجسيم، فليس الكيد الذي وصـــف الله بـــه نفسه هو الكيد الذي وصفت به المرأة أو الشيطان، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً يليق بجلاله.

أما الموضعان الثاني والثالث فإنه يثير تساؤلاً لدى القارئ، بأن الملاحظ وصف كيد الشيطان دون غيره، ووصف كيد المرأة دون غيرها، وأن كيد الشيطان وصف بالضعف وكيـــد المـــرأة وصف بالعِظَم، وكلنا يلاحظ تضاد الوصفين فكل منهما مقابل الآخر، فلماذا كان ذلـــك يـــاترى؟ وهل من الممكن أن يكون المقصود أن المرأة أسوأ من الشيطان في تأثيرها على غيرها؟

هنا يجب التنبيه إلى قضية مهمة وهي السياق الذي وردت فيه كل آية، فلم يكن سياق مقارنـــة بين الشيطان والمرأة، لكي لا يظن ظانّ بأن المرأة تقارن بالشيطان، فهذا لا يليق بالتكريم الـــذي حازت عليه المرأة من الله سبحانه وتعالى ومن رسوله الكريم r، أما قضية وصف الكيـــد فـــي هذين الموضعين بوصفين متضادين، وأن يُظَنّ أن المرأة أسوأ من الشيطان في هذا الباب، فيأتي الجواب على ذلك كما يلوح لي؛ أن كيد الشيطان وصف بالضعف وكيد المرأة بالعظم؛ لأن كيـــد

الشيطان كيدٌ طريقُهُ خفيٌ يأتي على شكل وسوسة يستطيع الإنسان إدراكه بسهولة إذا ما استعان بالله عز وجل، أما كيد المرأة فَطُرُقُ كيدها ظاهرة في أغلب الأحيان يتعلق بما يشاهد أو يسمع، ومعلوم أن المرأة تستخدم في ذلك وسائل تتعلق بالشكل الخارجي الذي يُشاهَد، أو الصوت الذي يُسمَع، أو التحركات التي تُحَس، فتؤثر على الشخص أكثر، لأنه يقع تحت ضغط حقيقي، عكس الوسوسة الخفية وحديث النفس، إضافةً إلى ذلك، يعد كيد الشيطان ضعيفاً لأنه لا يملك سلطاناً على المرء، ولا يقدر على حكم أحد أو إجباره على فعل سوء، وهذا اعتراف منه نفسه، حيث يقول الله تعالى على لسانه:] i j k l m n Z إبراهيم: ٢٢، وقوله:] وَمَا © لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ Z سبأ: ٢١، أما المرأة فسلطانها كبير وشديد على الرجل، فيضعف لها وينزل عند رغباتها لرغبته بها، فللمرأة تأثير قوي بما خلقت عليه بكونها فاتنة ومغرية، وبما خلق عليه الرجل كونه يميل لها ويقع بشباك ومزالق الفتنة والإغراء، وعلى هذا فإن الرجل غير قادر على التمييز بين الكيد وغيره من التصرفات التي تتصرفها المرأة وفقاً لطبيعتها، فلا يأمن نفسه من حيلتها وما يظهر عليها وما تخفي في نفسها من مآرب، لذلك كان كيد الشيطان ضعيفاً على المؤمن، وكان كيد النساء عظيماً على الرجل.

يقول الرازي: "وكيد النسوة بالنسبة لكيد البشر عظيم، فالنساء لهن في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون للرجال".[1]

ويقول **الآلوسي**: "] إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ Z فإنه ألطف وأعلق بالقلب، وأشد تأثيراً في النفس، ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس عليه اللعنة وسائل لإغواء من صعب عليه إغواؤه، ففي الخبر: "ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء[1]".[2]

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، م6، ص447.

وألاحظ استعمال لفظ "عظيم" دون غيره من الألفاظ مثل "كبير" أو "كثير" فـــ"العظــيم": مـــا ينقص مقدار غيره عنه حساً أو معنىً".[3]

وقد يفسر ذلك بأن لفظ "عظيم" يدل على أثر الشيء، أما لفظ كثير فإنه يدل على عدد الشيء، ولفظ كبير يدل على حجم الشيء، إضافةً إلى أنك لو أردت أن تصف الأشياء من الناحية المادية تقول: كبير أو كثير، أما إذا أردت أن تصفها من الناحية المعنوية فإنك تقول: عظــيم، والــسؤال هنا هل أراد القرآن أن يصف حجماً أو عدداً مادياً؟ إنما أراد أن يصف أثر الكيد علـــى الرجـــال لدقته وعدم إدراكه.

وكما بينت سابقاً أن من دوافع الكيد الضعف وعدم القدرة على مواجهة الخصومات، فإن مـــن دوافعه كذلك الغيرة والميل للفتنة والإغراء بحد ذاتها، فعندما تتأجج الغيرة في المرأة فإنها تعمــد للكيد لتنال من خصمها، وكذلك حبها لأن تكون فاتنة ومغرية يدفعها لذلك لتحقيق مآرب نفــسها وشهواتها الفطرية، وسيتم التفصيل في هذا الأمر كخصيصة نفسية في بابه لكي أتجنب التكــرار، إن شاء الله تعالى.

ويرى الأستاذ العقاد أن كيد المرأة لون من ألوان الرياء لأنه إظهارها خلاف ما تبطنـــه، وأن رياء المرأة فرضه عليها ضعفها في الحياة الاجتماعية وحياتها البيتية، وهو صفة يتــشارك بهـــا مع المرأة كل من كان ضعيفاً ولو من الرجال، إلا أن الرياء الأنثوي يرجع لطبيعة في الأنوثـــة

---

(2) أبو عوانة، يعقوب بن اسحق(ت316هـ)، مسند أبي عوانة، تحقيق أيمن الدمشقي، دار المعرفة- بيروت، ط1(1419-1998)، ج3، ص142.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص568.

(3) البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص33.

تلزمها في كل مجتمع دون فرضٍ من الآداب أو الشرائع، بحيث لا يفارقها، سواءً اختارت ذلــك أم لا، بل يرى أنها ترفض أن يفارقها لو وكل لها الاختيار.[1]

ولست مع الأستاذ في قوله أن الكيد هو لون من ألوان الرياء الذي لا يفارقها والمفروض عليها بسبب ضعفها في الحياة الاجتماعية، إنما يرجع الكيد لخصيصة نفسية أودعها الله تعــالى فيهــا، تتقوى به أمام الرجل، وتدبر أمورها من خلاله.

المطلب الثالث: الضعف وتغليب العاطفة في مواجهة الأمور

العاطفة من العطف ومعناه في المعجم: "رَجُلٌ عَطُوفٌ وعَطّافٌ: يحمِي المُنْهَزِمينَ، وتَعَطَّفَ عليهِ: وصلَه وبَرَّهُ، وتَعَطَّفَ على رَحمِهِ: رَقَّ لها، والعاطِفَةُ: الرَّحِمُ صفةٌ غالِبةٌ، وقــالَ اللَّيْــثُ: العَطّافُ: الرجلُ الحَسَنُ الخُلُقِ العَطُوفُ على الناسِ بفَضْلِه، ويُقال: ماتَثْنِيني عليكَ عاطِفَــةٌ مــن رَحِمٍ ولا قَرابةٍ".[2]

إن طبيعة المرأة كما هو معلوم أنها ضعيفة أمام صاحبها الرجل صــاحب البنيــة الجــسدية القوية، وصاحب المشاعر المحدودة التي يستخدمها عند الضرورة فقط، بحيث يــستطيع تحكــيم عقله في مواجهة الأمور - كما مرّ سابقاً - عكس المرأة، ولا أقصد هنــا أن المــرأة ضــعيفة العقل، إنما هي لا تحسن استخدامه في المواقف الطارئة بطريقة حكيمة مئة بالمئة، لأن عاطفتها تغلبها، وهذا سر ضعفها، إضافةً لرقتها التي جبلت عليها تجعلها ضعيفة الخصومات غير قــادرة على المواجهة غالباً، وهناك من النساء من حكمت عقلها ولم تندفع لعاطفتها، ذكر منهن القــرآن الكريم كنماذج، مثل ملكة سبأ التي بدت حكيمة في مشاورتها لقومها أولاً، ثم طرحها ما تعرفــه

(1) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص23، بتصرف.

(2) الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع- بنغازي، (1386-1966)، م6، ص300

عن الملوك، فأرادت أن تتعامل معهم بما يعود لصالحها دون تهور، ومن ثم إيمانها بما جاء به سليمان عليه السلام، يقول الأستاذ عصمة الدين كركر: "اعتباراً لما في التشريع من توفيق بين الروح والمادة، وتعديل لسلوك الشخص حتى ينتبه لتعهد غرائزه النفسية، ويسعى لتهذيبها ولا يتركها تستبد به، زكى في الإنسان النفس اللوامة، وحكم عقله في عاطفته، ونظراً لما جبلت عليه الأنثى من شدة الحساسية وقوة الاندفاع جاء العرض التاريخي القصصي في القرآن يقدم لنا صوراً مختلفة لنماذج من قوة اندفاع نسوة ذكرهن منهن من غلبن الهوى وزكا عندهن العقل واندفعن وراء الحق [مثل ملكة سبأ]".[1]

لكن بالعموم فالمرأة تمتلك قدراً كبيراً من المشاعر، منها ما يتعلق بـ (الانفعال) وبشدة الإحساس، كمشاعر الحب والحنان والعطف والحاجة، ومنها ما يتعلق بـ (المزاج) والاضطراب، كمشاعر الحزن والقلق والخوف والتقلب، كل ذلك يجعلها تتصف بتغليب العاطفة على العقل في مواقف الحياة المختلفة، لأن من شأن هذا الكم الوافر من العواطف التي تتكرر في حياة المرأة بشكل دوري أن تخضعها لسلطانها بما تسببه من ضغط واضطراب في النفسية بشكل عام.

وهذه الخصيصة النفسية التي تتعلق بالمزاج منشؤها غالباً ما تحدثت عنه سابقاً من الاختلافات الجسمية بين الرجل والمرأة، بحيث تسبب تغييرات نفسية، كالحيض والحمل والولادة والنفاس والرضاع واليأس من الحيض، كلها تغييرات فسيولوجية متكررة دائماً في حياة المرأة يؤدي إلى عدم استقرار في مستوى هرمونات الجسم، وبالتالي التأثير على الأعصاب، ومن ثم المزاج الذي يتحكم في طبع صاحبته، مما يجعل وضعها النفسي والفكري في تقلب وعدم ثبات أو استقرار.

(1) عصمة الدين كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص162.

يقول الأستاذ محمد مجد: "إن الإفرازات الهرمونية في الواقع تؤثر هي الأخرى في مدى شعورنا بالسرور، فالفوليكولين والتستوسترون يثيران مشاعر البهجة لدى الإنسان بفارق أن الفوليكولين (الهرمون النسائي) هو أكثر إثارة لهذه المشاعر، وهذا هو سبب تجلي الشعور النسبي بالكآبة لدى المرأة أثناء الدورة الشهرية، بسبب فقدان أو انخفاض منسوب الفوليكولين في الجسم".[1]

وجاء حديث القرآن عن عاطفة المرأة بما عرضه لنا من نماذج لنساء ذكرن فيه، حيث وصف هذه العاطفة الأنثوية وولاّها اهتماماً كبيراً لينبه الرجل والمرأة لذلك، وإلى طبيعة خلق المرأة الفسيولوجية والسيكولوجية ليتعامل الرجل مع هذه الطبيعة معاملة عادلة، ويحقق لها جوانب أنوثتها، ومن خلال هذه النماذج نستطيع اكتشاف مدى عاطفية المرأة وتمكن مشاعرها منها، وأولها قصة مريم عليها السلام مع جبريل عليه السلام، حيث قال الله تعالى:] N

O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `

a b c d e f g h i j k l m n o p q r

s t u v w x y z { | } ~ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً

مِّنَّاۚ وَكَانَ © مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ´ µ ¶

ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ

رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا Z مريم: ١٧ - ٢٤.

(1) محمد مجد، الإنسان بمظهريه، ص173.

هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى يصور نفسية المرأة الطاهرة العذراء وهي تواجه رجلاً غريباً عنها يحاول محادثتها، فتنتفض هذه المرأة الضعيفة جسدياً ونفسياً لمواجهة هذا الرجل الغريب، فتبدو عليها مظاهر القلق والفزع، خاصة بعدما وجدت نفسها لا تملك أي سلاح تدافع به عن نفسها، فلجأت إلى سلاح المشاعر الذي تحسن استخدامه فقالت:] Z [\ ] ^ _ ` a Z لتلهب مشاعر التقوى والإيمان في نفس الرجل لترد عن نفسها ما يمكن أن يخدش فيها شيئاً، على الرغم من أن هذا الرجل لم يقم بأي عمل سيئ يجعلها تخاف أو تفزع منه، فهو ملاك بالأصل، فلا يصدر منه السوء، ولكن المرأة في مثل هذه المواقف تملكها عاطفتها وتوجهها نحو مخاوف قد لا تكون، فلا مجال هنا للتروي وتحكيم العقل بهدوء في ظل ما يعتريها من الشعور بالخطر، على الرغم من أن قولها:] _ ` a Z ينم عن فكر ناقد فهي تعرف ما يجب عليها قوله في هذا المقام، لكنه يصب في بحر المشاعر لأن تحكيم العقل يتطلب إبعاداً لها -العاطفة- قدر الإمكان.

وفي قوله تعالى:] m n o p q r s t u v w Z مريم: ٢٠ نلاحظ نفس المشاعر والعواطف التي تسيطر عليها من الخوف والفزع، فهي انتفاضة أنثوية للدفاع عن العفة والطهارة مجبولة بكم هائل من المشاعر والأحاسيس التي تجعل المرأة تحت ضغطها، ولا يعني عدم قدرة المرأة على تحكيم العقل لكن سرعة الاستجابة للعاطفة أسرع بكثير من سرعة الاستجابة لأحكام العقل.

يقول **الآلوسي**: " وكأنها عليها السلام من فرط تعجبها وغاية استبعادها لم تلتفت إلى الوصف في قول الملك عليه السلام: «لأهب لك غلاماً زكياً» [مريم: 19] النافي كل ريبة وتهمة،

ونبذته وراء ظهرها وأنت بالموصوف وحده وأخذت في تقرير نفيه على أبلغ وجه، أي ما أبعد وجود هذا الموصوف مع هذه الموانع بله الوصف، وهذا قريب من الأسلوب الحكيم".(1)

وفي آخر السياق:] ´ µ ¶ ¸ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا Z مريم: ٢٣ نجد الحزن الذي اعتراها في المخاض، وكيف أثر على نفسيتها، حتى أنها تمنت الموت، وكيف خاطبها القرآن بأن لاتحزن ففرج الله آتٍ.

ويقول **سيد قطب**: " ثم تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية، تواجه المخاض الذي «أجاءها» إجاءة إلى جذع النخلة، واضطرها اضطراراً إلى الاستناد عليها، وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء، فإذا هي قالت:] يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا Z فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها، وهي تتمنى لو كانت «نسياً منسياً»: تلك الخرقة التي تتخذ لدم الحيض، ثم تلقى بعد ذلك وتنسى!".(2)

فإذا انتقلنا إلى نموذج أنثوي آخر وجدنا أم موسى عليهما السلام تصور نفسية المرأة الأم التي تعتبر مشاعرها من أكثر العواطف التي تتفاعل معها وتستجيب لها، قال تعالى:] .

/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B

C D E Z القصص: ٧، وقال تعالى:] j k l m n o p q

r s t u v w x y z { Z القصص: ١٠، وقال عز وجل:

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج15، ص527.

(2) سيد قطب، الظلال، ج4، ص2307.

] فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ Z القصص: ١٣.

يقول الرازي: "] ; < = > Z والخوف: غم يحصل بسبب مكروه يتوقع حصوله في المستقبل، والحزن: غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي، فكأنه قيل: ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني بسبب فراقه".(1)

وذكر البقاعي: " والآية من الاحتباك، ذكر الإرضاع أولاً دليلاً على تركه ثانياَ، والخوف ثانياً دليلاً على الأمن أولاً، وسرُّه أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها وتسكيناً لرعبها، «فارغاً» أي: في غاية الذعر، لما جبلت عليه من أخلاق البشر، قد ذهب منه كل ما فيه من المعاني المقصودة التي من شأنها أن يربط عليها الجأش".(2)

فهنا يصور خوف الأم وحزنها على وليدها الذي لا تعرف مصيره أمام فرعون الطاغية، وفوق هذا الخوف تؤمر بإلقاء ابنها في البحر بأمر من الله؟!! ولكنه يراعي نفسية هذه الأم ويخاطبها بناءً على ما خلقها عليه من الفطرة الحساسة والطبيعة العاطفية، فيقوم بتطمينها بأنه سيرده إليها سالماً، وكان الخطاب بمثابة العهد والوعد من الله عز وجل، فلا داعي للخوف والحزن، وليس هذا فقط بل قال لها:] C D E Z أي: أنه سيحظى بحياة إلى أن يبلغ أشده ويكون رسول الله جل وعلا، وذلك لأن المرأة تحتاج إلى الكثير لتشعر بالأمان، فراعى الله تعالى فيها هذا الجانب رحمةً منه وفضلا.

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، م8، ص579.

(2) البقاعي، نظم الدرر،ج5، ص466.

ثم بعد أن ألقته باليم جاء القرآن ليصور نفسية الأم وعاطفتها بعد هذا الحدث الجلل، فقد شـبه قلبها المفجوع بفقدها ولدها -على الرغم من أنه فقدٌ مؤقـت- والخـالي مـن كـل المـشاعر والأحاسيس إلا حنينها لابنها، بالوعاء الفارغ من كل شيء أمام شخص يعـاني الجـوع حتـى السراب، فالمرأة تعطي عاطفتها لكل من تحب، فإن غاب عنها عانت وتألمت.

أما قوله تعـالى:] j k l m n p q r s t u v w x y z { Z نلاحظ كيف غلبتها عاطفتها وتحكمت بها، فكادت تندفع وراءها دون حسبان للعواقب التي ستكون إذا ما هي باحت بسر طفلها، فما منعها من البوح إلا تأييد من الله تعالى لها ليحقق حكمته فيما أمر وقضى.

يقول صاحب البحر المحيط: " «وأصبح»: أي صار فارغاً من العقل، وذلك حين بلغهـا أنـه وقع في يد فرعون، فدهمها أمر مثله لا يثبت معه العقل، لا سيما عقل امرأة خافت على ولـدها حتى طرحته في اليم، رجاء نجاته من الذبح؛ هذا مع الوحي إليها أن الله يـرده إليهـا ويجعلـه رسولاً، ومع ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم".(1)

يقول ابن عاشور: " وإذ لم يذكر أن فؤاد أم موسى لماذا أصبح فارغاً، احتملت الآية معـاني ترجع إلى محتملات متعلق الفراغ ما هو؟ فاختلف المفسرون في ذلك قديماً، ومرجع أقوالهم إلى ناحيتين: ناحية تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها، وناحية تؤذن بتطرق **الضعف والشك إلـى نفسها**، فأما ما يرجع إلى الناحية الأولى فهو أنه فارغ من الخوف والحزن، فأصـبحت واثقـة بحسن عاقبته تبعاً لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى الثناء عليها.

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص289.

وهذا التفسير يقتضي الجمع بين الثناء عليها بحسن ثقتها بالله، والإشارة إلى **ضعف الأمومة بالتشوق إلى ولدها** وإن كانت عالمة بأنه يتقلب في أحوال صالحة به وبها.

والربط على القلب: توثيقه عن أن يضعف، كما يُشَدُّ العضو الوهِن، أي: ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه".[1]

ثم يأتي المشهد الأخير في قوله تعالى:] فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ Z القصص: ١٣، حيث صور القرآن طبيعة عاطفة المرأة بعدما عاد إليها وليدها، كيف استقرت وانجلى عنها الحزن، ولأن المرأة كثيرة القلق والحزن كطبيعة أنثوية، جاء التعبير بلفظ: «كي تقر عينها» لما يحمله هذا اللفظ من تهدئة النفوس وتطمينها.

ولا نستغرب من كون المرأة على هذه الطبيعة، فهي تتناسب مع أهم وظيفة لها في هذه الحياة وهي الزوجية والأمومة، وكلنا يعلم أنها مسؤولة عن هذه الأسرة التي تحتاج لعناصر أساسية لتقوم عليها بشكل صحيح وسليم، فيؤدي إلى الحفاظ على بقائها وديمومتها، ومن أهم هذه العناصر: الحب والحنان والشعور بالدفء الأسري الذي يجعل كل فرد من أفرادها ينتمي لها ويساهم في بنائها، ولولا هذه العاطفة الموجودة عند المرأة لما تحققت كثير من حاجات الرجل وحاجات الأولاد بشكل تام وطبيعي.

وفي مقابل وظيفة الأمومة لم تعط المرأة وظيفة القوامة لهذا السبب، وكما قال الأستاذ علي يوسف: " وقد لاحظ الإسلام ذلك في طبيعتها [حدة العاطفة] حيث قرر شهادة امرأتين إزاء شهادة رجل واحد، فلربما كان الأمر متعلقاً بشدة تأثر المرأة لانفعالاتها نظراً لوظيفة الأمومة التي

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م8، ص80-82.

تقتضي ذلك...كما لاحظ ذلك أيضاً عندما أعطى الرجل قوامة الأسرة لما أن ذلك يناسب مزاجه وخلقه وطبيعته، ولأن القوامة على المرأة تناسب مزاجها وخلقها وطبيعتها".[1]

أي: تناسبها من حيث كون وظيفة الرجل القوامة عليها، ولا تناسب مزاج المرأة وخلقها وطبيعتها إذا كانت وظيفة لها.

ويشرح ذلك بأن المرأة شديدة الانفعالات، قوية العاطفة، بحيث تستولي على عقلها وتفكيرها وكيانها، لهذا أشار الدين إلى نقصان عقلها ودينها وكنّى عما يعتري المرأة دون الرجل من استفحال العاطفة، وسمي نقصاً لأن ترجيح العقل قد يقال عنه إنه نقصان في عاطفة الرجل أمام المرأة دون أن يمس جوهر أحدهما، ويقول: إنه قد يكون تكوين عقل المرأة الذي يعتبر أصغر حجماً من عقل الرجل وضعف اللفائف المخية- كما أشرت في الفصل التمهيدي- يرتبط بأصل تكوين المرأة واتجاهها العاطفي، واختلاف المظهر يؤدي إلى اختلاف الجوهر، وهذا لابد منه، لأن المرأة تختلف عن الرجل وفقاً لوظيفة كل منهما.[2]

وهناك من يقول في هذا الباب: " إن المرأة عاطفية بطبيعة تركيبها النفسي والفسيولوجي، وطبيعة الدور المفروض عليها في الحياة، وليس العيب أن تغلب عليها العاطفة، ولكن العيب أن لا يكون لها ضابط من رجل عاقل، ولا يمكن للمرأة أن تتفوق في العاطفة والعقل معاً، ولا يمكن أن يتفوق الرجل في العقل والعاطفة معاً، إذ هناك تكامل ما بين عقل الرجل وعاطفة المرأة... وهي الجانب اللين الذي يرتاح عنده الرجل بعد أن يكدح في الحياة طوال يومه ليوفر لها الرخاء المادي... وعدم استقرار المرأة جسدياً وعاطفياً يلجئها دائماً للحاجة للشعور بالأمن في ظل رجل يحبها، حتى تتفرغ لعاطفة الحب والحنان والصبر اللازمة للتربية".[3]

---

(1) علي يوسف علي، الرجل والمرأة في الإسلام، ص20-21.
(2) علي يوسف علي، الرجل والمرأة في الإسلام، ص20، بتصرف.
(3) الديب، محمد عثمان، قالت له، مطبعة السعادة، (د.ط)، ص159-160.

المطلب الرابع: الغرور والميل إلى لفت الأنظار وحب التقدير

وقد وجدت معنى الغرور في المعاجم ما يعبر عن الانخداع، لكن ما يهمنا في بحثنا هو المعنى المشير للتكبر، فيقول الفيروز أبادي في مادة الكِبْر: "والكِبْرُ: العَظَمَةُ، والتَّجَبُّرُ".[1]

ويقول ابن منظور في مادة خُيَلاء: "والخُيَلاء والخِيَلاء والأَخْيَل والخَيْلة والمَخِيلة كُلُّه الكِبْـر، وقد اخْتالَ، وهو ذو خُيَلاءَ وذو خالٍ وذو مَخِيلة، أَي: ذو كِبر".[2]

ومن خلال البحث في سيرة المرأة في القرآن الكريم، وجدت أن من خصائصها النفسية الغرور وحب إظهار الذات، سواء أمام نفسها أو أمام الآخرين، وهي خصيصة نفسية عند كل إنسان، صغيراً كان أم كبيراً، رجلاً أم امرأةً، لكن ما نتحدث عنه الآن هو ما يخص الكبيرياء الأنثوي الذي يعد دافعه الأساسي كون المرأة العنصر المطلوب والمرغوب عند الرجال، لأن رغبة الرجل بالمرأة وضعفه أمام شهوته لها تخلق عندها نوعاً من التعزز وحب فتنته وإلقاء شباكها عليه، لتأسره بها، فيلبي لها نداءً فطرياً هو الشعور بالأنوثة، قد يكون القصد من ذلك أحياناً تلبية متطلباتها التي تسعى للحصول عليها، وسأعرض الآيات القرآنية التي استشففت من خلالها هذه الخصيصة.

قال تعالى: [8 9 : ; < = > ? A

B C D E F H I J K L Z النساء: ٣٤.

أما آية النشوز فقد شرع الله تعالى هذه العقوبة للتي نشزت وخرجت عن طاعة زوجها ولم تقم بحقه وحق بيتها، فإذا نظرنا لنوعية العقوبة التي أُمِرَ الرجل باتباعها لإصلاح زوجته لوجدنا

---

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص468.

(2) ابن منظور، لسان العرب، م3، ص270.

أنها ابتدأت بالقول والموعظة الحسنة، وهذا أمر طبيعي أن يُوَجَّه الرجل إلـى الحـوار الهـادف أولاً، فإن لم تُجْدِ الصراحة والموعظة قام الرجل بهجر مضجع زوجتـه، وهـو - كمـا قـال المفسرون -: هجر الجماع وهجر التحادث وغيره من أمور العشرة، فإن لم يُجْـدِ ذلـك سـمح الشرع بالضرب غير المؤذي والذي لا يهين كرامة المرأة، ولعلي ألمس فـي العقوبـة الثانيـة والثالثة شيئاً من المعاقبة النفسية، فهنا علينا أن نفهم حكمة الله تعالى في شريعته، فقد خلقنا جـل وعلا بطبيعة هو أعلم بماهيتها، وجعل لنا من أمرنا ما يصلح هذه الطبيعة ويناسبها في كل مـن المعاملات والعقوبات والعبادات والأخلاق، فهجر المضجع له ما له من أثر نفسي علـى المـرأة التي اتسمت بالغرور لكونها مرغوبة عند زوجها، فهجرها بهذه الطريقة يكسر في نفسها ما رأته من غرور زائد وعجب قادها للخروج عن أمر زوجها.

فأي أثر يتركه هجره في نفسها رغم ما تمتعت به من جمال وفتنتها له طيلـة مكثهـا معـه، وعلى الرغم من ذلك لاقت صداً وإعراضاً لترتد عن غرورها الزائد، وترجع لنفسها فتعرف أن قدرها واعتزازها بنفسها يتحقق بطاعة زوجها والمحافظة على بيتها من التفكـك الـذي يعتبـر حاصلاً إذا ما استمرت على نشوزها، وكذا يقال في عقوبة الضرب، فهي ليست عقوبـة بدنيـة محضة، فهي إضافةً لكونها تخويفاً للمرأة من تسليط قوة الرجل عليهـا، فهـي عقوبـة نفـسية لصاحبة المشاعر الحساسة والمرهفة ذات الكبرياء العالي، ورغم ذلك تضرب لما خرجـت بـه عن طاعة زوجها، وذلك ليتحقق هذا الأثر النفسي على المرأة في كسر تعاليها الزائد، فاختار الله سبحانه وتعالى ما يحركها في صميم عواطفها، فهي آلتها للعيش، فترتدع، بينمـا عـالج نـشوز الزوج بطريقة أخرى بعيداً عن العواطف، لأنه ليس كتلة من المشاعر كما المرأة.

ويقول **سيد قطب** في تفسير هذه الآية: " والمضجع: موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها، فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء، فقـد

أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها، وكانت - في الغالب - أميل إلى التراجع والملاينة أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه، في أحرج مواضعها! «واضربوهن» وشواهد الواقع، والملاحظات النفسية، على بعض أنواع الانحراف، تقول: إن هذه الوسيلة تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه، وإرضائه، في الوقت ذاته!

فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب لنفسها أن تجعله قيماً وترضى به زوجاً، إلا حين يقهرها عضلياً! وليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذا الصنف من النساء موجود".[1]

ويقول الأستاذ العقاد في هذه المسألة عند شرحه لعقوبة هجر المضجع في حالة النشوز: "فهذا تأديب نفس لا تأديب جسد، بل هذا هو الصراع الذي تتجرد فيه الأنثى من كل سلاح، لأنها جربت أمضى سلاح في يديها... فإنما تكابر ضعفها حين تلوذ بفتنتها، فإذا لاذت بها فخذلتها فلن يبقى لها ما تلوذ به... وإنما هذه العقوبة إبطال عصيان وليس يُبطِل العصيان شيء كما يُبطَل بإحساس العاصي غاية ضعفه".[2]

أما ميل المرأة إلى لفت الأنظار والتقدير فيظهر لنا من خلال ما تفعله من إبداء زينتها وإظهارها على أحسن وجه، لتفتن الجميع بها، سواء كان رجلاً أم امرأة، ولتستحوذ على تقديرهم واهتمامهم، فقال تعالى:] ` a b c d e f g h

i j k l m o p q r t u v w x y

z { | } ~ أَبْنَآيِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج2، ص654.

(2) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص182-183.

© بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ

ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ Z النور: ٣١.

فهذا أمر من الله تعالى للنساء بأن يسترن أنفسهن وزينتهن أمام كل من حرم الله جل وعلا النظر إليها وهي متكشفة -وهم غير المحارم- إلا الوجه والكفين، على خلاف بين العلماء في ذلك، لأن من طبع المرأة أنها تحب إبراز مفاتنها من جسدها ومن زينتها، فإذا تأملت الآية الكريمة وجدت لفظ "يبدين" وهو من الإبداء أي: الإظهار عن عمد وقصد.

قال **ابن عاشور**: " وانتقل إلى نهي النساء عن أشياء عرف منهن التساهل فيها، ونهيهن عن إظهار أشياء تعوّدْن أن يحببن ظهورها، وجمعها القرآن في لفظ الزينة بقوله: ﴿ g h i j k l m ﴾".[1]

فنهين عن إظهار هذه الزينة لأمن حدوث الفتنة، وبالتالي فسادها وفساد المجتمع، وكذلك نلاحظ في لفظ «وليضربن» قوةً في الأمر بإخفاء ما يظهر من الجسد، فلم يكتف بقول: "وليضعن" أو "وليسدلن" مثلاً، بل اختار أمر الضرب، كأنه إضراب عن إبراز شيء من الجسد والرأس، ويقول الرازي: "وفي لفظ الضرب مبالغة في الإلقاء، والباء للإلصاق".[2]

ويبدو لي أنه أعاد الأمر بصيغة النهي "ولا يبدين زينتهن" أن الشارع أراد - وهو أعلم بمراده - التأكيد على عدم إبراز الزينة، لكن هذا الأمر لا يشمل الأزواج وغيرهم من المحارم لكي لا يظن ظان أن الزوج محروم من هذه الزينة، لأن الأمر الأول أمر عام قد يفهم منه شمول

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، النور(31)، م8، ص205.

(2) الرازي، التفسير الكبير، م8، ص364، ويوافقه ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص208.

الزوج، وليس كذلك لأن من حق الزوج على زوجته أن تتزين له ويرى منها مفاتنها ليصون نفسه عن كل نظر حرام لتلبية شهواته.

ويقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: " والتزين يزيد المرأة حسناً ويلفت إليها الأنظار، لأنها من الأحوال التي لا تقصد إلا لأجل التظاهر بالحسن، فكانت لافتة أنظار الرجال، فلذلك نهى النساء عن إظهار زينتهن إلا للرجال الذين ليس من شأنهم أن تتحرك منهم شهوة نحوها، لحرمة قرابة أو صهر".[1]

ويشارك في ذلك صاحب الظلال: " والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة، والزينة تختلف من عصر إلى عصر؛ ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكماله وتجليته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية؛ ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد هو شريك الحياة يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه، والمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي وقلوبهن مشرقة بنور الله، لم يتلكأن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال".[2]

ويقول الله تعالى:] وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z النور: ٣١.

فهذه الآية الكريمة صريحة جداً في تأكيد هذه الخصيصة النفسية للمرأة التي تحب الإغراء والافتتان بها، فهي تصل لدرجة أن تضرب بقدميها المزينتين بالخلاخل والحلي المخفية تحت اللباس، ليسمع صوته فيعلم أنها متزينة به، لتلفت النظر إليها ولتُتَخَيَّلَ وهي على هذه الحالة،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م8، ص206.
(2) سيد قطب، الظلال، ج4، ص2512.

وليس عجباً! فالله تعالى خلقها على هذه الطبيعة، وشرع لها ما يساعدها للتحكم بها بالطرق الشرعية من دون حدوث الفتن والفساد، فيتم الحفاظ على نقاء المجتمع وطهارته.

فهذا نداء الفطرة ينادي المرأة لتبرز مفاتنها وزينتها، لتنافس بها نظائرها من النساء ولتفتن الرجال وتستحوذ على عقولهم، وإثبات أنها ذات جمال وزينة.

يقول **صاحب الظلال**: " «ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن» وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته، كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم، أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم، وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم، وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذى العطر من بعيد، قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً، والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله، لأن منزله هو الذي خلق، وهو الذي يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير".(1)

يقول ابن عاشور": والتحقيق أن من النساء من كن إذا لبسن الخلخال ضربن بأرجلهن في المشي بشدة، لتسمع قعقعة الخلاخل غنجاً وتباهياً بالحسن، فنهين عن ذلك مع النهي عن إبداء الزينة".(2)

وقد تحدث رسول الله r عن هذه الخصيصة النفسية لدى النساء، وحبهن للتكبر والتمايل وارتداء نوع من الملابس تظهر مفاتنهن أكثر بقصد لفت الأنظار إليهن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله r : "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج4، ص2514.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م8، ص213.

يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".(1)

قال الزبيدي: "وهن اللاتي يملن خيلاء ويسبين قلوب الرجال، وقيل: المـــائلات: المتبختـــرات في المشي، والمميلات: أي لأكتافهن وأعطافهن، وقيل: هن اللاتـــي يملـــن قلوبنـــا إلـــيهن، أو المائلات: يملن إلى الهوى والغي عن العفاف، وقيل: مائلات الرؤوس إلى الرجال".(2)

ولذلك شرع الله الحجاب لتجنب حدوث ذلك كله، لأن الحجاب يحقق العفة للمـــرأة بـــالتحلي بالأخلاق الفضيلة عند التزامها بالدين، ويحقق السلامة للرجال بوجودهم في جو نظيف عفيـــف، فقال تعالى:] m n o p q r s t u v w ا y z

{ | { ~ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا Z الأحزاب: ٥٩.

فالله جل وعلا في هذه الآية يأمر النبي الكريم **r** أن يأمر نساءه ونساء المؤمنين أن يـــسترن أنفسهن بالحجاب الذي من شأنه أن يخفي معالم المرأة ومفاتنها، فلا يلاحظها الرجال الذين مـــن المحتمل أن يقوموا بإيذائها فيما إذا بدت معالم جسدها، فالمرأة خُلِقَت فاتنة للرجل وخُلِقَ الرجـــل مفتوناً بها.

يقول أبو حيان: "«ذلك أدنى أن يعرفن»: لتسترهن بالعفة، فلا يتعرض لهن، ولا يلقـــين بمـــا يكرهن؛ لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام، لم يقدم عليها، بخلاف المتبرجة، فإنهـــا مطموع فيها".(3)

---

(1) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب اللباس والزينة، م7، ج13، ص114.
(4) الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا للنشر، م8، ص123.
(3) أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص504

قال ابن عاشور: " وكان لبس الجلباب من شعار الحرائر، فكانت الإِماء لا يلبسن الجلابيب وكانت الحرائر يلبسن الجلابيب عند الخروج إلى الزيارات ونحوها، فكُنَّ لا يلبسْنَها في الليل وعند الخروج إلى المناصع، وما كنّ يخرجن إليها إلا ليلاً، فأمرن بلبس الجلابيب في كل خروج، ليعرف أنهن حرائر فلا يتعرض إليهن شباب الدُّعّار يحسبهن إماء، أو يتعرض إليهن المنافقون استخفافاً بهن بالأقوال التي تخجلهن فيتأذيْنَ من ذلك، وربما يَسبُبْن الذين يؤذونهن فيحصل أذى من الجانبين، فهذا من سدّ الذريعة".[1]

ومن ذلك نقرأ قوله تعالى:] + , - . / 0 1 2 Z النور: ٢.

فبدأ الشارع الحكيم بلفظ "الزانية" وليس "الزاني" للتنبيه على أن سبب الفتنة الرئيس هو المرأة ذات السلطان الفاتن، تزينت وتبرجت وخرجت أمام الرجال، وحصل الإغراء فلم تؤمن المقاومة، ومن ثم إذا تخلت المرأة عن عفتها وسمعتها لم يكن الرجل ليحافظ عليها، لأن الأولى بالمحافظة هي المرأة.

وهناك سبب آخر لهذه البداية وهي أن المرأة هي الأقدر على ضبط شهوتها أكثر من الرجل، فلا تتأثر بسرعته، فتستطيع امتلاك نفسها إذا ما بدت لها شهوة ما، لذلك -كما أشرت سابقاً- أن المرأة الصحيحة لم تكن هي المبادرة بالعلاقة الجنسية، لأن من صفاتها الحياء، ولأن ذلك يحفظ لها غرورها الأنثوي بما جبلت عليه من حب ذاتها والاعتزاز بسلطانها، فإن لم تكن كذلك لفاتها كل ذلك فيما لو صُدَّت من قبل الرجل.

يقول الأستاذ البوطي: "إن الفاطر الحكيم جل جلاله أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر منها طالبة، فهي مهما استشعرت إلحاحاً غريزياً في كيانها تظل ميالة- بدافع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م9، ص107.

من عوامل نفسية أصيلة لديها- إلى أن تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء، وأن تفرض على الرجل ظروفاً وأسباباً تجعله يلح في طلبها والسعي وراءها، وبذلك تكون المرأة فتنةً للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنةً للمرأة".[1]

وفي هذه الخاصية لدى المرأة نجد عدل الله تعالى في قسمته بين عباده، ليحدث التوازن بين كائناته، فعلى الرغم من كون المرأة ضعيفة أمام الرجل في عدة أمور، إلا أنها قوية في بعضها الآخر يكون الرجل فيها هو الضعيف أمامها، فلو خلق الله تعالى الرجل قوياً في كل الأمور أو العكس، لحدث خلل وعدم توازن بين ألصق كائنين ببعضهما في الوجود-الذكر والأنثى- ولأكل القوي فيهما حق الضعيف منهما.

وكأنني في هذه الخصيصة أراها سلاحاً من أسلحة المرأة التي لها شأن كبير أمام نظيرها الرجل، فقد قال الرسول **r**: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن".[2]

وقيل في هذا الحديث: "أما من حيث الصياغة فليست صيغة تقرير قاعدة عامة أو حكم عام، وإنما هي أقرب إلى التعبير عن تعجب النبي **r** من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء - وفيهن ضعف- على الرجال ذوي الحزم... أي التعجب من حكمة الله كيف وضع القوة حيث مظنة الضعف، وأخرج الضعف من مظنة القوة... وتحمل تمهيداً لطيفاً [باتقاء النساء لله تعالى ولا يستعملن هذه الفتنة إلا في الخير والمعروف]".[3]

---

(1) البوطي، محمد سعيد، إلى كل فتاة تؤمن بالله، مكتبة الفارابي- دمشق، (د.ط)، ص19.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب ترك الحائض الصوم، ص107.

(3) أبو شقة، عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلم- الكويت، ط1(1410-1990)، ج1، ص275.

والمرأة بطبيعتها تحتاج للتقدير والعناية والاهتمام، فهي جبلة خلقت عليها النساء، ولعلي أعزو ذلك إلى الغرور أولاً، ثم للضعف ثانياً، أما الغرور فإنه داعٍ إلى طلبها والسعي لها فذلك، تدليل للمرأة وإعانة لها لإثبات أنوثتها، أما ضعفها فإن تقديرها يعطيها نوعاً من الأمان لأن يجار عليها، فهي تعلم أنها ضعيفة أمام الرجل، فعندما يقدرها ويهتم بشأنها تأمن جانبه، ويحقق لها ما تتطلبه خصائصها النفسية، ولهذا نجد في الكتاب العزيز قوله تعالى:] وَعَاشِرُوهُنَّ Z النساء: ١٩، فالله تعالى حث الرجال على معاملة النساء بالحسنى.

يقول أبو حيان: "«وعاشروهن بالمعروف» هذا أمر بحسن المعاشرة، والظاهر أنه أمر للأزواج، لأن التلبس بالمعاشرة غالباً إنما هو للأزواج، وكانوا يسيئون معاشرة النساء، وبالمعروف هو النصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول، ويقال: المرأة تسمن من أذنها".[1]

ويقول الآلوسي: " وقيل: المعروف أن لا يضربها ولا يسيء الكلام معها ويكون منبسط الوجه لها، وقيل: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له، واستدل بعمومه من أوجب لهن الخدمة إذا كنّ ممن لا يخدمن أنفسهن، والخطاب للذين يسيئون العشرة مع أزواجهم".[2]

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص570.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص613.

المطلب الخامس: الميل للبوح وإفشاء الأسرار

"البَوْحُ: ظهور الشيء، وباحَ الشيءُ: ظهر، وباحَ به بَوْحاً وبُؤُوحاً وبُؤُوحَةً: أَظهره، وباحَ ما كَتَمْتُ وباحَ به صاحبُه وباحَ بِسرِّه: أَظهره، ورجل بَؤُوحٌ بما في صدره وبَيْحانُ وبَيِّحانُ بما في صدره، وأَباحَه سرّاً فباح به بَوْحاً: أَبَثَّه إِياه فلم يَكْتُمه، ويقال: باحَ الشيءَ وأَباحَه إِذا جهر به"[1].

تتميز المرأة على نظيرها الرجل بهذه الخصيصة النفسية بالميل للكلام والبوح بما لديها دائماً، فالمرأة لا تستطيع إخفاء ما يحدث معها أو ما تعرفه من أمور، وإن حاولت ذلك فإنه يكون لفترة محدودة جداً، حيث تسارع المرأة للإفصاح عما أخفته في أقرب فرصة ممكنة، فالمرأة بطبيعتها تحب محادثة غيرها، حتى لو لم تكن على معرفة بالشخص الذي تتحدث إليه بمقابلته عن طريق الصدفة، مع ميلها للحديث عن مواضيع معينة تخص النساء أكثر وما يحدث معها أثناء يومها، فهي عكس الرجل الذي يميل لعدم البوح كما مرّ سابقاً.

حيث "توجد عند الإناث منطقة محددة للكلام تقع في مقدمة نصف الدماغ الأيسر بشكل رئيس، إضافةً إلى بضع مواقع صغيرة في نصف الدماغ الأيمن، وهذا التقسيم على نصفي الدماغ يجعل من النساء متحدثات بارعات، فهن يتكلمن بكثرة وبرغبة، ويستطعن في الوقت نفسه القيام بعمل آخر، وذلك بسبب أنهن يمتلكن مراكز مخصصة للكلام في الدماغ تسمح للقسم الباقي من الدماغ أن يلتفت لوظيفة أخرى".[2]

(1) ابن منظور، لسان العرب، م1، ص547.

(1) آلان وباربرا بيز، معارك قيس وليلى، ص97.

"وهذا التميز في أدمغة النساء يؤهلهن تماماً لدور الأمومة المنوط بهن، إن ما تحتاجـــه أي أم من معطيات نفسية إنما يتمثل في المشاعر بالدرجة الأولى، ثم اللباقة الاجتماعية، وأخيراً ولـــيس آخراً الموهبة التنظيمية، وهذه السمات تتمتع بها النساء عموماً بشكل فطري".[1]

ومما يشير إلى ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى:] @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q S T U V W X Y [\ ] ^ Z التحريم: ٣.

فنلاحظ في حادثة سيدنا محمد r مع زوجته أم المؤمنين حفصة t أنه أســرَّ لهــا بحــديث خاص- وهو إخبارها بتحريم جاريته مارية عليه، أو تحريمه شرب العسل من زينب- إلا أنهــا -بما جبلت عليه من طبيعة- باحت به ولم تملك نفسها من أن تستره عن غيرها، ففي الموقــف الذي أسرَّ فيه الرجل باحت فيه المرأة.

قال **الزمخشري**: " فإن قلت: هلا قيل: فلما نبأت به <u>بعضهن</u> وعرفها بعــضه؟ قلــت: لــيس الغرض بيان من المذاع إليه ومن المعرف، وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنبــاء بــه وإفشائه من قبلها، وأن رسول الله r بكرمه وحلمه، لم يوجد منه إلا الإعلام ببعضه، ألا تــرى أنه لما كان المقصود في قوله: «فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا» ذكــر المنبــأ، كيــف أتــى بضميره، «وَإِن تَظَاهَرَا»: وإن تعاونا «عَلَيْهِ» بما يسوؤه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره".[2]

---

(1) إنكلمان، كلاوديا، بلوغ النجاح في الحياة الزوجية بالحب والشوق والهوى، تعريب سامر نصري، مكتبــة العبيكان- الرياض، ط1(1426-2005)، ص152.

(2) الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت538هــ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق علي معوض، مكتبة العبيكان- الرياض، ط1(1418-1998)، ج6، ص159.

كأن الزمخشري يريد إخبارنا أن أحد دوافع البوح عند المرأة هي الغيرة، وهي أمـــر فطـــري في المرأة، وكذلك الكيد يعتبر دافعاً لتجهر المرأة بسر ما، كي تكايـــد ضـــرائرها، وإن كنـــت لا أوافقه على تعبيره بـــ"جناية حفصة" فهذا لا يصح إطلاقه على واحدة من أمهات المؤمنين، وهذا خطأ من الزمخشري ارتكبه في حقها رضي الله عنها.

وقال **ابن عاشور**: "و«أسر» أخبر بما يراد كتمانه عن غير المخبر، أو سأله عدم إفشاء شيء وقع بينهما وإن لم يكن إخباراً، وذلك إذا كان الخبر أو الفعل يراد عدم فشوّه، فيقولـــه صـــاحبه سرّاً، والسرّ ضد الجهر.

وإنما نبّأها النبي **r** بأنه علم إفشاءها الحديث بأمر من الله، ليبني عليه الموعظـــة والتأديـــب، فإن الله ما أطلعه على إفشائها إلا لغرض جليل.

وذكرت حفصة بعنوان بعض أزواجه للإِشارة إلى أن النبي **r** وضع سِرّه في موضـــعه، لأن أولى الناس بمعرفة سرّ الرجل زوجهُ، وفي ذلك تعريض بملامها على إفشاء سرّه، لأن واجـــب المرأة أن

تحفظ سرّ زوجها إذا أمرها بحفظه، أو كان مثله مما يجب حفظه. «عرف» وإنما عرّفها النبـــي **r** بذلك ليوقفها على مخالفتها واجب الأدب من حفظ سرّ زوجها.

وفي هذا كفاية من تيقظها بأن إفشاءها سرّ زوجها زَلة خُلقية عظيمة، حجبها عن مراعاتهـــا شدة الصفاء لعائشة وفرط إعجابها بتحريم مارية لأجلها، فلم تتمالك عن أن تبـــشر بـــه خليلتهـــا ونصيرتها، ولو تذكرت لتبين لها أن مقتضى كتم سرّ زوجها أقوى من مقتضى إعلامها خليلتها،

فإن أواصر الزوجية أقوى من أواصر الخلة، وواجب الإخلاص لرسول الله r أعلى من فضيلة الإِخلاص للخلائل".[1]

ويعتبر إفشاء الأسرار من المكر الذي تستخدمه المرأة وسلاحاً من أسلحتها في تحصيل حقها، يقول ابن عطية: " «فلما سمعت بمكرهن» إنما سمي قولهن مكراً من حيث أظهرن إنكار منكر وقصدن إثارة غيظها عليهن، وقيل: «مكرهن» أنهن أفشين ذلك عنها وقد كانت أطلعتهن على ذلك واستكتمتهن إياه، وهذا لا يكون مكراً إلا بأن يظهرن لها خلاف ذلك ويقصدن بالإفشاء أذاها".[2]

يقول أحد الحكماء: " السر في نظر المرأة نوعان؛ نوع تافه لا يستحق أن تحتفظ به، ونوع مهمٌ جداً بحيث لا تستطيع أن تحتفظ به".[3]

يضاف إلى ذلك أن المرأة في حالة تعرضها للضغط لا تستطيع إلا الحديث عما حصل معها وسبب لها هذه الضغوطات، وإبداء ما في داخلها من أسرار، لأنها كما قلنا تأخذها العواطف غالباً، ومن كان عاطفياً أحب أن يشارك غيره في ما يشعر به فيعمد للكلام، ولذلك نجد النساء أقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية من الرجل، فهي تفصح عما يجول في داخلها أولاً بأول، وتنفس عن غضبها فوراً، عكس الرجل الذي إذا ما تعرض لمشكلة ما فإنه يعمد للسكوت والتفكير في الأمر ليجد الحل، فيكون أكثر عرضة للنوبة القلبية.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع- تونس، ج27، 1984، ص351-354.

(2) ابن عطية، أبو محمد بن عبد الحق الأندلسي (ت542هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق عبد الله الأنصاري، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن محمد آل ثاني- الدوحة، ط1(1404-1984)، ص55.

(3) الداوود، عبد الله بن محمد، متعة الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، ط1(1433-2003)، ص78.

ويقول **آلان**: "تعيش النساء أكثر من الرجال بنحو سبع سنوات في المتوسط؛ ذلك أن المــرأة تمتلك مقدرة أفضل على التأقلم مع التوتر والضغوط... بالتحدث عن مشكلاتهن مراراً وتكــراراً ومن جميع الزوايا".(1)

يقول الدكتور **صلاح الراشد**: "الرجل يحتاج للخلوة عندما يقلق، والمرأة تحتاج إلــى التحــدث عندما تقلق".(2)

أما بالنسبة لما قلناه من أن العاطفة تجر صاحبها للكلام والبوح بمشاعره، فيمثله قوله تعالى:

[j k l m n p q r s t u v w x y z

{ Z القصص: ١٠.

ففي هذه الآية نجد أم موسى عليهما السلام تغلبت عليها العاطفة، وكادت تفصح عما أســرته بشأن موسى عليه السلام من أن هذا الذي وجده فرعون وتبناه هو وليدها، وأنها هي التي قذفتــه في اليم، ولكن حكمة الله تعالى أن يبقى هذا الأمر سراً لتدبير أراده، فربط على قلبها وثبتها لكي لا تفشي سرَّه، فلو لم يكن هناك تأييد من الله سبحانه وتعالى لها لقامت أم موسى عليهما الــسلام بإعلان ما أخفته من أمر ولدها.

قال **البقاعي**: "ولما أخبر عن حال من لقيه، أخبر عن حال من فارقه، فقال: «وأصــبح» أي: عقب الليلة التي حصل فيها فراقه «فؤاد أم موسى» أي: قلبها الذي زاد احتراقه شــوقاً وخوفــاً وحزناً، وهذا يدل على أنها ألقته ليلاً، «فارغاً» أي: في غاية الذعر، لما جبلت عليه من أخــلاق البشر، قد ذهب منه كل ما فيه من المعاني المقصودة التي من شأنها أن يــربط عليهــا الجــأش

(1) آلان وباربرا بيز، لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة، ص165.

(2) صلاح الراشد، الفرق بين الجنسين، ص55.

«إن» أي: إنه «كادت» أي: قاربت «لتبدي» أي: يقع منها الإظهار لكل مـا كــان مــن أمــره، مصرحة «به» أي: بأمر موسى عليه السلام من أنه ولدها ونحو ذلك، بسبب فراغ فؤادهـا مــن الأمور المستكنة، وتوزع فكرها في كل واد «لولا أن ربطنا» بعظمتنا «علــى قلبهــا» بعــد أن رددنا إليه المعاني الصالحة التي أودعناها فيه، فلم تعلن به لأجل ربطنا عليه، ثم علــل الــربط بقوله: «لتكون» أي: كوناً هو كالغريزة لها «من المؤمنين» أي: المصدقين بما وعد الله به مــن نجاته ورسالته، الواثقين بذلك".(1)

تقول **كلاوديا إنكلمان**: " إن لحمة الاتصال فيما بين نصفي الدماغ أكبــر لــدى النــساء مــن الرجال، ولحمة الاتصال تلك تعمل على نقل المعلومات فيما بــين نــصفي الــدماغ، والمركــز المسؤول عن المشاعر والأحاسيس لدى النساء في الجزء العلوي من الدماغ، فيكون فعالاً للغاية خلال عملية التفكير، أي: أن العواطف تلعب دوراً مهماً أيضاً".(2)

تقصد الكاتبة هنا أن المرأة تتكلم أكثر بسبب نشاط هذا الجزء مــن الــدماغ المــسؤول عــن العواطف، فتعبر عنها من خلال حديثها مع غيرها، حتى لو أدى ذلك إلى إفشاء سر ما.

وهناك نماذج أخرى عرضها القرآن الكريم تمثل بوح المرأة، قال تعــالى:] ! " # $

% & ' ( ) * + , - . 0 1 2 3 Z المجادلة: ١.

فهذه اشتكت إلى الله ورسوله من عمل زوجها معها بما حلف عليها من يمين الظهــار الــذي كان سائداً في الجاهلية وحرَّمه الإسلام، فوصفها الله تعالى بالمجادلة لكثرة مراجعتها الرسول r

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص486.

(2) كلاوديا إنكلمان، بلوغ النجاح في الحياة الزوجية بالحب والشوق والهوى، ص152.

في أمرها، لأنه لم يكن في هذا الموضع وحي قد نزل، فحادثته مراراً وتكراراً حتى نـزل في أمرها وحي، فالمجادلة هي نوع من أنواع كثرة الكلام والزيادة فيه.

قال **الآلوسي:** " «قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا» أي: تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، «وَتَشْتَكِى إِلَى الله» واشتكاؤها إليه تعالى إظهار بثها وما انطوت عليه من الغم والهم وتضرعها إليه عز وجل وهو من الشكو، وأصله فتح الشكوة وإظهار ما فيها.

وجادلت رسول الله عليه الصلاة والسلام مراراً ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وحدتي وما يشق علي من فراقه، «والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما» على ما هو المعروف فيه من كونه صفة يدرك بها الأصوات غير صفة العلم، أو كونه راجعاً إلى صفة العلم، والتحاور: المرادّة في الكلام، وجوز أن يراد به الكلام المردد، ويقال: كلمته فما رجع إلي حواراً، وحويراً، ومحورة أي: ما رد على بشيء، وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده".(1)

فقد عرض القرآن نموذجاً لشكوى الزوجة على الزوج، بينما لم يعرض شكوى زوج على زوجته، لأن من طبيعة المرأة أنها تحب الإفصاح عما بداخلها وما يحدث معها، خاصةً مع زوجها، عكس الرجل الذي يميل لعدم الإفصاح، خاصةً عما يحدث بينه وبين امرأته إلا نادراً.

وهذه الطبيعة جعلت المرأة تحب الثرثرة وتتكلم في كافة الأمور وعن كل الأشخاص، فتدخل في ما يسمى الانحراف السلوكي القولي من غيبة ونميمة وكذب، وهذا يمثله في كتاب الله تعالى قصة النسوة مع امرأة العزيز، حيث جلسن يتحادثن في ما حصل بينها وبين سيدنا يوسف من

(1) الآلوسي، روح المعاني، ج27، ص279.

مراودتها له أثناء غيابها عنهن، فكانت غيبة لها، حيث قال عز وجــل:] وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ Z يوسف: ٣٠.

إذاً هذه الخصيصة النفسية تدفع المرأة للحديث عن غيرها بالخير أو الشر، فإن كان في خيــر فلأنها ترغب بالحديث وتهتم بكل التفاصيل، وإن كان في شر فإنها تعمد لهــذا الــسلوك بــدافع التشويه والتجريح والانتقام ممن أساء لها أو أغاظها دون تورع، فالمهم أن تتكلم؛ لأنها ضــعيفة لا تقوى على أخذ حقها إلا بالكيد أو تسليط اللسان، ولعل ما يساعد في ذلك أن مجالس النساء لها خصيصة أكثر من غيرها من المجالس، فيسمح لهن بالتحدث بمساحة أكبر.

"والنساء لسن بحاجة لسبب يتحدثن من أجله، أو غاية يصلن إليها من خلال ثرثرتهن، فهــن يتحدثن لتدعيم الصلة بينهن...بحيث يستطيع عقل المرأة إنتاج من (6000) إلــى (8000) كلمــة منطوقة دون عناء، مقارنة بــ (2000) إلى (4000) كلمة منطوقــة ينتجهــا عقــل الرجــل... والرجل بإمكانه استنفاد مخزونه من الكلمات بحلول فترة ما بعد الظهر، ثم يعود للمنزل لامــرأة مازال باقٍ لها نحو (4000) إلى (5000) كلمة لتتفوه بها".(1)

يقول توفيق الحكيم: "إني لأشهد مجالس النساء، فأعجب لهن من أين يأتين بمادة الكلام؟ لقــد كنت أعد نفسي في الرجال مهذاراً كثير الثرثرة، فإذا إحدى النساء تزعمني صموتاً".(2)

نفهم من هذا الكلام أن المرأة تعمد للحديث في أي شيء من أجل استفراغ طاقتها اليومية من الكلام، وهذا يضطرها للدخول في أحاديث غير مشروعة، فتستغيب وتنم وقد تكــذب للوصــول لهدف معين، فقد قال تعالى موجهاً النساء لعــدم الكــذب:] 4 5 6 7 8 9 9

: Z الممتحنة: ١٢.

(1) آلان وباربرا بيز، لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة، ص162.

(2) عبد الله الداوود، متعة الحديث، ص72.

يقول **ابن عاشور**: "والبهتان: الخبر المكذوب الذي لا شبهة لكاذبه فيه، لأنه يبهت من ينقل عنه، والافتراء: اختلاق الكذب، أي: يختلقن أخباراً بأشياء لم تقع، كقولها: يا فلانة زنيت مع فلان، أو سرقتِ حلي فلانة؛ لتبهتها في ملأٍ من الناس، أو أنت بنت زِنا، أو نحو ذلك".[1]

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية، ج27، ص166-167.

المبحث الثالث

الخصائص النفسية المشتركة بين الرجل والمرأة

في المباحث السابقة بينت أن هناك اختلافاً في نفسية الرجل عن نفسية المرأة، لأن لكل واحد منهما وظيفة معينة عليه القيام بها، فلابد من توافر طبيعة نفسية وجسدية وعقلية تناسب هذا التكليف، وعلى الرغم من ذلك جعل الخالق تعالى سبب دوام هذه الحياة هو انضمام كل من الرجل والمرأة إلى الآخر في مملكة الزواج، ليتم التكاثر والتناسل، ويحقق الله عز وجل حكمته من إيجاد الخلق إلى إفنائه.

ولكي ينجح ضم هذين العنصرين المختلفين إلى بعضهما، جُعِلَ بينهما من الخصائص الشكلية والنفسية ما يؤدي إلى ائتلافهما وتوافقهما كفردين متزوجين بما لديهما من دوافع وغرائز.

فقد خلق الله تعالى الإنسان ذكراً وأنثى على شكل متقارب ومتناسق جداً، بحيث يألف كل منهما زوجه ويحصل الوفاق والتزاوج ضمن سنن الكون، لأنه لو كان الشكل الخارجي غير متقارب لنفر كل منهما من صاحبه، لوجود غريزة عند الإنسان تدفعه ليألف من يشبهه وينفر ممن هم سوى ذلك.

وما يهمني في هذا المبحث في الدرجة الأولى هو التوافق النفسي الحاصل بين الرجل والمرأة، وما أودعه الله تعالى فيهما من خصائص تتمثل في وجود غريزة الحاجة للتزاوج (الجنس) لدى كل منهما، فتجعلهما ينجذبان لبعضهما بدافع هذه الغريزة، وكذلك خصيصة الحاجة للمودة والرحمة بينهما كإنسان تهمه المشاعر الصادرة من زوجه الآخر، ومدى أهمية كل منهما للآخر، كما نجد خصيصة الحاجة للسكن والتكامل والستر، إضافة لغريزة الأمومة والأبوة التي تحقق ثمرة من ثمرات هذا الزواج والتكاثر والاستخلاف، وكل من هذه الخصائص سيتم

مناقشتها في عدة مطالب، بادئةً الحديث عن الخصيصة النفسية الأولى المشتركة بين الــزوجين وهي الحاجة للتزاوج إن شاء الله تعالى.

يقول سيد قطب في تصوير هذه الخصائص المشتركة: " ومن ثم يصور العلاقة البيتية تصويراً رفافاً شفيفاً، يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال، ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f Z الروم: ٢١،] (* + , - . / Z البقرة: ١٨٧ فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل، وإن الإنسان ليحس في الألفاظ ذاتها حنواً ورفقاً، ويستروح من خلالها نداوة وظلاً.

وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفترضها الإسلام لذلك الربــاط الإنــساني الرفيــق الوثيق، ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها، بما فيها امتداد الحياة بالنــسل، فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجــديتها، وينــسق بــين اتجاهاتها ومقتضياتها، ذلك حين يقول:] نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ ´ Z البقرة: ٢٢٣، فيلحظ كــذلك معنــى الإخصاب والإكثار".[1]

المطلب الأول: الحاجة للتزاوج (الجنس)

إن العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة دافعها الغريزة الجنسية الموجودة فــي كــل منهمــا، بحيث تتحقق لهما عن طريق الزواج الشرعي الذي هو "سبب من أســباب الطمأنينــة النفــسية والاستقرار الأسري والإشباع الغريزي بطريقة مشروعة".[2]

---

(1) سيد قطب، الظلال، م6، ص3595.

(2) أبو مرق، جمال، سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة، مطبعة الرابطة- الخليــل، ط1(1424-2003)، ص87.

يقول الدكتور محمد عبد المحسن: "غريزة الجنس غريزة فطرية يولد بها الإنسان والحيـوان، تحركها دوافع بيولوجية وفسيولوجية هدفها الحفاظ على السلالة البشرية من الانقراض، ومتابعـة التوالد من جيل إلى آخر، فالسعي وراء الجنس يحدث نتيجة لعوامل الطاقة الكامنة داخل الفـرد، ولا بد لها من مخرج، ويحكمها أيضاً دوافع الإبقاء على الجنس البشري، وبهذا الدافع الغريـزي تتغير الهرمونات وتتحرك الأعضاء ويتأثر الجسم عموماً".(1)

وهناك من يفرق بين كون هذا الأمر فطرياً أم غريزياً، حسب المرحلة التي يوجد فيها، حيث يقول الأستاذ عبد المنعم قنديل: "إن الزواج نداء الفطرة فينا قبل أن نبدأ مرحلة البلـوغ، ونـداء الغريزة بعد أن نبلغ هذه المرحلة".(2)

وبما أن الغريزة الجنسية خصيصة نفسية لدى الإنسان، فإن هناك طاقة جنسية مخزونة فـي جسمه ولابد من طريقة لإفراغها والتخلص من ضغوطاتها الجسدية والنفسية والعقليـة، لأن الدماغ يحتوي على مراكز للجنس تؤثر على طريقة التفكير، وبالتالي على النفسية، ومن ثم على سلوك الجسد، ولابد من الإشارة إلى أن حجم مركز الجنس في دماغ الرجل يختلف عن حجمـه لدى المرأة، فالرجل يبلغ حجمه أضعاف ما هو عند المرأة، لكي يتناسب مع طبيعة كـل منهمـا بحيث يكون الرجل هو الطالب والمرأة هي المطلوبة، تماشياً مع خصائص نفسية أخرى وتماشياً مع قوانين الحياة وسننها الطبيعية.

يقول آلان: "يقع مركز الجنس في الدماغ في منطقة ما تحت المهـاد، ويبلـغ حجمـه حجـم الكرزة، ويزن (4) غرامات ونصف الغرام، وهو المسؤول عن توجيه الأحاسيس وسرعة القلـب ودرجة ضغط الدم، وهو أكبر حجماً لدى الرجال من النساء... وفي هذه المنطقة تنـشأ الرغبـة

---

(1) الطيبي، عكاشة عبد المنان، الزوج المثالي، مكتبة التراث الإسلامي- مصر، (د.ط)، ص76.
(2) قنديل، عبد المنعم، لماذا نتزوج؟، مكتبة الترلاث الإسلامي- القاهرة، (د.ط)، ص5.

الجنسية عبر إفراز الهرمونـــات الجنـــسية وخاصـــة التـــستوسترون، وإذا علمنـــا أن مـــستوى التستوسترون عند الرجال يبلغ من (10) إلى (20) ضعف أكثر مما هو لدى النساء، وأن مركـــز تحت المهاد أكبر لدى الرجال، نستطيع أن نفهم لماذا تكون الرغبة الجنسية عند الرجال على مـــا هي عليه".[1]

لذلك نجد في القرآن الكريم قوله تعالى:] p q r s t u Z آل عمران: ١٤، وفي ذلك يقول ابن عاشور: " فالميل إلى النساء مركوز في الطبع، وضعه الله تعالى لحكمـــةِ بقاء النوع بداعي طلب التناسل؛ إذ المرأة هي موضع التناسل، فجُعل ميل الرجل إليها في الطبـــع حتى لا يحتاج بقاء النوع إلى تكلّف رُبَّمَا تعقبه سآمة، وفي الحديث: [«ما تركتُ بعدي فتنةً هـــي أضرّ على الرجال من النساء»] ولم يذكر الرجال لأنّ ميل النساء إلى الرجال أضعف في الطبع، وإنّما تحصل المحبّة منهن للرجال بالإلف والإحسان".[2]

وما يدعم القول بأن الحاجة للتزاوج خصيصة نفسية للإنسان أن من دوافعه -كما أشرت مـــن قبل- دوافع بيولوجية وفسيولوجية، ويضاف لذلك دوافع وراثية، يقول الأستاذ علي كامـــل: "إن من المسلم به أن الحاجة للجنس قد وجدت في الإنسان كما وجدت في غيره من الكائنات الحيـــة بحكم مقررات وراثية، غير أن هذه المقررات في الإنسان بصورة خاصة تتحور تبعاً للتـــدريب والتقاليد، ومع أن هذه الحاجة للجنس لا تتساوى مع الحاجة للطعام والشراب من حيث أهميتهـــا الآنية، إلا أن أهميتها بعيدة المدى هي أكثر وأعظم من الغذاء، لأنهـــا تـــضمن التكـــاثر وبقـــاء الجنس... ومهما كانت طبيعة أهداف الحاجة الجنسية في الإنسان فإن هناك عمليات فيزيولوجيـــة تحدث في الجسم وتأتي على الصورة التي تجعل من الضروري على معظم الناس أن [يمارســـوا

---

(1) آلان، معارك قيس وليلى، ص237.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص181، والحديث سبق تخريجه ص90.

هذه العملية الجنسية]، وهناك مراكز في الدماغ وعلى أكثر من مستوى، وفي الأعضاء التناسلية والجنسية هي التي تحدث الحاجة [الجنسية] للفرد، فالتكوين البيولوجي للإنسان عضوياً وهرمونياً وعصبياً مهيأٌ كله لتحقيق هذا الدافع، وهذه الحاجة ربما لا تكون واعية في ذهن الكائن الحي بما في ذلك الإنسان وهو يندفع إلى إرضائها بفعل قوة "غريزية"، أو بالأحرى بيولوجية".[1]

إن الحاجة للتزاوج ليست حاجة عابرة في حياة الإنسان، بل لها أهداف سامية ترتكز عليها البشرية في وجودها، ولعل الذي ينتشر بين الناس أن هدف الزواج هو الإفضاء وممارسة الرغبة الجنسية والحصول على اللذة والمتعة الجسدية، لكن شئنا أم أبينا فإنها تتصل بأهداف أخرى أشار إليها العلماء، ومنهم ابن قيم الجوزية حيث قال: "إن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلية، أحدها: حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العلة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم، والثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن، والثالث: قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة".[2]

فالزوجية سكن غريزي يجده كل من الزوجين باتصالهما وإفضاء كل منهما إلى الآخر بالشكل الذي تتحد فيه الأنفس وتتوحد فيه الإنسانية لتثمر إنساناً جديداً، قال تعالى:] وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم à ٱلطَّيِّبَٰتِ Z النحل: ٧٢، والإسلام ينظر للغريزة الجنسية كنظرته للغرائز والدوافع الفطرية الأخرى، ويسعى لتلبيتها بما يتناسب مع كرامة الإنسان، فكانت هذه الغريزة هي الدافع الأقوى

(1) كمال، علي، الجنس والنفس في الحياة الإنسانية، دار واسط- لندن، ط1(1985)، ص23-24.
(2) ابن قيم الجوزية (ت752هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق البارودي، المكتبة التوفيقية- القاهرة، (د.ط)، ج34 ص233.

للإنسان كي يقبل على الزواج، لأنه لا مجال للمسلم من تلبية شهوته إلا عن طريق الزواج الشرعي، وحرّم كل وسيلة أخرى".[(1)]

وقد صور القرآن الكريم الغريزة الجنسية تصويراً مجملاً يدل على الاستجابة لشهوات النفس وما ترغبه، فقال تعالى:] نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ ´ µ ¶ ¸ شِئۡتُمۡۖ Z البقرة: ٢٢٣، وذلك أن القرآن الكريم اهتم بالعلاقة الزوجية ووضحها ووجهها وحث عليها، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بطبيعة تجعله يحتاج إلى زوج يلبي رغباته الفطرية ومنها الحاجة للتزاوج، ومراعاةً لهذه الفطرة جاء الأمر في الآية السابقة على الإباحة في إتيان الزوجة، كما يرغب الرجل بما تلح عليه غريزته.

وفي الوقت ذاته خرج القرآن بهذه العلاقة عن كونها جسديةً فقط، بل اجتاز بها إلى حدود الفائدة والإثمار، فشبه هذه العلاقة بالزرع الذي يحرث ويحصد ثمره الطيب الصالح، ولم يقتصر على إباحة الشهوة الغريزية، لأن الإنسان كائن مكرم ويعتبر سلوكه ذا فائدة وهدف إنساني؛ من تكثير النسل وإعمار الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها.

إن الزوجية في القرآن الكريم تعتبر أساس البنية التركيبية للعالم، وعليها يجري نظام الكون كله، سواء الإنسان أو غيره من الحيوانات والنباتات، حتى الذرات الدقيقة، كل شيء فيه مكون من زوجين ذكر وأنثى، ألم نسمع قوله تعالى:] b c d e f g Z ق: ٧، وقال تعالى:] ! " # $ % Z النجم: ٤٥، وقال:] / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 Z الزخرف: ١٢.

---

(1) الكبيسي، أحمد، فلسفة نظام الأسرة، دار الكتاب الجامعي- الإمارات، ط1(1423-2003)، ص122-123.

وهناك معنى يلوح لي في غرض الزوجية وتركيب نظام الكون عليها؛ هو تعليم الناس أن الحياة مبدؤها المشاركة والمعاونة والتكميل، بحيث يأخذ كل واحد دوره دون أن يطغى على أدوار غيره، فللرجل وظائف معينة يقوم بها، وللمرأة كذلك أدوار أخرى تكمل فيها مهمة الإنسان في هذا الوجود تحتم على الطرفين الالتزام بها.

وفي تفسير هذه الآية بحثت في أشهر التفاسير ولم أجد من صور هذه العلاقة بصورة معبرة مثل صاحب الظلال، حيث قال: "وفي هذا الظل يصور لوناً من ألوان العلاقة الزوجية يناسبه ويتسق مع خطوطه: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» وفي هذا التعبير الدقيق ما فيه من إشارات إلى طبيعة تلك العلاقة في هذا الجانب، وإلى أهدافها واتجاهاتها، أما مناسبة السياق هنا فيتسق معها التعبير بالحرث، لأنها مناسبة إخصاب وتوالد ونماء، وما دام حرثاً فأتوه بالطريقة التي تشاءون، ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث: «فأتوا حرثكم أنى شئتم»، «وبشر المؤمنين».

هنا نطلع على سماحة الإسلام، الذي يقبل الإنسان كما هو، بميوله وضروراته؛ لا يحاول أن يحطم فطرته باسم التسامي والتطهر؛ ولا يحاول أن يستقذر ضروراته التي لا يد له فيها؛ إنما هو مكلف إياها في الحقيقة لحساب الحياة وامتدادها ونمائها! إنما يحاول فقط أن يقرر إنسانيته ويرفعها، ويصله بالله وهو يلبي دوافع الجسد، وهذا المنهج في معاملة الإنسان هو الذي يلاحظ الفطرة كلها لأنه من صنع خالق هذه الفطرة، وكل منهج آخر يخالف عنه في قليل أو كثير يصطدم بالفطرة فيخفق، ويشقي الإنسان فرداً وجماعة. والله يعلم وأنتم لا تعلمون".[1]

(1) سيد قطب، الظلال، ج1، ص242.

المطلب الثاني: الحاجة للسكينة والتكامل والستر

السكينة كما عرفها الجرجاني هي: "ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادئ عين اليقين".[1]

وفي مجمع اللغة العربية: "الطمأنينة حالة لذيذة من الاتزان ينعدم فيها الخوف والندم، وتتجرد فيها النفس من المطامع والرغبات".[2]

إن النفس الإنسانية جبلت على حب السكينة والاطمئنان في جو يملؤه الاستقرار النفسي والجسدي والفكري، لذلك كانت المجتمعات تتكون على شكل أسر صغيرة، هي كفيلة لضمان هذا الشعور بداخلها-السكينة والأمان والاستقرار- أي: ابتدأ من النواة الأولى، حيث جعل الله سبحانه وتعالى الزواج سكينة للذكر والأنثى، فجعل نفس الزوجة تسكن لنفس زوجها الذي يؤمِّن لها الحياة الكريمة والعيشة الرضية، وبما يوفره لها من العطف والحنان والاستقرار بمسؤولية وكرم، تجعلها تستيقن صفات الرجولة فيه وتعتمد عليه في شؤون حياتها وحياة أطفالها، وبالمقابل جعل نفس الزوج تسكن لنفس زوجته بما توفره له احتياجاته ومتطلباته، وبما تعامله به من اللطف والرقة والبشاشة وحسن تدبير شؤون بيتها، وبالتالي يشمل هذا الشعور الأولاد، فتكون النتيجة سكون كل نفس إلى أختها في ذلك البيت.

وإذا وقفنا عند آية الزواج عند المخلوقات كلها وجدنا أنها تلتقي عند نقطة التكاثر، لكنها ترتقي عند الإنسان لتصبح متجاوزة لحدود المادة الثقيلة إلى رقة العواطف وقوتها، والنفس تسكن وترتاح إن وجدت إلى جانبها المعين على ظروف الحياة المختلفة بحلوها ومُرِّها، وهكذا

---

(1) الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1421-2000)، ص123.

(2) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة، (1403-1983)، ص598.

حال الزوجين، كما تتوفر السكينة إذا احتفظ كل جنس بخصائصه واضطلع بما عند شريكه من خصائص، فالرجل قوي في جسده ومكانته في الأسرة ووضعه الاجتماعي، لكن لا ينبغي أن يجعله سلاحاً يستخدمه عدواناً وظلماً، فلا يبقى معنى للسكينة، والمرأة ذات رقة ودلال قد تستجمع قواها لتبدو هي المتسلطة والقوية في كيدها، لكن عليها ألا تستخدمه في ما يعود عليها وعلى الرجل بالضرر والفشل، فمصادر القوة لدى الجنسين متعادلة، لكن قوة الرجل ظاهرة وقوة المرأة خفية في رقتها وأنوثتها وحسن تدبيرها.[1]

ومن الباحثين من يحصر خاصية السكينة في الزوجة فقط -أي أن تكون الزوجة هي السكن للرجل وليس العكس- حيث قيل: "إن المرأة جعلت سكناً للرجل؛ لأن الحركة والكدح في الحياة من شأن الرجل، فإذا رجع إلى بيته سكن واستراح مع زوجته بحنانها وعطفها ورقتها، فإن لم يجد ذلك عندها فحينئذ لن تكون سكناً له، وسيؤثر البقاء أكبر مدة ممكنة خارج بيته، لأن ذلك أفضل له".[2]

ولعلي لا أوافق الكاتب على ما قاله من قصر واجب السكينة على الزوجة لزوجها، بل هو حق مشترك بين الطرفين، فعلى الرجل أن يكون أيضاً سكناً لزوجته، تلجأ إليه عندما تريد أن تشعر بحنانه وعطفه عليها، فقد علل الباحث كون الزوجة هي السكن والمسؤولة عن توفيره لزوجها: أن الرجل يكدح في الحياة ويتحرك لكسب قوته، هذا صحيح، لكن المرأة أيضاً تكدح وتعمل من أول حياتها أكثر بكثير من الرجل، خاصة في وقتنا الحاضر، فهناك كثير من النساء تعمل داخل المنزل وخارجه، وتخدم جميع الأطراف وتُسأل عن كثير من المهمات التي لا يقوم

---

(1) الشخيلي، عبد القادر، السكينة والمودة والرحمة بين الزوجين، جمعية العفاف الخيرية- عمان، ط(2001)، ص171-172، بتصرف.

(2) شهوان، علي عبد الكريم، العلاقة الزوجية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، (2006)، ص76.

بها إلا المرأة، كالحمل والولادة والرضاعة والتربية وغيرها، ألا يحق لها بعد ذلك أن يكون لها سكن ترنو إليه لعله ينسيها بعض ما تقاسيه في هذه الحياة؟؟.

أما الحاجة للستر والتكامل بين الزوجين، فإنه ينشأ جراء العشرة والمعاملة وجراء ممارسة العلاقة الحميمية -الجنسية- بين الزوجين، لأن من شأن تلك العشرة والممارسة -على تلك الصورة التي هي عليها- أن تجعل كل نفس تسكن إلى الأخرى، فكل زوج يعتبر لباساً للآخر، قال تعالى:] (* + , - . / Z البقرة: ١٨٧، فقد صور كذلك مدى الامتزاج والتآلف والتكامل الحاصل بين الزوجين، لأن كل إنسان يحتاج من أعماق قلبه لما يكمله من جميع النواحي -النفسية والعقلية والعملية والأخلاقية- وغيرها، ويحتاج لما يستره ويحصنه، فكان الزواج الذي يكتمل فيه دور الزوج بوجود الزوجة ويكتمل دور الزوجة بوجود الزوج، فيعوض كل منهما النقص الموجود في صاحبه، أو الأمور التي لا يستطيع القيام بها ويكون داعماً له.

فالرجل كما قلت من قبل مخلوق بخصائص معينة مثل الخشونة والشدة والجدية، والمرأة خلقت بخصائص أخرى من النعومة والرقة واللطافة، وهي مضادة لما عند الرجل، ونحن نعلم أن هناك أموراً في الحياة لا ينفع القيام بها إلا بوجود الشدة والصلابة فلا تستطيع المرأة القيام بها، فيكون الرجل هو المكمل لنقصها، والعكس يقال بأن أموراً أخرى تحتاج لرقة الأنثى ولطافتها لا يستطيع الرجل التعامل معها، فتكون المرأة هي المكمل للرجل، فيترابطان ويتكاملان جسداً ووجداناً.

لقد خلق الله جل جلاله الذكر والأنثى شبيهين من بعضهما لتحصل الألفة والسكينة بينهما، فلا ينفر أحدهما من الآخر، أو يعتبره كائناً غريباً عنه، على أن هناك اختلافاً بين طبائع الجنسين هي السبب في تآلفهما، لأن التشابه التام يؤدي للتنافر والاختلاف يؤدي للتجاذب، يقول السيد

الجميلي: "واللباس يعتبر أعم وأشمل من العلاقة الجنسية في الزوجية بحد ذاتها، فكل جارحة في الذكر مشدودة لكل ما في الأنثى مشاكلاً لها، وهذه الطبيعة مفطورة عليها النفس منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء، وقد سأل نافع بن الأزرق ابن عباس-رضي الله عنهما- عن سر اللباس في الآية، فقال ابن عباس: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، تسكنون إليهن بالليل والنهار، وهي متعة المؤانسة بالحديث والعواطف المتبادلة وإرواء الجوارح والنفس، قال نافع بن الأزرق: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها   ثنت عليه فكانت لباساً".(1)

ومن دلائل آيات السكينة الزوجية: حصول التجانس والاندماج بين الرجل والمرأة بعد الزواج، لأن السكينة لا تتم بينهما ولا يتحقق معناها إلا إذا تجانسا وتوافقا قلباً وقالباً.

وكما أشار الأستاذ محمد حمدان إلى أن الرجل والمرأة عندما يدخلان مؤسسة الزواج، فإنهما يتمكنان من الاندماج والالتحام المصيري معاً في الفكر والميول والمعتقدات وغيرها الكثير من مظاهر وآليات الحياة والمستقبل، فيكون هناك انتماء ثم إيثار ثم تضحية، وتستمر الأسرة بتقديم سلوكيات التعاون والاندماج كمؤسسة اجتماعية.(2)

وأنبه إلى أن الاندماج الذي أتحدث عنه لا يشترط فيه أن يكون كلياً، بل هو مطلوب ولو جزئياً، فلا نطالبهما بأن يكون أحدهما نسخة طبق الأصل عن الآخر، إنما لكل واحد منهما شخصيته واستقلاله الذي هو من حق كل إنسان، مما يؤدي للسكينة النفسية والجسدية والفكرية لكلا الزوجين.

---

(1) الجميلي، السيد، الحب وأخلاقيات الجنس في الإسلام، دار المسلم- القاهرة، ط1(1404-1984)، ص61.

(2) حمدان، محمد زيدان، زواج سليم لبناء أسرة سليمة، دار التربية الحديثة- دمشق، (ط2005)، ص21-22، بتصرف.

لقد نبه القرآن الكريم إلى السكينة الزوجية عندما قال تعــالى:] Y Z [\ ] ^

_ ` a b Z الروم: ٢١، وقــال تعــالى:] A B C D E F

G H I J K Z الأعراف: ١٨٩، وقال:] (* + , - . Z البقرة:

.١٨٧

أما الآية الأولى والثانية فهي صريحة في بيان حاجة النفس الإنسانية لمن تسكن إليه، فجاءت الآية في سياق بيان فضل الله تعالى ومَنِّه على عباده بهذه النعمة التي رزقهم إياها، ليستدلوا بهـا على قدرة الخالق وشمول علمه بخلقه وحاجاتهم. فكان الأزواج بدايةً سكناً لبعضهم وبالتالي سكناً لأولادهم ومن ثم مجتمعهم.

قال صاحب الظلال: "] A B C D E F G H I J K Z فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى. وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها، وهذه هي نظرة الإسـلام لحقيقـة الإنـسان، ووظيفـة الزوجية في تكوينه، وهي نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين منذ أربعة عشر قرناً".(1)

وفي موضع آخر:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b Z، فقدرة الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلـك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً لـلأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء".(2)

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج3، ص1411.

(2) سيد قطب، الظلال، ج5، ص2763.

ولننظر إلى آية سورة البقرة كيف شبه القرآن المرأة للرجل والرجل للمــرأة باللبــاس الــذي يحتمل ذكره معانيَ عديدة؛ منها السكينة النفسية والجسدية والفكرية، لأن الإنسان عندما يرتــدي لباسه يشعر بالأمان من كون لباسه يقيه من حر الصيف وبرد الشتاء فتــسكن نفــسه، وكــذلك الأزواج يسكن كل منهما للآخر لأن كل واحد منهما يحمي زوجه من ظروف الحيــاة الــصعبة وضغوطاتها واستفحال الهموم في النفس، فيكون الزوج سكناً لألم الزوجة بما تعانيه مــن تــدبير أمور بيتها وأولادها ومجتمعها وعملها وغير ذلك، وبالمقابل تكون الزوجة سكناً لألم الزوج بمــا يقاسيه خارج المنزل، وما يلاقيه من مصاعب وهموم هو المسؤول عن حلها.

ومن المعاني التي يشير إليها النص القرآني أن اللباس ساتر لعورة الجسد وما فيه من نقــص خَلقِي أحياناً يؤثر على نفسية وشخصية صاحبه لكن مع وجود اللباس فإن بإمكانه إخفــاء ذلــك العيب، والشعور بالثقة التي ينطلق منها الإنسان ليؤدي رسالته في حياته، فكما أن اللباس يغطــي الجسد ويستر عوراته عن أعين الناس، فإن الأزواج يستر بعضهم البعض عــن الوقــوع فــي الفواحش رغبةً في قضاء غرائزه الفطرية، لكن مع الزواج يحصن كل منهما الآخر.

ويضاف إلى ذلك أن الأزواج يستر كل منهما الآخر ليس فقط من الناحية الجسدية، بل حتى من الناحية الخُلُقية والخَلْقِية-إذا ما كشف أحدها على الآخر هذا العيب- وكــذلك مــن الناحيــة المادية والاجتماعية وغيرها من جميع نواحي الحياة، فلا يجب على أحدهما أن يــشهر بــالآخر ويفضحه أمام الآخرين، لأن المفروض عليهما أن يكونا ستراً لبعضهما كــي تــستمر الــسكينة والحفاظ على هذه العلاقة.

وثالث هذه المعاني هو تحقيق التكامل، فإن الجسد فيه عورات ونواقص على الرغم من كونه في أحسن تقويم لحكمة يريدها الله عز وجل، لذلك لا يكتمل حسن منظر الجــسد إلا إذا ارتــدى اللباس الذي يجمله ويحسن مظهره، والرجل والمرأة في كل واحد منهما نقص فــي الطبيعــة أو

السلوك أو الأخلاق أو غير ذلك، فيأتي الزوجان ويكمل كل منهما النقص الموجود عند صاحبه ويعوضه، فيغدوان كالجسد الواحد يكمل فيه العقل العقل والسلوك السلوك والخُلُقَ الخُلُق...إلخ.

يقول صاحب الظلال: " «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» واللباس ساتر وواق، وكذلك هذه الصلة بين الزوجين، تستر كلاًّ منهما وتقيه، والإسلام الذي يأخذ هذا الكائن الإنساني بواقعه كله، ويرتضي تكوينه وفطرته كما هي، ويأخذ بيده إلى معارج الارتفاع بكليته، الإسلام وهذه نظرته، يلبي دفعة اللحم والدم، وينسم عليها هذه النسمة اللطيفة، ويدثرها بهذا الدثار اللطيف، في آن".[(1)]

وأشار الرازي إلى عدة مسائل في تفسير هذه الآية كعادته حيث قال: " أما قوله تعالى: «هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ» ففيه مسائل: المسألة الأولى: قد ذكرنا في تشبيه الزوجين باللباس وجوهاً، أحدها: أنه لما كان الرجل والمرأة يعتنقان، فيضم كل واحد منهما جسمه إلى جسم صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، سمي كل واحد منهما لباساً، وثانيها: إنما سمي الزوجان لباساً ليستر كل واحد منهما صاحبه عما لا يحل، وثالثها: أنه تعالى جعلها لباساً للرجل، من حيث إنه يخصها بنفسه كما يخص لباسه بنفسه، ويراها أهلاً لأن يلاقي كل بدنه كل بدنها كما يعمله في اللباس، ورابعها: يحتمل أن يكون المراد ستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت، لو لم تكن المرأة حاضرة، كما يستتر الإنسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار".[(2)]

أما سر تقديم لباس المرأة للرجل فقد أشار إليه المفسرون وكان ممن أحسن القول في ذلك صاحب البحر المحيط حيث قال: "وهذه الجملة لا موضع لها من الإعراب، بل هي مستأنفة كالبيان لسبب الإحلال وهو عدم الصبر عنهنّ لكونهنّ لكم في المخالطة كاللباس، وقدّم «هنّ

(1) سيد قطب، الظلال، ج1، ص175.

(2) الرازي، التفسير الكبير، م2، ص270.

لباس لكم» على قوله «وأنتم لباس لهنّ» لظهور احتياج الرجل إلى المرأة وقلة صبره عنها والرجل هو البادىء بطلب ذلك الفعل، ولا تكاد المرأة تطلب ذلك الفعل ابتداء لغلبة الحياء عليهن، حتى إن بعضهن تستر وجهها عند المواقعة حتى لا تنظر إلى زوجها حياء وقت ذلك الفعل".[(1)]

المطلب الثالث: الحاجة للمودة والرحمة

والحب كما يعرفه البعض: "هو الشحنة العاطفية الإيجابية الكامنة في الإنسان، والتي تتمثل في قدرته على العطاء بلا حدود، عطاء غير مشروط لا تحكمه القوانين ولا يرتبط بمقابل، كما أن الحب هو التفاعل الإيجابي البناء للجهاز العاطفي عند الإنسان، وتتمثل هذه الشحنة العاطفية في قدرة الفرد على الأخذ أيضاً، أخذ كل ما هو ضروري لبناء ونضج النفس لتكون قادرة على العطاء".[(2)]

أما الرحمة فهي: "رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضيل والإحسان، وتطلق على إرادة فعل الخير أو العطف على الآخرين للتخفيف من آلامهم".[(3)]

وهذه خصيصة نفسية أخرى مشتركة بين الرجل والمرأة يتقاسمانها منذ اللحظة الأولى في الوضع الطبيعي، وهي خصيصة مهمة جداً، فتوافر المودة والرحمة بين الزوجين يعتبر أساساً لبناء العلاقة الزوجية واستمرارها، فلا نتصور علاقة بين رجل وامرأة تخلو من مشاعر المودة والرحمة، لأن المودة مطلوبة ليتقبل كل منهما الآخر، والرحمة مطلوبة ليتحمل ويستوعب كل منهما تصرفات الآخر.

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص212.
(2) عكاشة عبد المنان، الزوج المثالي، ص76.
(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص611.

إن الإحساس بالمودة والرحمة لهو أحد أهم الحاجات الأساسية التي يحتاجها الزوجان فيما بينهما، فكما أن هناك الحاجة للغذاء والتزاوج فهناك الحاجة للعاطفة التي تغذي الروح فينعكس إيجاباً على الإنسانية.

حتى إن حاجة الإنسان للحب والرحمة هي التي تدفعه للقاء شريك حياته الذي يوفر له هذه المشاعر فكان الزواج الشرعي، وكما قيل: "إن الزواج ليس ارتباط رجل بامرأة مجرد ارتباط... إنما هو في حقيقته امتزاج روحي أول خطوة فيه هي الحب، لكن الحب يختلف حسب طبائع المتزوجين، فنحن نتزوج لأن الحب يدفعنا للزواج، سواء كان حب الجمال أم المال أم التدين، المهم أن الفطرة والحب عنصران متلازمان في الزواج الذي يعتبر رباطاً أبدياً لا ينفصم إلا حين يفقد عنصر الحب".[1]

والحب يَخْلق بين الأزواج مشاعر متعددة كالشوق والحنين وبذل الوسع في إرضاء الطرف الآخر، فينتج شعوراً أكبر من ذلك يسمى السعادة الزوجية التي تساعد على التخلص من كثير من المشاعر السلبية التي تنتج بسبب ضغوطات الحياة المختلفة، أما الرحمة فإنها تقتضي أن يعفو كلاً الزوجين عن الآخر ويلتمس له العذر جراء ارتكابه بعض الأخطاء التي لابد منها كطبيعة بشرية دون قصد منه، والرحمة مطلوبة كذلك، لأننا كطبيعة بشرية نتعرض لعدة أمور مثل المرض والعجز والحزن والمحن، وكلها تتطلب رحمة من الطرف الآخر لتستديم المحبة والمودة، وبذلك نضمن استمرارية الحياة الزوجية بتماسك وترابط دون تعرضها للهدم إثر خلل بسيط يحدث في حياتنا اليومية.

المودة والرحمة إذاً هي العنصر الأهم بين الزوجين، لأنها تعتبر المحرك الأقوى في تماسك العلاقة الزوجية واستمرارها بشكل سليم، فمن يحب ويرحم فإنه يضحي ويتحمل ويسعى

(1) عبد المنعم قنديل، لماذا نتزوج؟، ص6-8.

لإرضاء صاحبه بكل رضىً وسرور دون أن يفعل ذلك تجملاً، بل يكون حبه ورحمته صادرة من أعماق قلبه وهذا ما يسمى العاطفة بين الأزواج أو العاطفة الزوجية.

ولا بد من التنبيه على أن عواطف الرجل تختلف عن عواطف المرأة في الكم والنوع وطريقة التعامل بها، وهذا ينشأ تبعاً لأمور أخرى ترجع لطبيعة الرجل كرجل وطبيعة المرأة كامرأة، بسبب وجود اختلاف بينهما.

فالرجل المسؤول عن حماية المرأة وعن تكاليف الحياة والذي يتسم بالشجاعة والجرأة وقلة الكلام والجدية وتحكيم العقل والتطرف في بعض الشخصيات، فإننا لانستغرب أن يعتقد بأن الإفصاح عن مشاعر المودة والرحمة بقدر كبير تجاه زوجته وأولاده يكون ضعفاً بحقه، فقد اعتاد الرجل منذ بداية الخليقة أن يكون خشناً قاسياً لأنه مكلف بالقوامة والقتال وتحكيم العقل، فيتجنب إبداء هذه الأمور على أرض الواقع حتى لو كانت نفسه مليئة بهذه المشاعر.

أما المرأة فتبعاً لطبيعتها من الرقة والعاطفية وكثرة الإفصاح، فإنها لا تتجنب إبداء هذه المشاعر على أرض الواقع والتعامل معها بكل سلاسة ومع كل من حولها غالباً، لأن وظيفتها أن تنشر العواطف وتتناقلها مع الزوج والأبناء والمجتمع حولها.

وقد تحدثت عن عاطفة المرأة وبينت أنها من خصائصها النفسية المهمة في تكوينها النفسي، لأنها لولا هذه العاطفة فيها لفات كل من حولها الكثير من الراحة والسعادة، فهي إذاً مطالبة بنشر المودة والرحمة في بيتها كي تضمن سعادته، وعليها كذلك أن تستخرج هذه المشاعر من أهل بيتها وتعلمها للرجل والأبناء فهم بحاجة إلى ذلك لأن الذكور يعتبرون ذلك ضعفاً والمرأة تعتبر ذلك حباً وحناناً.

وسبحان من خلق الخلق وأبدعه كيف قسم هذه المودة والرحمة بين الزوجين بمجرد أن يعرف أحدهما صاحبه ويعاشره، وكأننا حين نذكر قصة خلق آدم وحواء ندرك هذه الصفة

النفسية كيف خلق حواء من ضلع آدم الموجود ناحية القلب، بل الذي يرتكز عليه القلب كما يقول بعض العلماء، بحيث لولا وجود هذا الضلع لقلب في الأحشاء ولم يعد هناك حياة لمن حصل لـــه ذلك، أي أنه سبحانه وتعالى خلق حواء من أقرب نقطة لوجود المشاعر عند الرجل، لكي نعلـــم أن أساس المشاركة في الحياة هو المودة والرحمة وتبادل العطاء بين الجنسين، فيقـــبلان علـــى بعضهما وتحصل سنة الله في الكون من التناسل والتكاثر وأداء الرسالة.

وقد يرد تساؤل عن العلاقة بين الغريزة الجنسية والمودة والرحمة بين الزوجين ينبع من قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l m Z الروم: ٢١، حيث إنه بعد أن خلق الأزواج وأسكنهم لبعضهم البعض جعل بينهم مودة ورحمة؟

هناك من يرى بأن الجنس يتحدد بدوافع فسيولوجية حيوية، والحب يتحرك بدوافع اجتماعيـــة بيئية، وأن الجنس بالنسبة للإنسان أهم من الحب، لأنه يحفظ النسل، ولأنه غريزي فيحرك الحب ويوجهه، ثم يرى صاحب هذا الرأي أن الحب قد يكون هو المحرك للجنس لأنه غريزي يظهـــر منذ الولادة، ثم يصل صاحب الرأي إلى نتيجة أن كليهما -الحب والجنس- يؤثر على الآخر، لأن الإنسان تتحكم فيه عوامل جسمية عضوية داخلية وعوامل اجتماعية خارجية، ومجمـــوع هـــذه العوامل يشكل النفس البشرية بكل تعقيداتها الجسمية والنفسية، فالحب يهذب الجنس ويضعه فـــي موضعه السليم والمقبول شرعياً واجتماعياً ويسمو بالجنس إلى غايته الأساسية، وهـــي الحفـــاظ على النوع الإنساني، أما الجنس فهو يقوي الحب ويدعمه".[1]

وترى الدكتورة هيلين فيشر أن هناك مركزاً في الدماغ للحب، حيـــث يتـــأثر هـــذا المركـــز بتفاعلات كيماوية خاصة تفعّله عندما يشعر الإنسان بانجذاب معين، ويمر هذا الـــشعور بـــثلاث مراحل هي: (الرغبة والهوى والانتماء)، فالأولى هي الدافع الجنسي، والثانية تؤدي إلى إفـــراز

---

(1) عكاشة الطيبي، الزوج المثالي، ص76-77، بتصرف.

وسائط كيماوية مختلفة ومتعددة ترفع المزاج مثل الدوبامين الذي يشعر بالارتياح، والفينيل إيتلامين يرفع درجة الإثارة، والسيروتونين يعطي الشعور بالاستقرار العاطفي وغير ذلك، وبعد أن يضمن هذا المركز تَمَكُّن كل طرف من قلب الآخر وميله له، فإنه ينتقل للمرحلة الثالثة وهي الانتماء الذي يدفع الإنسان للتمسك بشريك حياته واحتماله وما يصدر عنه، فتبدو معاني التعاون والتضحية بينهما.(1)

وأفهم من هذا الكلام أن الحب والجنس يؤدي أحدهما إلى الآخر في مرحلة الزواج خصوصاً، لأن هناك من يمارس السلوك الجنسي بطريق محرّم لا تهمه العواطف الممزوجة مع هذا السلوك، إنما غرضه الوحيد هو الحاجة الجسدية له.

وهناك من يشير إلى أن الرجل يفصل بين الحب والجنس، والنساء لسن كذلك، لأن بنية الدماغ الذكري تسمح بالفصل بين الأشياء، أما الأنثى فدماغها كشبكة توصيلات تمكنها من تفعيل مركز الحب قبل أن يتمكن مركز الجنس من التنشيط، أما الرجل فلا يملك مثل تلك التوصيلات، فيبقى الحب حباً عنده والجنس جنساً، وعندما يلتقي الاثنان معاً عنده تعتبر ضربة حظ.(2)

ولعلي مع الكاتب في بعض ما قاله، ولست معه في الجزء الآخر، أما الذي وافقته عليه أنه تكلّم عن الموضوع علمياً من أن الرجل يفصل بين الحب والجنس والمرأة لا تستطيع ذلك، حيث يظهر ذلك من خلال وجود نسبة كبيرة من الاغتصاب، وهو سلوك يلجأ إليه الرجال دون النساء، لقدرتهم على عضل المرأة بسبب بنيتهم الجسدية القوية والتمكن من المرأة الضعيفة جسمياً، إذاً هو مهتم بممارسة شعوره بالشهوة دون الحاجة لأن يحب من يمارس معه ذلك الفعل.

---

(1) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص278-280، بتصرف.

(2) آلان بيز، معارك قيس وليلى، ص281-282، بتصرف.

أما قول الكاتب: إن الرجل لا يستطيع المزج بين الحب والجنس إلا في حالات نادرة يعتبرها ضربة حظ، فأنا لا أوافقه ولا أستغرب قوله في آن واحد؛ لأن الكاتب غربي البيئة والثقافة والدين، فهم لا يعلمون قيمة الزواج الشرعي الذي يحقق للإنسان أهدافاً كثيرة لا تقتصر على الحصول على اللذة وتلبية متطلبات الجسد فقط، وهذا ما علمنا إياه الإسلام ورسم حدوده ومآلاته كي لا يطغى أحد على شريكه، بل على العكس علّمنا أن الزواج الطبيعي يؤدي حتماً للشعور بالمودة والرحمة والإلفة، وأوصى بعدم ممارسة العلاقة الجنسية التي تخلو من المشاعر والعواطف، فأرشد إلى المداعبة والملاطفة قبل الإقدام على السلوك الجنسي البحت، كي ينجذب الطرفان وجدانياً ويألفان بعضهما، فتحصل اللذة الحقيقية على مستوى الجسد والنفس معاً، وهذا من توازن الإسلام وكماله.

فالقرآن الكريم عزز الناحية الروحية بين الأزواج ليضمن الترابط بينهما للحفاظ على قوام الأسر ونشأتها نشأةً سليمة تخلو من الهُون والضعف الذي يسطو على كل أسرة خلا منها التعزيز الوجداني، وذلك لأن الأسر تتكون في بداية أمرها من رجل وامرأة، ثم تمتد لتشمل ما ينجبانه من أبناء، ففي حالة كون الأسرة مكونة من رجل وامرأة -قبل الإنجاب- فإن الحب والمودة يعتبر شيئاً رئيساً بينهما لكي تصان الأنفس وتعف عن الانحراف واللجوء إلى طرق غير شرعية في تحصيل رغبات النفس – ولا ننسى أن المودة والرحمة حاجة نفسية لجميع بني البشر يحتاجه الذكر والأنثى-، وفي حالة وجود الأبناء فلابد أن تسود الأسرة هذه العواطف لكي نضمن إنشاء جيل صالح مترابط وسليم النفس والعقل والبدن، وإلا كان ذلك الجيل عالة على المجتمع بل سبباً في هلاك قواه البنيوية مستقبلاً.

لذلك نقرأ قوله تعالى:] Y Z [\ ] ^ _ ` a b c

d e f ¦h i j k l m Z الروم: ٢١.

فقد حدثنا القرآن عن قصة الزواج الشرعي وما راعى به الفطرة والغريزة والحاجة، لأن النفس البشرية جبلت على الحب والتودد لمن ألفتهم، فجعل الله في الزواج ما يجعل النفوس تسكن لبعضها، فيؤدي ذلك للحصول على شعور المودة والرحمة.

فلا نتصور حياةً زوجيةً سعيدة مستقرة ذهبت منها المشاعر والأحاسيس الدّفاقة التي تعتبر أساساً لقيام هذه الأسر، لأنها تجعل كل زوج يضحي من أجل زوجه، ويحتمل عيوبه ويسترها ويكمل نقصها.

وألاحظ أن اللفظ القرآني عبر عن مشاعر الحب "بالمودة والرحمة" ولم يعبر عنها بلفظ الحب مثلاً، والذي يبدو لي أن الحب هو درجة أولى في سُلَّم المودة، يزيد وينقص حسب الانفعالات، بحيث لا يكون مُجَرَّبَاً في كثير من المواقف التي يمر فيها الزوجان، تحتاج لمشاعر عميقة ومتمكنة ليجتازا كثيراً من المشاكل، أما لفظ "المودة" فهو يشير إلى مرحلة متقدمة في مشاعر الحب والهوى، تشعرنا بقوتها وتمكنها وتجربتها في المواقف التي تنبئ عن صدقها.

أما لفظ "الرحمة" فالذي يبدو أنه أضافه للفظ "المودة" لأن مشاعر الحب لا تكفي في مسيرة الحياة الزوجية التي تمر بأمور عظيمة تحتاج لسعة في الصدر وحِلْمٍ غير متناهٍ، فمشاعر الحب ليست كفيلة بأن يتجاوز الزوجان عن زلات بعضهما بعضاً ويغض الطرف عنها، لكن الرحمة بين الأزواج كفيلة بأن ينظر كل زوج إلى زوجه بعين الحنان والعطف اللازم، والرحمة درجة أكبر من المودة وأعم منها، لأن الرحمة تنمي الشعور بالمودة وتغذيه، فعندما يرحم الزوج زوجه ويتجاوز عنه ويقف إلى جانبه في محنه التي تمر عليه ويشعره بعطفه وحنانه فإن حصيلته الحب والمودة.

الحياة الزوجية إذاً يلزمها بعض التنازلات التي تسهل الحياة وتسهل مسيرتها في طريقها، على أنني لا أقصد التنازل عن المبادئ الثابتة والأصلية والشرعية، بل أقصد التنازل عن التمسك بنظرة واحدة للموقف الحاصل، بأن يلتمس الأعذار ويعفو، فالحياة لا تنتظر.

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: " والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس] c d e f ¡h i j k l m Z فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبياً لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد".(1)

ويقول الرازي: " قوله:] c d e f ¡Z فيه أقوال، قال بعضهم: مودة بالمجامعة ورحمة بالولد؛ تمسكاً بقوله تعالى:] # $ % & ' Z مريم: ٢، وقال بعضهم: محبة حالة حاجة نفسه، ورحمة حالة حاجة صاحبه إليه، وهذا لأن الإنسان يحب مثلاً ولده، فإذا رأى عدوه في شدة من جوع وألم قد يأخذ من ولده ويصلح به حال ذلك، وما ذلك لسبب المحبة وإنما هو لسبب الرحمة، ويمكن أن يقال ذكر من قبل أمرين أحدهما: كون الزوج من جنسه، والثاني: ما تفضي إليه الجنسية وهو السكون إليه، فالجنسية توجب السكون، وذكر

---

(1) سيد قطب، الظلال، ج5، ص2763.

ههنا أمرين أحدهما: يفضي إلى الآخر فالمودة تكون أولاً ثم إنها تفضي إلى الرحمة، ولهذا فإن الزوجة قد تخرج عن محل الشهوة بكبر أو مرض ويبقى قيام الزوج بها وبالعكس".(1)

المطلب الرابع: الحاجة إلى إشباع عاطفة الأمومة والأبوة

وبعد أن يتم التزاوج بين الرجل والمرأة عبر الزواج الشرعي، وبعد أن تسكن النفوس إلى بعضها ويملؤها الشعور بالحب والدفء العاطفي، فإن النفس حينها تتشوق إلى ما هو أبعد من ذلك، تتشوق إلى شيء يتعلق بالحاضر والمستقبل يعبر عن ثمرة الحب والزواج، ويملأ وحدة الحياة وجمودها، يبعث في نفسها الأمل والسعادة، هذه هي الخصيصة النفسية المشتركة بين الزوجين (عاطفة الأمومة والأبوة).

لقد تحدثت عن أهمية الزواج من عدة نواح في المطالب السابقة، من تحقيق مطالب الغريزة الجنسية، ومطالب السكينة النفسية، وتحقيق مرامي العاطفة وتغذيتها، ذلك أن الزواج ليس فقط إرضاءً لمتعة الجسد والتوقف عندها بل له مآرب أخرى لهذه العملية تضفي عليها التجدد والتطور، وهي الإنجاب لإشباع غريزة أخرى هي الأمومة والأبوة، فكل من المرأة والرجل يطمح في حياته الزوجية أن يكونا أماً وأباً لأطفال أصحاء الجسد والخلقة وسليمي الطبع والفطرة في المستقبل.

يقول الأستاذ مرسي شعبان: "ومن الغرائز الفسيولوجية الفطرية المهمة في طبيعة النفس البشرية والتي تعمل على المحافظة على بقاء النوع البشري: غريزة الأمومة [والأبوة]".(2)

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، م9، ص92.

(2) السويدي، مرسي شعبان، غرائز النفس البشرية، دار الصحابة للتراث- طنطا، ط1(1412-1992)، ج2، ص227-228.

ويقول ابن عاشور في قولــه تعــالى:] p q r s t u v Z آل عمــران: ١٤: "ومحبّة الأبناء أيضاً في الطبع، إذ جعل الله في الوالدين من الرجال والنساء، شعوراً وجدانياً يُشعر بأنّ الولد قطعة منهما، ليكون ذلك مدعاة إلى المحافظة على الولد الذي هو جيــل المستقبل، وببقائه بقاء النوع، فهذا بقاءُ النوع بحفظه من الاضمحلال المكتوب عليه، وفي الولــد أيضاً حفظ للنوع من الاضمحلال العارض بالاعتداء على الضعيف مــن النــوع؛ لأنّ الإنــسان يعرض له الضعف بعد القوة، فيكون ولده دافعاً عنه عداء من يعتدي عليه، فكما دفع الوالد عــن ابنه في حال ضعفه، يدفع الولد عن الوالد في حال ضعفه".(1)

على أن غريزة الأمومة تبدو أقوى من غريزة الأبوة، وهذا أمر طبيعي، لأنه يتناســب مــع وظيفة الرجل والمرأة في الحياة وطبيعة كل منهما، فالمرأة خلقت بتكوين جسدي ونفسي لوظيفــة رئيسة هي الأمومة، فكانت طبيعة جسدها تسمح لها بتولي مهمة الحمــل والــولادة والرضــاعة والخفة العضلية، لتكون قادرة على التعامل مع هذا المولود الضعيف، وطبيعتها النفسية ذات رقة وحنان كبير تجعلها قادرة على إعطاء طفلها ما يلزمه من هذه المشاعر دون تكلف أو اصــطناع لها.

أما الرجل فبنيته الجسدية التكوينية العضلية تجعله غير مؤهل لتولي هذه المهمة بدل المرأة - مهمة إنجاب الطفل ورعايته- لأنه خلق لوظيفة أخرى هي الكد والعمل خارج المنــزل لكــسب القوت وتأمين ما يلزم من متطلبات الحياة الأسرية، وليس معنى ذلــك أن الرجــل لا يهــتم لأن يكون أباً، أو أنه لا يستطيع إمداد طفله بالحنان اللازم، لكن الأم أقدر على ذلك وأصبر.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص181.

"وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يهيئ في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً قوياً يهيؤهـــا للقيـــام برسالتها المهمة في الإنجاب لبقاء النوع البشري، فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة عن رضًى، وتقوم بإرضاع الطفل والحنو عليه ورعايته حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه".(1)

ويقول آخر: "إن الغريزة خاصية فطرية موجودة في الإنسان من أجل المحافظة على بقائـــه، ومن أجل المحافظة على نوعه، ولأجل أن يهتدي بها إلى وجود الخالق، وهذه الغريـــزة لا يقـــع الحس عليها مباشرةً، إنما يدرك العقل وجودها بإدراكه مظاهرها، ومن هذه الغرائـــز: الأمومـــة والأبوة وحب الأبناء، حيث ترجع إلى غريزة حفظ النوع لأنها تخدم بقاء النوع الإنساني كنـــوع وليس كفرد".(2)

وهناك نقطة أود أن ألفت النظر إليها من زاوية نفسية اجتماعية، وهي أن المرأة دائماً تـــسعى للأمومة بالدرجة الأولى لتكون أماً وترضي غريزتها الدفاقة في هذا المجال، وتمارس وظيفتهـــا في الحياة، أما الرجال فإن هناك نسبة منهم تبحث عن الأبوة خاصة في أول الـــزواج بالدرجـــة الأولى للتخلص من نظرة المجتمع السلبية في حالة عـــدم إنجابـــه وكثـــرة التـــساؤلات حـــول الموضوع، حتى لو لم يكن هناك خلل ما لديه أو لدى المرأة، لذلك يلح الرجل في طلبـــه للطفـــل مبكراً، وهذا بالدرجة الأولى كما قلت وليس في مجمل الأمر، لأن العاطفة لا تخلو منه على كل حال وهذا لا يعم كل الرجال.

---

(1) مرسي شعبان، غرائز النفس، ص227-228.

(2) عبد الله، محمد حسين، مفاهيم إسلامية، دار البيارق- بيروت- ط1(1414-1994)، ص18-19.

لكن المرأة قد تلجأ لهذا التفكير في حالة مكوثها فترة طويلة دون إنجاب مــن أول زواجهــا، لأن نظرة المجتمع ستتوجه لها بكونها ليست ولوداً، فتخشى على نفسها من الطــلاق أو تــزوج زوجها عليها بأخرى بحجة رغبته في الإنجاب.

والقرآن الكريم يعرض لنا مواقف كثيرة بين الآباء وأبنائهم، ويصور حالة الأم وحالــة الأب في حنوهم ورعايتهم لأولادهم، لأن أساس صلاح الإنسان مستقبلاً هو طبيعة علاقته بأمه وأبيه.

يشير الشيخ محمد سيد طنطاوي إلى أن حب الأولاد من طبيعة الإنسان، فهم أشهى ثمــرات الحياة، لذا تمنى الذرية جميع الناس حتى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- والآيــات القرآنيــة تصور العواطف الإنسانية وغريزة حب الإنجاب.(1)

ومن هذه المواقف القرآنية الإنسانية:

قال تعالى:] ! " # $ & ' ( ) * , -

. / 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A

B C D E F G H I J L M N O P Q Z الأحقاف: ١٥،

وفي موضع آخر يقول تعالى:] F G H I J K L M N O

P Q R S T U V Z لقمان: ١٤.

(1) طنطاوي، محمد سيد، حديث القرآن عن العواطف الإنسانية، مركــز الأهــرام- القــاهرة، ط1(1420-1999)، 58، بتصرف.

وقـــال تعـــالى:] A B C D E F G H I J K M

N O P Q R S U V W X Y Z [\ ] ^

_ Z الأعراف: ١٨٩.

هنا يصور القرآن الكريم غريزة الأمومة والأبوة لدى الذكر والأنثى عندما ابتـدأت حياتهمـا الزوجية وأثمرت حملاً خفيفاً ثم أصبح ثقيلاً، وعندما اكتمل الحمل وأوشكت الأم علـى الـولادة نرى كيف توجهت عاطفة الأم والأب لذلك الجنين الذي يدعوان بسلامته وصلاحه كـي تكتمـل بهجتهما به، وليملأ عليهما فراغ الحياة وتهدأ النفوس بتلبية فطرتهما.

ونتيجة لهذه الرحمة والرأفة بالأبناء ورعاية الآباء لهم وفق الطبيعة السليمة وتحمـل مـشاق الحياة من أجلهم، جاء التوجيه الرباني للأبناء بأن يحسنوا لوالـديهم ويحترمـوهم مقابـل تلـك الرعاية والعناية، ومقابل الآلام والتكاليف التي تكبدها الوالدان لإنجاب أطفالهم وتـربيتهم تربيـة سليمة، مع توفير الحياة الكريمة لهم.

فانظر للأمومة وعظمتها، حتى أن الأم تعلم أنها ستقاسي من الآلام ما لا تحتمله الجبال، ولكنها تسعى لإنجاب ذاك الطفل واحتضانه، فكان حمله كرهاً ووضعه كرهاً، والكره هنا ليس المقصود فيه البغض، إنما هو كره الآلام والأوجاع التي يكرهها الإنسان عادةً، وهذا أمر طبيعي.

أما الآية الأخرى فإنها تعبر عن هذا المعنى بـ"وهناً على وهن" أي تعباً وضعفاً فوق ضعف، لأن الجنين كلما تقدمت مراحله وثقل أصبح تعب الأم أكبر، ولكنها تتحملها لتحقق فطرة الأمومة وتمارس العاطفة الجياشة لديها هي والأب، فتسير الحياة في وضعها الطبيعي المستقر في حفـظ النوع الإنساني ليستخلف في الأرض.

وأحبذ الحديث هنا عن قصة سيدنا زكريا مع هذه الغريزة المهمة في حياة البشر جميعاً، فقد صور القرآن الكريم حالته النفسية وانفعالاته العاطفية أكمل تصوير، حيث قال تعالى:] #

5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $

D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6

V U T S R | P O N M L K J I H G F E

i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W

z y x w v u t s r q p o n m l k j

} | { ~ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ © أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا Z مريم: ٢ - ١٠، فعلى الرغم من ولهه أن يكون له ولد يحمل اسمه ويحمل الرسالة من بعده ودعوته لربه بذلك، إلا أنه عندما جاءته البشرى تساءل أمام الله: أنى يكون له ولد وهو في مثل هذا السن وامرأته عاقر؟! وكنت دائماً أتساءل عن سبب ذلك كيف يستغرب سيدنا زكريا رزق الله له مع أنه طالبٌ له؟ فقلت: إنه ربما من شدة دهشته وفرحه بهذه البشرى التي طالما انتظرها لم يستطع تفهم الأمر في الوهلة الأولى، فتساءل بغرض التأكد لا بغرض الإنكار، وهذه طبيعة في البشر، فإن تقدم أحدهم للاختبار وكان يعتقد أنه سوف يحصل على درجة عالية جداً، وظهرت النتائج وكان حاصلاً على هذه الدرجة العالية فعلاً، فإنه سيدهش ويتساءل: هل حقاً حصلت على هذه الدرجة؟! حتى لو كان يتوقع هذه النتيجة، فهي طريقة للتعبير عن الدهشة وللتأكد كذلك، وهذا الذي يبدو ما حصل مع سيدنا زكريا الذي أصابته الدهشة، لأن هذه البشرى معجزة من معجزات الله التي تكرم بها.

فهذه غريزة الأمومة والأبوة التي يسعد بها الزوجان وتكلل فرحتهما بباقي الغرائز والحـوائج من الجنس والعاطفة والسكينة والتكامل، فإذا ما حظيا بالطفل حصل التوازن في العلاقة الزوجية ومارس كل من الرجل والمرأة خصائصه النفسية.

الفصل الثاني

أثر الصفات والسلوكيات لدى الزوجين

على نفسية كل منهما

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: أثر صفات الزوجين على نفسية كل منهما

المبحث الثاني: أثر السلوكيات المشتركة بين الزوجين عليهما

المبحث الثالث: أثر سلوكيات الزوجة على الزوج

المبحث الرابع: أثر سلوكيات الزوج على الزوجة

الفصل الثاني

أثر الصفات والسلوكيات لدى الزوجين على نفسية كل منهما

المبحث الأول

أثر صفات الزوجين على نفسية كل منهما

المطلب الأول: أثر الصفات المادية

وأبرز هذه الصفات:

أولاً: الحالة المادية (الغنى والفقر).

ثانياً: الجمال والقبح.

ثالثاً: القوة والضعف.

رابعاً: الفصاحة.

واخترت هذه الصفات لبروزها ووضوح معالمها على الإنسان وتعبيرها عن مظهره لمن حوله، وسأعرض لها بشكل عام ثم من ناحية تأثيرها على الرجل والمرأة بشكل خاص، وهل لهذه الصفات دور في علاقة الرجل بالمرأة من تحقيق الانسجام أو عدمه؟ هذا ما سنتعرف عليه لاحقاً.

على أن هذه الأمور نسبية تختلف من شخص لآخر من جهة نظرته لها ومن جهة تأثيرها عليه، لكن هذه الدراسة تبين هذه الأمور من وجهة النظر العامة التي ترتكز على طبيعة النفس البشرية وميولها الفطرية التي جبلت عليها بالأصل.

أولاً: الحالة المادية: -

يقول الله تعالى في محكم تنزيله:] p q r s t u v w x y z { | } ~ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ © ٱلْمَـَٔابِ Z آل عمران: ١٤.

هنا يحاكي القرآن الكريم نفسية الإنسان ويضعها أمام ما فطرت عليه، وجبلت على حبه من الشهوات المتعددة، كحب النساء والأولاد والأموال بأنواعها، والأملاك من الأنعام والحرث وغيرها مما يسعى الإنسان لامتلاكه والاستمتاع به بكافة الأشكال.

فمن منا لا يسعى لامتلاك هذه الشهوات والتمتع بها في الحياة الدنيا بكل مجالاتها، حتى إذا لاحظنا أن النص القرآني لا يحدثنا فقط عن حب الإنسان للمال وشهوته في الحصول عليه، بل نراه يحدثنا كذلك عن سعي الإنسان لتكديس هذه الأموال لتصبح قناطير مقنطرة يملكها لنفسه وذاته، وإذا لاحظنا كذلك أن تعبير القرآن الكريم عن هذا الحب وجدناه يقول:] p q r s Z أي: هي ليست شهوة فقط، إنما هي شهوة زين حبها في نفس الإنسان، فيكون المعنى حبب إليهم حب الاشتهاء، وهذا ليدل على مدى ما يمكن للإنسان أن يتعلق بها.

يقول البقاعي: "«حب الشهوات» جمع شهوة، وهي نزوع النفس إلى محسوس لا تتمالك عنه".[1]

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج2، ص34.

ويقول ابن عاشور: "والذهب والفضة شهوتان بِحسن منظرهما وما يتّخذ منهما من حلي للرجال والنساء، والنقدان منهما: الدنانيرُ والدراهم شهوة، لما أوْدَع الله في النفوس منذ العصور المتوغّلة في القدم من حبّ النقود التي بها دفع أعواض الأشياء المحتاج إليها".[1]

ويزيد على ذلك صاحب الظلال ويقول: " والنساء والبنون شهوة من شهوات النفس الإنسانية قوية.. وقد قرن إليهما «القناطير المقنطرة» من الذهب والفضة.. ونهم المال هو الذي ترسمه «القناطير المقنطرة» ولو كان يريد مجرد الميل إلى المال لقال: والأموال، أو والذهب والفضة، ولكن القناطير المقنطرة تلقي ظلاً خاصاً هو المقصود، ظل النهم الشديد لتكديس الذهب والفضة، ذلك أن التكديس ذاته شهوة، بغض النظر عما يستطيع المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى!".[2]

فالقرآن الكريم يدلل على مدى حب الإنسان للأموال وغيرها من الشهوات بالفطرة والجبلة التي خلق عليها، فكانت هذه الآية بمثابة عرض لأنواع بعض الشهوات ومستوى تأثر الإنسان بها.

وهناك أمر وجدته عند بعض المفسرين* الذين يرون أن هذا النص القرآني جاء لتنفير الإنسان من هذه الشهوات، لأنه يتبعه قوله تعالى:] قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ´ µ ¶ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ Z آل عمران: ١٥، فيوجه نظرة الإنسان إلى إلغاء هذه الشهوات وتأجيل التمتع بها إلى الآخرة التي أعد الله فيها ما هو خير لكل مؤمن.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م2، ص181.

(2) سيد قطب، الظلال، م1، ص374.

(*) مثل الرازي، الزمخشري، ابن عطية.

ولي نظرة أخرى وهي أن النص لم يأت لتنفير الإنسان من هذه الشهوات، لأن الإسلام دين فطرة يعلم أن الإنسان مفطور على أمور كثيرة، فلم يأت بتشريع ينفر من هذه الشهوات ويلغيها، إنما جاء بتشريع يهذبها ويوجهها في هذه النفس البشرية التي قد تضعف أمام شهواتها، أما التنفير فإنه يتعارض مع جبلها في نفسية البشر.

فوظيفة النص القرآني في هذا السياق التهذيب لا التشجيب للشهوة "المزينة"، وأراد أن يرشد الإنسان إلى عدم التعلق بها في الحياة الدنيا كي لا تضيع عليه الآخرة، لأن ما عند الله خير من ذلك كله، فالإسلام لا يلغي حب النساء والأولاد والأموال وغيرها، وإلا لم يتزوج الرجال ولم ينجبوا ولم يسعوا في الأرض للعمل والإنفاق، وبالتالي يضيع الهدف من إيجاد البشرية المكلفة بعمارة الارض والتناسل والضرب فيها، وتحقيق سنة الله تعالى في بدايتها ونهايتها بما يحب ويرضى.

ولا ننسى حديث الرسول r للرهط الذين امتنعوا عن شهوات الدنيا من الزواج والطعام والنوم، فقال لهم الرسول r: "والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".[(1)] فالرسول الكريم r لم يلغ هذه الشهوات، مع أنه أكثر الناس خشية لله وأعبدهم له، بل وجهها على الطريقة الشرعية.

وبعد هذا العرض العام لفطرة الإنسان المجبولة على حب النساء والأولاد والأموال والسعي لامتلاكها وتكديسها، فإني سأعرض لتأثير المال على علاقة الرجل بالمرأة، حيث إن الرجل مطالب بالعمل والإنفاق وتوفير الاحتياجات لكل من هم تحت رعايته، وبما أن الأرزاق موزعة على الخلائق فإننا سنجد الغني والفقير، أي: من يملك المال ومن لا يملكه، والمرأة كغيرها من البشر تسعى لامتلاك المال الذي يوفر لها حياة الرفاهية والتزين الذي يضفي رونقاً جميلاً على

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص914.

مظهرها بما يجعلها تتفاخر أمام قريناتها بذلك، وتسعى لأن تغلبهن بما حازته من هـذ الرفاهيـة والجمال، لذلك فإن نفس المرأة تتوجه غالباً للارتباط برجل يملك المال ويستطيع توفير متطلباتها ورغباتها.

فالرجل الغني مرغوب محبوب من قبل المرأة، أما الرجل الفقير فإنه على عكس ذلـك فـلا تحب المرأة الاقتران به، لأنها تعلم ما ستقاسيه مع هذا الرجل من قلة اليد والحيلة وعدم تـوفير ما تحتاجه هي وأطفالها من حاجات، حتى الأساسية منها.

ومن جانب آخر فإن الرجل قد يحبذ الاقتران بالمرأة الغنية وقد لا يحبذ ذلك، فإن أحب ذلـك فلعدة أسباب منها: أن نفس الرجل تتوجه إلى أن المرأة الغنية هـي امـرأة ذات رفاهيـة ودلال وزينة وعناية بنفسها ومظهرها أكثر بكثير من المرأة الفقيرة التي لا تستطيع فعـل كثيـر مـن الأمور التي تحافظ على رونق الفتاة وجمالها، لأن الرجل يسعى في النهاية لامتلاك الجمال فـي كل امرأة يريد الزواج منها، إضافةً إلى كون المرأة الغنية متحضرة تعرف من أسـاليب الكـلام واللباقة وفنون الأمور ما قد تجهله المرأة الفقيرة التي تنشغل غالباً بأساسيات الحياة، ومنها كذلك أن المرأة الغنية لا ترهق زوجها بمتطلباتها لأن هناك ما يرفدها غيـره ممـا تملكـه أو يملكـه ذووها، بل تستطيع توفير حاجيات قد لا يستطيع الزوج توفيرها إن كان متوسط الحالة المادية.

أما الرجل الذي لا يحب الاقتران بالمرأة الغنية فإن ذلك يرجع إلى عزة النفس والأنفة، حيـث يعتقدون أن الزواج من المرأة الغنية مع توسط حالهم يؤدي إلى استصغار النفس والشأن أمامهـا والشعور بالحاجة إليها، ومعلوم أن الرجل مفطور على حب الشعور بحاجة المرأة إليـه ليـشعر بفائدته وأهميته.

لكن بشكل عام تميل النفس غالباً إلى حب الغنى وكره الفقر الذي استعاذ منه سيد البـــشر **r**، حيث قال: "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر"(1). فالمال سبب لتقرب المرأة من الرجل وتقرب الرجل من المرأة، على أن هناك أموراً أخرى تؤخذ بالحسبان عند اختيـــار شـــريك الحيـــاة، لا تقتصر على المادة مثل الدين والأخلاق والعلم وما إلى ذلك من أمور، لكننا لا ننكر وقوع كثيـــر من الرجال والنساء في فخ المال ففسدت حياتهم جراء ذلك، والسبب بكل بساطة هو ميل الـــنفس البشرية لشهوة المال.

ثانياً: الجمال والقبح: -

إن من المعلوم لدى الجميع أن النفس الإنسانية تسعى لامتلاك الجمال في نفسها ولِذَاتِهَا مـــن أشخاص أو كائنات أو جمادات، وفي المقابل تنفر من القبح وتستبعده، فعن النبـــي **r** قـــال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال"(2). لذلك لابد أن يكون خلقه(دون تـــشبيه) جمـــيلاً يحب الجمال، قال تعالى:] + , - . / 0 Z التين: ٤.

على أننا نرى أموراً توصف بالقبح والبشاعة في هذه الحياة تنفر النفس البشرية مـــن مجـــرد السماع بها، فكيف رؤيتها؟ وسبب وجود مثل هذه الأمور هو تحقيق سنة من سنن الكون وهـــي وجود المتضاد في كل شيء، فهناك الخير وهناك الشر، وهناك الغنى وهنـــاك الفقـــر، وهنـــاك الجميل وهناك القبيح، إلى غير ذلك من أمور، فهذا الكون يقوم على هذا التنوع لوجود التكليـــف والابتلاء والاختبار، ولعل هذا التنوع هو الذي يخلق التغيير ويصنع الفكر.

---

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، تحقيق خليل شـــيحا، دار المعرفـــة- بيـــروت، ط1(1422-2001)، م2، باب ما يقول إذا أصبح، ص420.

(2) مسلم، صحيح مسلم، باب تحريم الكبر وبيانه، ج1،ص93.

إنه عندما يرى أحد منا شيئاً جميلاً فإنه يسعد به ويديم النظر إليه ويحدث نفسه بذكر الله تعالى تسبيحاً (أو رداً للعين والحسد)، وعندما يرى شيئاً قبيحاً تنفر نفسه منه فإنه يغض نظره عنه، ويحدث نفسه بذكر الله تعالى وحمده لعدم ابتلائه بهذا القبح المنفر ومعافاته منه، فبشكل عام فإن النفس تحب الجمال وتنفر من القبح.

أما من جهة الرجل والمرأة فإن عنصر الجمال والقبح من أهم الأمور التي تؤثر في نفس كل منهما تجاه الآخر، فالرجل بطبيعته يحب النساء، وتبعاً لفطرة البشرية التي تحب الجمال، فإنه تعجبه المرأة الجميلة وتؤثر عليه، بل تسلبه عقله حتى لو كان من أصلب الرجال وأشدهم، لأن الله تعالى خلق في نفسه ميلاً للمرأة والاستمتاع بالحياة معها، ولا ننسى حديث رسول الله **r** الذي يعرف ما يعجب الرجل في المرأة ويسعى إليه فقال: " تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[(1)]. فالرجل عندما يريد الزواج فإنه يعمد للتعرف على شكل الفتاة التي سيتقدم إليها، حتى لو كانت ذات نقاب فإنه يطلب رؤيتها وهي كاشفة عن وجهها، ليعلم إن كانت صاحبة جمال أم لا، فإن كانت صاحبة جمال فإنه سيفكر ملياً بخطبتها والزواج منها، ثم يبدأ البحث عن الصفات الأخرى فيها، لكن إن لم تكن صاحبة جمال فإنه سيلغي تلك الفكرة لديه أصلاً ولا يتعب نفسه بالبحث عن صفات أخرى فيها، وهذا عند معظم الرجال.

على أن هذا الأمر لا ينفرد فيه الرجل وحده، بل تشاركه المرأة فيه جنباً إلى جنب، لأنها هي تسعى كذلك لامتلاك الجمال والمواصفات التي تلبي رغباتها في الرجل الشريك وتطلب هي كذلك رؤيته لتتأكد من جمال خلقته وخلوه مما قد يعيب شكله، فإن أعجبها شكله فكرت في البحث عن صفات أخرى فيه تؤهله للزواج منها.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ص918.

فجمال المرأة يؤثر في نفس الرجل إلى درجة توقعه في عشقها والافتتان بها وتخطي كل العقبـــات ليحصل عليها، ويمتد ذلك إلى ما بعد الزواج من تلبية كل متطلباتها ورغباتها قدر المـــستطاع مقابـــل تمتعه بهذا الجمال، حتى إن الرجل المتزوج أحياناً إن أعجبه جمال امرأة أخرى فإنه مستعد لهدم بيته الأول في سبيل الحصول عليها دون الاكتراث بمن وراءه من زوجة وأطفال، لكن علـــى الرجـــل أن يتأنى وإلا وقع في حسرة وندامة، لأن الزواج لابد أن تتوفر فيه مواصفات عديدة في شريكة الحيـــاة، وهذه المواصفات نبه إليها الرسول **r** في الحديث المذكور سابقاً.

وكذا يقال في المرأة التي قد تقع في الفتنة والعشق برجل أعجبها جماله، وإن كان ذلك بدرجة أقل من الرجل، لأن المرأة كراعية للبيت تبحث عن صفات أخرى مهمة بجانب الجمال، لكن لا ننسى قصة امرأة العزيز التي فتنها جمال سيدنا يوسف عليه السلام، فقد قال تعالى:] وَقَالَ

نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ à !

2 0 / . - , + *) (' & % $ # "

E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3

Z W V U T S R Q P O M L K J I G F

يوسف: ٣٠-٣٢.

فهذه المرأة ذات الطبيعة البشرية يفتنها الجمال لدرجة العشق والشغف بـــالمحبوب، فتـــدفعها نفسها المفتونة للتخلي عن المبادئ والأخلاق وممارسة الخيانة الزوجية أمام الرجل الوســـيم ذي الجمال الباهر ومحاولة الاستيلاء عليه وتمكينه منها، فالمرأة كالرجل تفتن بالجمال بل قد يـــؤدي ذلك إلى مشكلة أكبر، لأن المرأة إن كانت هي المفتونة العاشقة كان الطريق سهلاً أمـــام الرجـــل

للوقوع في الحرام، فالرجل قد لا يقدم على فعل ذلك إن لم تكن المرأة مشجعة له أو سهلة الوقوع.

ونلاحظ النص القرآني الذي يعبر عن درجة عشق المرأة بقوله:] قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا Z فاستخدم أولاً لفظ "قد" الذي يدل على تمكن الأمر وتحقيقه، ثم استخدم لفظ "شغفها" الذي يدل على اختراق القلب واحاطته بكل أفكار الفتنة والعشق والشوق للمحبوب لدرجة حجبه عن رؤية غيره، وهنا أجاد الرازي وأجاب حين قال: " إن الشغاف جلدة محيطة بالقلب فقوله: «**شَغَفَهَا حُبًا**» أي دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب، أو أن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب، ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغالها بحبه صار حجاباً بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة، فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا إياه، أو أن الشغاف حبة القلب وسويداء القلب. والمعنى: أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها، وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم".[1]

وصور افتتان المرأة إلى درجة سلبها عقلها وإحساسها بما يؤذيها حتى قطعت يديها -بمعنى جرحت يدها-:] 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A Z "أي: أعظمنه ودهشن برؤية جماله الفائق الرائع الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب".[2] وهناك معنى آخر أشار إليه المفسرون أن معنى "**أَكْبَرْنَهُ**": حضن، والهاء ضمير يوسف عليه السلام، أي حضن لأجله، فالمرأة إذا اشتدّ شبقها حاضت، ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2(1425-2004)، م9، ج18، ص101.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص574.

خَفِ الله واستُر ذا الجمال ببُرقعٍ   إذا لُحْتَ حاضَتْ في الخُدُور العَواتقُ

وكأنه إنما سمي الحيض إكباراً لكون البلوغ يعرف به، فكأنه يدخل الصغار سن الكبر فيكون في الأصل كناية أو مجازاً (1).

لكنني أرجح القول الأول، لأن المقام مقام دهشة وإعجاب، ثم إن اللواتي أكبرنه نسوةٌ ولـــيس فتيات صغيرات السن لم يحضن بعد، ولأنني ألاحظ أن القرآن الكريم غالباً ما يعبر عن المـــرأة البالغة بلفظ النساء، مثل قوله:] نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ ´ Z البقرة: ٢٢٣ أي: اللواتي من شأنهن أن يكـــن حرثاً وهن البالغات طبعاً، وقوله:] z { | } Z آل عمران: ٤٢ أي: اللـــواتي من شأنهن الإنجاب مثلها، وقوله:] يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ Z الأحزاب: ٣٠ ونحن نعلم أنهـــن -رضـــي الله عنهن- كن بالغات، عدا عائشة -رضي الله عنها- في أول الأمر.

وبعد سلب المرأة عقلها بجمال الرجل قطعت يديها ووصفته بالملك الكريم تعبيراً عن شـــدة الجمال:] 7 8 9 : ; < = > ? @ A Z ذلك أن المرأة كما قلنا تهيم بالجمال في كل شيء، والرجل من ضمن هذه الأمور بل أشدها على نفـــسها بـــالطبع والجبلـــة، يقـــول الآلوسي: "وغرضهن من هذا وصفه بأنه في أقصى مراتب الحسن والكمال الملائم لطباعهن".(2)

ثم بدأت المرأة بإبراز عذرها أمام بنات جنسها اللواتي فهمن عليها مـــا أوصـــلها إلـــى هـــذه الدرجة من العشق والهيام بفتاها:] C D E F G I J K L Z هكذا دون حياء أو استخطاء لنفسها، لأنها ترى نفسها معذورةً كل العذر بما فعلت، ولكن كيف تـــصير هذه الحالة عذراً لها في قوة العشق وإفراط المحبة؟

(1) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص574، بتصرف.
(2) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص577.

يجيب الرازي: "قد تقرر أن الممنوع متبوع، فكأنها قالت لهن: مع هذا الخلق العجيب وهــذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة، فحسنه يوجب الحب الشديد وسيرته الملكية توجب اليأس عــن الوصول إليه، فلهذا السبب وقعت في المحبة، والحسرة، والأرق والقلق".[1]

وصحيح أنه لا يوجد في زماننا مثل جمال يوسف عليه السلام، لكن يوجد من هو جميل جــداً بين الرجال، ويكون مميزاً أمامهم ويلفت انتباه المرأة بشكل كبير، وكم سمعنا عــن نــساءٍ فــتن برجال كان سبب ذلك -كما يقلن- أنهن انجذبن إلى جماله ووسامته، فالجمال موجود فــي كــل مكان وفي كل شيء، حتى لو اختلفت المقاييس والدرجات لكن الفطرة البشرية الموجــودة زمــن سيدنا يوسف هي ذاتها الموجودة في زماننا الحالي.

إذاً لا عجب أن يعجب الرجل بجمال المرأة وأن تعجب هي بجمالــه، لأن الــنفس البــشرية فطرت على حب الجمال والنفور من القبح، ولا غرابة أن يكون هذا العنصر مؤثراً في اقتــران الرجل بالمرأة أو عدمه، فالإسلام لا يكلف النفس فوق طاقتها وما لا تستطيع احتماله.

(1) الرازي، التفسير الكبير، م9، ج18، ص102.

ثالثاً: القوة والضعف: -

وهنا أقول: إن القوة سواء البدنية أو النفسية محببة للنفس الإنسانية، والضعف مكروه لـــديها، لأن سنة الكون تقتضي غلبة القوي وعلوه على الضعيف، فالقوي يستطيع أخذ حقه وحماية نفسه ممن يسعى لظلمه واستغلاله، أما الضعيف فإن حقه يذهب قهراً وعدواناً، والقوي يعتبر ذا مهابة بين الناس بحيث يسود رأيه وتنفذ رغباته، فيتحقق له الكثير من الأمور التـــي يـــسعى الإنـــسان لتدبيرها والمحافظة عليها.

أما من ناحية علاقة الرجل بالمرأة فهي مختلفة عن ذلك، لأن فيها تبايناً في هذه المسألة، ذلك أن النفس فطرت على حب الرجل القوي وكره الضعف فيه، وجبلت على حـــب الـــضعف فـــي الأنثى وكره القوة الزائدة فيها، وهذا يرجع لعدة أمور منها: أن الرجل منذ بداية الخليقـــة مكلـــف بالدفاع عن النساء والأطفال، ومسؤول عن العمل والإنفاق عليهم وهو مسؤول كذلك عن قيـــادة القوم وخوض الحروب والقتال، وكلها أمور تحتاج للقوة النفـــسية والبدنيـــة، ولا مجـــال فيهـــا للضعفاء.

فقوة الرجل تؤثر على نفسية المرأة بشكل كبير، لأن قوته تمنحها الشعور بالأمان والاطمئنان أن لها سنداً يصونها ويحميها ويوفر لها حياة كريمة، فالمرأة تسعى للحصول على الرجل القوي الذي أثبت جدارته، يشير إلى ذلك ما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام في قول الله تعالى:

(; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - [

P O N M L K J I H F E D C B A ? > =

a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q

t r q p o n m l k i h g f e d c b

u v w x y z { | | ~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ Z

القصص: ٢٣ - ٢٦.

فهذه الفتاة بنت الرجل الصالح أعجبها ما رأته من سيدنا موسى عليه السلام صاحب النخوة والقوة، حيث سقى لهما عندما وجدهما متنحيتين عن السقي لوجود الرعاء وعدم القدرة على مزاحمتهم، لحيائهما وضعفهما، فهذا مشهد المرأة العفيفة، وقد أثر في نفسها ما رأته من الرجل وهو يمتلئ بعنفوان الشباب وقوته، وقد أثار في نفسها الإعجاب حتى دفعها ذلك إلى أن تطلب من أبيها استئجاره ليعمل عندهم معلّلة ذلك] ~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ Z ففهم الأب مقاصد ابنته وفطن لما أثاره ذلك الشاب في نفسها من الإعجاب الطاهر العفوي، فسعى لتزويجهما:] قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ ©أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ Z القصص: ٢٧.

يقول في ذلك الشهيد سيد قطب: "] ~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ Z والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة.

وها هو ذا شاب غريب طريد وهو في الوقت ذاته قوى أمين، رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ويسقي لهما، وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال، فالأمين على العرض هكذا أمين على ما سواه، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحس؛ ومن ثم لا تخشى شيئاً، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها.

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته، ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلـــة، ومـــيلاً فطرياً سليماً، صالحاً لبناء أسرة، والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين وهـــو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته:] قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ Z.

وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد، ولعله كان يشعر كمـــا أسلفنا أنها محددة، وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى، عرضها في غير تحرج ولا التواء."(1)

أما من جانب آخر وقد أشرت إلى ذلك سابقاً في مبحث الخصائص النفسية للمرأة؛ فإن الرجل يرغب في المرأة التي تملؤها الأنوثة، وأنوثتها تكمن في ضعفها لأنها بـــذلك ستُـــشعِر الرجـــل بحاجتها إليه وعدم القدرة على أمور الحياة بدونه، فيشعر هو برجولته أمامها وتشعر هي بأنوثتها أمامه، وضعف المرأة البدني يكسبها شكلاً خارجياً جذاباً يضفي عليها رقة ونعومة فـــي كلامهـــا وتصرفاتها وحتى تفكيرها، وهذه أمور يستمتع بها الرجل وتعجبه في المرأة.

وفي المقابل ينفر الرجل من المرأة القوية لأنها ستكون مسترجلة تخلو من الرقـــة والنعومـــة المعهودة في الأنثى والتي فطرت نفس الرجل على الانجذاب لها، وهذا ما أشـــار إليـــه الـــنص القرآني السابق، حيث إن سيدنا موسى عليه السلام لفت انتباهه ضعف الفتاتين وحياؤهما الـــذي منعهما من السقي بوجود الرعاء، فهذا مشهد الرجل الذي أحس بضعف الفتاة ورقتهـــا، ومـــشهد المرأة التي أحست بقوة الرجل ونخوته، فكان سبباً للقائهما بالزواج الشرعي العفيف.

---

(1) سيد قطب، الظلال، م5، ص2687.

رابعاً: الفصاحة: -

ومعنى الفصاحة: القدرة على الكلام بطلاقة دون تردد أو تلعثم، وهي كذلك السرعة في إدراك الأمور وتدبيرها.

وهذه الصفة محببة للنفوس لأن الطلاقة مطلوبة أمام الآخرين ليستطيع الإنسان كسب ودهم واحترامهم، فالإنسان الذي يفهم في أساليب الكلام وفنونها والتمتع بالفطنة لا شك أنه قادر على التعامل مع كثير من أصناف البشر والانسجام معهم.

وفي القرآن الكريم معنى يشير إلى ذلك في قوله تعالى:] وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ ´ µ

¶ ¸ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ Z القصص: ٣٤.

فقد أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون وقومه ودعوتهم للإيمان بالله وتوحيده، ولأن سيدنا موسى عليه السلام لم يكن ذا طلاقة في الكلام، فلن يكون قادراً على بيان الحجج والبراهين بطلاقة، فطلب من الله جل جلاله أن يبعث معه أخاه هارون لأن لسانه فصيح يستطيع مقارعة فرعون وقومه بالحجة البينة بطلاقة وثقة، ولأنه يعلم أن سر انجذاب الناس للمتحدث هو طلاقة لسانه وتمكنه من الارتجال دون تردد أو خوف نفسي ناتج عن عدم طلاقة اللسان. يقول الرازي: " فالعلم الذي هو خير من المال لمَّا كانت آلة إعطائه اللسان وجب أن يكون أشرف الأعضاء، ولا شك أن اللسان هو الآلة في إعطاء المعارف، فوجب أن يكون أشرف الأعضاء، واللسان رحب الميدان ليس له نهاية ولا حد، فله في الخير مجال رحب وله في الشر بحر سحب، واختلفوا في أنه عليه السلام لما طلب حل تلك العقدة على وجوه؟ أحدها:

لئلا يقع في أداء الرسالة خلل البتة. وثانيها: لإزالة التنفير، لأن العقدة في اللسان قد تفضي إلى الاستخفاف بقائلها وعدم الالتفات إليه.(1)

فالتعامل مع الناس يتطلب ذوقاً ومهارة في التحدث معهم، لأن شخصية الإنسان تعرف طبيعتها من خلال ذلك فيحكم عليه بالفصاحة والفطنة أو عكس ذلك حسب طريقة كلامه ونوعه وتدبيره للأمور.

فالإنسان بشكل عام تتأثر نفسه بفصاحة وفطنة من أمامه ويعجب به على قدر ما يمتلك منها، وينفر الإنسان من الشخص المتردد المتلعثم بطيء الاستيعاب لأنه لا يستطيع فهم من حوله والتعامل معهم، فالحوار هو لغة التفاهم بين البشر وإنشاء العلاقات مع كافة الناس، وعلى قدر استيعاب فنون الكلام والفطنة تبنى هذه العلاقات.

وكذا يقال في جانب علاقة الرجل بالمرأة، حيث إنهما كغيرهما من الناس تنجذب نفوسهما لصاحب الفصاحة، والفطنة ويكون دافعاً لاقترانهما، فالمرأة تنجذب للرجل المتكلم صاحب الشخصية اللبقة، لأن ذلك يدل على ثقته بنفسه وثقافته، وكذلك يعجب الرجل بالمرأة الفصيحة الفطنة بما يدل على قوة شخصيتها وثقتها بنفسها ومعرفتها بما يحب الرجل أن تخاطبه عليه ويسمعه منها.

المطلب الثاني: الصفات المعنوية (الالتزام الديني - العلم - الأخلاق)

أولاً: الالتزام الديني

وأقصد به هنا التزام الإنسان بأوامر الله تعالى ونواهيه، والوقوف عند مخافته سبحانه فيما يقوم به من أعمال وتصرفات.

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، م11، ج22، ص41، بتصرف.

وليس عجباً في زماننا هذا أن أصبح تصنيف الناس حسب هذا القيد، فنقول هنـــاك الملتـــزم دينياً وهناك غير الملتزم بذلك، حيث يطلق وصف الالتزام الديني ابتداءً على من قـــام بفـــرض الصلاة وفرض الصوم إلى من قام الليل وأدى الزكاة المفروضة وصام التطوع وغير ذلك مـــن العبادات، أما وصف عدم الالتزام فيطلق ابتداءً على من لم يقم بفرض الصلاة إلى غير ذلك من أعمال غير شرعية أو أخلاقية.

فالمدار في إطلاق هذا الوصف هو الصلاة أداءً أو تركاً، فهذا الزمن كثر فيـــه الفـــساد إلـــى درجة جعل من قام بالصلاة المفروضة والواجبة على كل مسلم يستحق وصـــف الملتـــزم دينيـــاً الذي يتعدى معناه-الالتزام- أكثر من معنى الصلاة- بكثير، في حين كان هذا الوصف يطلق في مرحلة ازدهار الإسلام على من قام بالنوافل وترك المكروهات والمباحات المشبوهة ومَن مـــالَ إلى الزهد والورع لا على من قام بأداء فرض الصلاة فقط.

إذاً كان لابد من تحرير معنى هذا الوصف كي يُفهَم حسب الزمان وحالة المخاطبين، وهـــذا رأي العامة في وصف الالتزام، لكن إن أردتُ أن أقوّم هذا الوصف حسب الأعمـــال والأقـــوال فلست مع من صنف الملتزم دينياً أنه من قام بفرض الصلاة، لأن هناك كثيراً ممن يقـــوم بـــأداء الصلاة المفروضة وفي المساجد أيضاً، لكنهم تركوا كثيراً من الفروض الأخرى كالزكاة، وكثيراً ما يفعلون من المنكرات والمحرمات كإطلاق البصر واللسان فيما هو ممنوع شرعاً.

إذاً لابد من تحرير أدق لهذه الصفة، وهي أنها تطلق على كل من قام بالفروض كلها وصـــان سمعه وبصره ولسانه وباقي جوارحه عن فعل ما هو محرّم، فهذا الإنسان يستحق أن تطلق عليه هذه الصفة دون أن أقصد أن الإنسان لا يفعل الصغائر، بل على العكس من ذلـــك لأنـــه أمـــر طبيعي (في السنة الإلهية) أن يقوم الإنسان ببعض الذنوب الصغيرة كي تتحقق ألوهية الله عـــز

وجل في أسمائه وصفاته من رحمة ومغفرة، وكذلك اختبار للإنسان هل يرجع ويتوب أم يصر ويستكبر.

والإنسان الملتزم دينياً بشكل عام محبوب من قبل الناس إذا ما فهم الدين وعرفه بشكل صحيح وطبقه على أرض الواقع، لقوله تعالى:] يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ Z المجادلة: ١١، فالدين يتسم بالسماحة واللباقة والإحسان في معاملة الناس، وكذلك يتسم بالنظافة وجمال المظهر والتجديد وغير ذلك من أمور تكون نتيجتها الرفعة بين الناس والرفعة في الثواب والأجر، فسبب إقبال الناس على الشخص المتدين تديناً صحيحاً هو ما لقوه من حسن المعاملة والمقابلة والأمانة، فالإنسان الذي عرف الله تعالى فإنه سيعامل الخلق بما يحبه ويرضاه سبحانه دونما حساب للمناصب وما سيقابلونه به، فهو ينتظر الأجر والثواب من عند الله جل جلاله.

يقول الرازي في تفسير هذه الآية: " أي يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامر رسوله، ثم في المراد من هذه الرفعة قولان، الأول: أن المراد به الرفعة في مجلس الرسول عليه السلام، والثاني: أن المراد منه الرفعة في درجات الثواب، ومراتب الرضوان".[1]

أما إذا لم يفهم الشخص الدين بالشكل الصحيح والمطلوب فإن النتيجة ستكون التعصب والتشدد فيه، فينفر الناس منه ويكون صورة سيئة عن معنى التدين وبالتالي عدم الإقبال عليه، ولأن الإنسان غير الملتزم دينياً شخص غير مأمون على الحرمات والأموال وغيرها، لأنه لم يعرف طريق الله سبحانه وتعالى، والذي لا يخشى الله لا يخشى الناس، وتبعاً لذلك تنفر الخليقة منه، لأن الفطرة السليمة تقتضي سلوك العفة والأمانة والسير على منهج الله تعالى.

(1) الرازي، التفسير الكبير، دار الطاعة العامرة، (د.ط)، ج8، ص165.

ومن ناحية علاقة الرجل بالمرأة فإن عنصر التدين مهم لمن كان قلبه وعقله سليمين، فالرجل العاقل يبيحث عن الفتاة ذات الدين والإيمان لأنها فتاة عفيفة طاهرة مؤتمنة على نفسه وبيته وأولاده، ولا تجلب سمعة سيئة لأهل ذلك البيت مما يجعل الرجل يتقرب من الفتاة التي تملك هذه الصفة حتى لو لم يكن هو كذلك؛ فنحن في زماننا يرى الرجال النساء المسفرات -اللواتي لا يتقيدن بدين أو خلق أو عرف– كيف وقد أصبحن دُمَى متحركة يستمتع الرجال بالنظر إليهن ومرافقتهن للرقص والغناء والرحلات، فتمتلئ النفوس بالفجور، فبعد هذا كله تتكون ردة فعل عند الرجل تحتم عليه اللجوء إلى ما يحفظ عرضه ويصونه في حضوره وغيابه، وهذا لا يتأتى إلا عند صاحبة الدين والإيمان التي تخشى الله وتشعر بمراقبته وأنه علام الغيوب.

وكذلك المرأة التي تعيش مع الرجل جنباً إلى جنب في ظل هذا المجتمع الذي يسود فيه الفساد بين الناس، فترى وتسمع رجال اليوم وما يقومون به من محرمات مع جنس النساء، فما لها إلا أن تلوذ إلى صاحب الدين والإيمان الذي سيحفظها ويصونها دون أن تخشى على نفسها مما يمكن أن يفعله كثير من الرجال الذين يتاجرون بعرضهم وحرماتهم من أجل المال أو حتى للتسلي والمؤانسة، وصاحب الدين هو الذي يستطيع معاملة المرأة بالحسنى والمعروف دون التعدي عليها بشتم أو ضرب أو مهانة.

الرجل والمرأة إذاً عندما يفكران بالزواج فإنهما يطمحان إلى تكوين أسرة مترابطة آمنة من الانحراف بعيدة عن كل الشبهات، وهذا ما يوفره الرجل الملتزم والمرأة الملتزمة بأوامر الله تعالى ونواهيه، وإذا اختلت هذه الصفة فيهما كانت الأسرة مليئة بالشبهات والشكوك والتفكك.

وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:] وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ ´ Z النور: ٢٦، يقول البقاعي في تفسير هذه الآية: " «والطيبات» أي: منهن «للطيبين» أي: منهم «والطيبون للطيبات» بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله، ويفعل أفعال مثله".[1]

وهذه الآية وإن كانت عامة إلا أن جزئية منها تتحدث عن علاقة الرجل بالمرأة، فالرجل الطيب يبحث عن المرأة الطيبة، والمرأة الطيبة تختار الرجل الطيب، وهنا نرى روعة التعبير القرآني الذي يعلم ما في النفوس فاختار أن يفصل في هذا المقام فوجه الخطاب إلى الرجال الطيبين أولاً، وبشرهم أن زوجاتهم أيضاً طيبات، ثم طمأن النساء الطيبات أن أزواجهن طيبون كذلك، لأن الزواج هو قسمة الله لعبده في الغيب لا يعلم العبد إن كانت الحياة الزوجية صالحة أم فاسدة، حتى لو بدت بعض ملامحها الخارجية، لأن العشرة هي التي تكشف عن مدى حسن السلوك والسيرة للمرء، فتبقى المخاوف محيطة بأجواء هذه العلاقة، لذلك بشر الله تعالى عباده بالقسمة الطيبة.

وفيها رسالة أخرى وهي أن الإنسان إذا أراد أن يحصل على الخير فلابد له أن يبدأ به بنفسه، فيحصل عليه تلقائياً بوعد من الله سبحانه وتعالى، حتى بعد الزواج، فمن أراد أن يكون زوجه عفيفاً فعليه أن يبدأ بالعفة ومن أراده صادقاً عليه أن يبدأ بالصدق وهكذا، وإلا لحصلت النتيجة العكسية وابتلاه الله في شريكه، فالجزاء من جنس العمل.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص250.

ثانياً: العلم

يقول الله سبحانه وتعالى:] يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ à ٱلۡعِلۡمَ â ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ

ç Z المجادلة: ١١، ويقول:] إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ¶ عَزِيزٌ غَفُورٌ Z فاطر: ٢٨.

فالعلم صفة ربانية تكسب صاحبها هيبة وجلالاً من عند الله تعالى، فما بالك بإنسان يمدحه الله عز وجل في كتابه العزيز ويرفعه على غيره من الناس ويجعله في الدرجات العليا، ذلك أن الإنسان المتعلم أشد الناس معرفة بدين الله ومنهجه الصحيح أولاً، وهذا ما تم الحديث عنه في النقطة السابقة من كون الإنسان المتدين محبوباً من قبل الناس، ومن ناحية أخرى فإن العلم يكسب صاحبه احتراماً وتقديراً بين الناس لأنه يترفع عن توافه الأمور ويقدر المقادير والموازين في مكانها، فيجعله ذلك محبوباً بين الناس ومتقبلاً لديهم.

وهذا ما أحبذ التركيز عليه من أن الشخص المتعلم شخص ذو ثقة عالية بالنفس وذو عقلية حكيمة وصدر واسع متفهم، وحقيقةً هذا ما يلزم الإنسان ليستطيع النجاح في حياته الخاصة والعامة، لأن المتعلم له من القدرة ما يمكنه من التعامل مع أصناف وأجناس كثيرة من البشر والتعرف على كثير من الشخصيات والنفسيات التي تحتاج لوعي وإدراك سابق، لمعرفة التعامل معها وكسب ثقتها واحترامها.

فالعلم هو مصدر الثقافة والتحضر والتطور ورقي الشخصية الإنسانية في كل جوانبها، إضافة إلى أن مرحلة طلب العلم تصقل شخصية الإنسان وتهذبها مما قد يعلق بذهن الإنسان من موروثات خاطئة أو معتقدات غير سليمة، وتجعل الإنسان قادراً على التحدي والطموح وتقوية النفسية أمام ما قد يطرأ عليها من ضعف أو يأس، لأن طلب العلم الحقيقي ليس سهلاً أبداً بل هو من أصعب الأمور التي تواجه طالب العلم، لأنه مطالب بالتضحية في كثير من الأمور في سبيل

الحصول على ذلك العلم الذي يطلبه، فهو يتعرض للجوع والعطش والسهر والتعب والمشي ساعات تحت الشمس وتحت المطر ليحقق لنفسه شيئاً بل أشياء تعود عليه وعلى المجتمع بالنفع والفائدة.

على كل حال فإن صفة العلم صفة محببة للنفس من قبل الرجل والمرأة وتكسبهما راحةً لبعضهما، لأن الرجل يعلم أن المرأة المتعلمة غالباً ما تنجح في حياتها الشخصية والزوجية فهي تعرف كيف تتعامل مع زوجها وتربي أولادها، وكيف تدير أمور بيتها بكل وعي وإدراك وحسن معاملة، وكذا المرأة تعلم أن الرجل المتعلم ذو مهابة واحترام ورقي في التعامل مع الناس، وكذلك لديه شخصية واعية في التعامل مع الأمور وحل المشكلات التي تحتاج لتفهم وتروٍ وضبط للنفس، إضافةً إلى أن الرجل المتعلم ذو فرصة أكبر في تحصيل الرزق والقدرة على الإنفاق وتوفير مستلزمات البيت وأفراده، ويقال كذلك بالنسبة للمرأة التي أصبح الرجال يهتمون بكونها متعلمة لتستطيع الحصول على وظيفة تستطيع من خلالها مساعدة الرجل في الإنفاق إلا أن ذلك ليس نقطة جوهرية في هذا المقام، لأن المرأة ليست مطالبة بذلك إلا بطيب خاطر منها.

ثالثاً: الأخلاق.

الأخلاق كرامة الأمة ورفعتها ومصدر تحضرها ورقيها، وهي المحك في تعامل البشر مع بعضهم وتفاعلهم.

لذا فإن الأخلاق الحميدة لا تعود على صاحبها إلا بالنفع في الدنيا والآخرة، لأن الإنسان الخلوق مهذب يعرف كيفية التعامل مع ربه ودينه ونفسه والآخرين فيكسب الرضا من كل الأطراف، والخلوق يستحي أن يخون ربه ودينه أو يسيئ لنفسه ولغيره.

والإسلام دين الأخلاق، حض عليها في كل وقت وكل موقف، وقد وصف القرآن الكريم قدوة البشر سيدنا محمداً **r** بقوله تعالى:] k l m n Z القلم: ٤. أي أنه **r** كان متمثلاً

أخلاق الإسلام التي يحبها الله تعالى ويرضى عنها. يقول الشنقيطي: " والخلق العظيم أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال".[1]

والإسلام جعل الأخلاق عنصراً أساسياً وأصلاً بارزاً في هذا الدين الكريم، فالعقيدة أول ما تدعو إليه هو طهارة العقل والقلب والجوارح من كل شائبة، وتدعو كذلك للصدق في القول والعمل وتطابقهما، كي لا يقع الإنسان في إثم كبير وحرج بين الناس، وتدعو للأمانة في العهد والوعد ليطبق العدل بمفاهيمه ومدلولاته، وتدعو الإنسان إلى أن يضع في حسبانه وهو يتعامل بهذه الأخلاق النية الصالحة الحسنة وإرادة وجه الله تعالى فيها وكسب رضاه، كي يتحقق جانب الصدق فيها والثبات عليها.

أما ما تنهى عنه العقيدة فهو عكس ذلك تماماً، لأن الغش والخداع وارتكاب الفواحش وانتهاك الحرمات يعود على الإنسان بالضرر ونفور الناس منه والأهم إعراض الله تعالى عنه، إضافةً إلى أن تشريعات الإسلام جاءت لتحمي هذه الأخلاق وهذه الأسس، وتصون العنصر الأخلاقي في القول والسلوك والشعور، سواء في العلاقات الجماعية أو الفردية أو الدولية، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله r : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".[2] فرسالة الأخلاق رسالة عامة وشاملة لكل التعاملات.

أخلاق الإسلام إذاً لم تنبع من بيئة معينة أو اعتباراً لمصلحة ما أو عرف أو تراث أو ثقافة، إنما هي نابعة من مصدر رباني شامل كامل مرن يتوافق مع كل الأزمنة والأمكنة التي يختلف الأشخاص والعادات والأعراف والمصالح تبعاً لاختلافها، وهذا يكسبها ثباتاً وتأصيلاً تقوم عليه فكرة الحياة كلها.

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان، ص1824.

(2) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي(ت458هـ)،السنن الكبرى، إعداد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1415-1994)، ج10، ص323.

وهذه الأخلاق إما أن تكون أخلاقاً ذاتية أو أخلاقاً عملية، والمقصود بالأخلاق الذاتية: هي الأخلاق الخاصة بالفرد نفسه وتكون صفات وسمات يعرف بها، سواء كانت فطرية أو مكتسبة ولدت معه في نفسه فطرةً ووراثةً أو اكتسبها من بيئة أو علم أو تربية، مثل الصبر وغض البصر وأدب اللباس والنوم وأدب الطعام والشراب.

أما الأخلاق العملية فهي: الأخلاق التي يتعامل بها الفرد مع غيره من الناس وتحكم تفاعله معهم وتنتهي بإنشاء علاقات ودودة وكريمة صادقة تسهم في ترابط المجتمع وتماسكه مثل الكرم والصدق والتواضع وصلة الرحم والوفاء بالعهد والتسامح.

وهذه الأنواع متداخلة مع بعضها لا يسهل التفريق بينها، لأن الخلق العملي لابد له من دافع-خلق- نفسي ذاتي يحركه ويقود إليه، يقول الرازي: "الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة".[1] فالعمل دافعه النفس في كل الأمور غالباً.

والجانب الأخلاقي في الإسلام جانب مترابط مع باقي الجوانب الأخرى السياسية والاقتصادية والصحية، حتى أنه لا يمكن قيام مثل تلك الجوانب على الوجه الأمثل دون توفر عنصر الأخلاق فيها، لأن مردها دون ذلك إلى الفساد والانهيار.

أما أثر هذه الصفات الخُلُقية على البشر فواضح أن الإنسان الخلوق مرغوبُ التعامل معه، ينظر الناس له بعين الاحترام والتقدير بحيث يوصف بالإنسان الراقي المتحضر، عكس الشخص غير الخلوق لأن الناس ينفرون من هذا الأخير ويصفونه بأوصاف تحط من مستواه ومكانته، فهو في نظرهم لا يستحق الاحترام والتقدير.

وهذا يقاس على علاقة الرجل بالمرأة، فالرجل يركز بصورة شديدة على أخلاق المرأة وينادي بها بالوضع العام والخاص، ومعروف عن الرجل الذي يسعى للارتباط والزواج أنه يقوم

(1) الرازي، التفسير الكبير، دار الطاعة العامرة، ج8، ص262.

بالسؤال والاستفسار عن أخلاق الفتاة التي يرغب بالارتباط بها، ويراقب سلوكها ليتأكد إن كانت تحفظ أخلاقها عل مستوى عالٍ أم لا؟ كذلك المرأة يعجبها الرجل الخلوق الذي تأمن عليه نفسها وبيتها بصيانته وإبعاده عن مواطن الشبهة والسلوكيات غير الأخلاقية، فهي كذلك تعمد إلى وليها ليسأل لها عن أخلاق الشاب المتقدم لخطبتها والتأكد من سلامة الخلق والطبع.

وهنا سأعرض لنموذجين من الأخلاق التي تؤثر على علاقة الرجل والمرأة هما:

أولاً: الصدق.

ثانياً: غض البصر.

واخترت هذين الخلقين لما لهما من أهمية كبيرة في حياة الرجل والمرأة وتأثيرهما على العلاقة التي تجمعهما، فالصدق يدل على الوضوح والاحترام والتفاهم، وغض البصر يدل على العفة والأمانة، وهذه من أهم العناصر التي تقوم عليها العلاقة الزوجية وتعتبر أساساً لها.

أولاً: الصدق.

يقول الله سبحانه وتعالى:] B C D E F G H I Z التوبة: ١١٩.

لقد طرأ على مفهوم الصدق والكذب مفاهيم دخيلة على أصله، جعلت بعض الناس يحورون التعامل معها على مفهومها الصحيح الأصيل، فالصدق هو إظهار الحقائق على طبيعتها دون تحريف بزيادة أو نقصان والكذب عكس ذلك.

فالإنسان الصادق هو المخلص في نيته أولاً ثم في عمل جوارحه ثانياً من حديث اللسان وأعمال الجوارح الأخرى، لأن الإنسان الذي يحمل في جوفه صفاءً ونقاءً لابد لهذا الصفاء والنقاء أن يظهر على سلوكه، أما من يحمل في جوفه نوايا خبيثة ومفاهيم مشوهة فإن كذبه ظاهر على سلوكه كذلك، ومن المهم أنه ليس من الصعب على الإنسان أن يميز الصادق من

الكاذب، لأن لغة الجسد بحد ذاتها كفيلة بالكشف عن ذلك، فكما يقـــال: العيـــون مـــرآة القلـــوب والوجوه مرآة النفوس، أي أن مجرد النظر في الإنسان ينبئك عن صدقه أو كذبه.

وليس جميلاً بل هو في غاية القبح أن يكذب الإنسان على شخص يعلم أن هذا الإنسان يكذب عليه ويستغفل عقله، لأن ذلك سيهز الثقة بينهما أكثر ما يهزها ويهدم معـــاني الـــود والمحبـــة، فالفطرة البشرية جبلت على حب الصدق والشفافية وكره الخداع واســـتغفال العقـــول واســـتغلال المشاعر من خلال الكذب.

فلا يخفى علينا بعد ذلك أن الصدق هو الذي يبني العلاقات ويوطدها مـــن خـــلال الـــشعور بالأمان أمام الطرف المقابل من دون أن يعتدي على حقه، وخير نموذج للصدق هـــو نبينـــا **r** الذي كان يلقب بـــ"الصادق الأمين" حتى قبل البعثة بدين الإسلام، فهذا الخلق الذي عرف به عند العرب كان كفيلاً لأن يصدقوا رسالته ويؤمنوا بما نزل عليه وهذا ما حصل حقاً، إلا أن من لـــم يؤمن كان يعلم حقيقة صدقه وأنه لا يكذب عليهم، لكن عنادهم واستكبارهم وجماد عقولهم منعهم من التصريح بذلك والإيمان به.

وهذا يقال في علاقة الرجل بالمرأة، بل هو من أهم الأمور في جانب هذه العلاقـــة الزوجيـــة التي لا تقوم إلا على أساس الصدق والصراحة والبعد عن الكذب والأساليب الملتوية فـــي ســـير هذه الحياة.

لكن يشير الباحث "آلان" إلى أن معظم الرجال والنساء يكذبون على بعـــضهم فـــي لقـــاءاتهم الأولى بهدف تحسين صورتهم أمام بعضهم، وفي الوضع العام يكذب الناس لسببين، أولهما: نيل مكسب، وثانيهما: تجنب أمر مؤلم، وأن الأغلبية تشعر بالندم بعد هذا السلوك ممـــا يجعـــل مـــن السهل كشف أمرهم بواسطة بعض الإيماءات الجسدية وإشارات الوجه وغيرها من لغة الجـــسد،

إضافة إلى أن هناك فئة تكذب بهدف الانتقام أو جرح أحد من الناس بإخفاء الحقيقة عنه أو تزييف الحقائق أمامه.[1]

لكن أقول: إن الرجل الصادق الصريح هو الذي يستولي على ثقة المرأة به واحترامها له، وهذه الصفة هي التي تقضي على أغلب المشاكل التي سببها الشكوك الناتجة عن الكذب واللجوء للأساليب الملتوية في معالجة بعض الخلافات، لكن الصدق يقضي على ذلك كله، لأن المرأة في هذه الحالة تثق بأن زوجها لن يخذلها أو يخفي عنها الحقيقة فيحقق لها جزءاً من الراحة النفسية التي تساعد على حل الخلافات الزوجية، لأن الصدق يعتبر من أهم المؤشرات التي تدل على صفاء النية ونقاء السريرة وسلامة النفسية المهمة في التعامل البشري وضمان الحقوق بعدم الجور والظلم أو الخيانة، عكس الكذب الذي يهدم العلاقات ويقوض مشاعر الحب والمودة ويجعل المتصف بالكذب إنساناً غير موثوق به تشوبه الشكوك واختلالٌ في النفسية.

وكذا المرأة الصادقة فهي حقل من الصفاء والنقاء لا يخاف عليها زوجها من مصاعب الحياة ومما قد يحدث فيها لأنها امرأة صريحة لا تلجأ للكذب والخداع بل تكسب احترامه ووده وطمأنينته لها.

لكني أشير إلى قضية مهمة هنا هي أن بعض الرجال ينادون باعتماد أسلوب الكذب على المرأة مدعين أن الحياة الزوجية لا تسير إلا بهذه الطريقة، لأن المرأة قليلة التفهم لما يحصل مع الرجل وظروف عمله وحياته الاجتماعية وغيرها من مواقف وأحداث لا مجال لأن يصارحها بها الرجل، بل ستخلق له خلافاً لا نهاية له، أما اللجوء للكذب فيعتبر حلاً لاختصار الخلافات الزوجية، وكما يقال عند العامة: "الكذب ملح الرجال" أي أنه هو الذي يصلح طعم الحياة الزوجية ويسهل سيرها بشكل طبيعي، هذا ما يدعيه بعض الرجال وهم فئة غير قليلة.

(1) آلان، لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة، ص248-252، بتصرف.

لكن أقول: إن هذا الأمر لابد فيه من التفصيل والفصل بين الكذب الذي يحرمه الشرع وبين تدبير المواقف وتسيير عملية الحياة بناءً على معرفة الرجل بطبيعة زوجته فهو أمر نسبي، ذلك أن الرجل الذي يعلم أنه إن صارح زوجته بكل صغيرة وكبيرة أن ذلك سيؤثر عليها وعلى علاقتهما سلباً، فمن الأفضل ألا يصارحها بكل أمر، ولا أقصد هنا ألا يصارحها البتة بل يجب عليه أن يتعلم الصراحة معها لأهمية هذا الأمر في بناء العلاقة، لكن أقصد أن يتجنب ذلك في مواقف معينة قد تؤدي المصارحة فيها إلى تضرر علاقتهما الزوجية، أما إن كان يعلم الزوج أن زوجته متفهمة له ولطبيعة عمله وظروفه والمواقف التي يتعرض لها فعليه أن يكون صريحاً ولا يخفي عليها حقيقة ما، لأن ذلك سيكون من باب الكذب الصريح الذي يحرمه شرعاً ولأنه لا داعي له، والرسول الكريم **r** قال: "إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا".[1] وهذا من باب تحري الكذب والمداومة عليه.

ومن المهم أن يعرف الرجال أن النساء يمتلكن قدرة هائلة على فك طلاسم لغة الجسد ونبرات الصوت، أما الرجال فلا يستطيعون ذلك واكتشاف المرأة حين تكذب، لأن الدراسات كشفت بواسطة صور الرنين المغناطيسي أن هناك أربعة عشر إلى ستة عشر موقعاً رئيسياً ينشط في مخ المرأة عندما تتحدث مع الآخرين وجهاً لوجه، أما الرجال فلا ينشط لديهم إلا من أربعة إلى خمسة مواقع فقط من هذا النوع، وهذا يفسر وجود الحاسة السادسة لدى المرأة.[2] فأقول: للرجال أن يحذروا من الكذب على النساء لأن أمرهم سيكشف بسهولة وهذا غير إيجابي كما قلت من ناحية بناء العلاقة والثقة بين الزوجين.

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا...وكونوا مع الصادقين"، ص1065.

(1) آلان، لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة، ص259، بتصرف.

فالكذب يترك أثاراً عميقة في النفس الإنسانية بشكل عام وفي كل العلاقات: الزوج مع زوجته والصديق مع صديقه والأخ مع أخيه والوالدين مع أبنائهما، وغيرها من العلاقات، لأنه يقــوض الثقة المتبادلة بين الناس ويقوض أساس الفضيلة في المجتمعات وهو الصدق.

لذلك على الأفراد وخاصة الأزواج بما أنهم النواة الأولى للأسرة والمجتمع أن يحرصوا على تحري الصدق وعدم إخفاء الحقائق حتى تصفو النفوس وتبنى علاقة المودة والرحمة والــسكينة في البيوت والمجتمعات.

ثانياً: غض البصر.

إن هذا الخلق الكريم هو أشد الأخلاق بنــاءً للعلاقــة الزوجيــة وأشــدها حفظــاً للنفــوس واستقرارها، لأن غض البصر يعني خفض النظر عن كل ما حرم الله النظر إليه مــن المفــاتن والإغراءات التي تؤدي إلى تسعير النفوس وإثارتها، فإذا تحلى الإنسان بهذا الخلق رجلاً كان أو امرأةً فإنه لن يعرف طريق الإثارة المحرمة التي قد تؤدي إلى أن ينفر أحدهما من الآخر.

فإن إطلاق النظر يعني أن يبدأ الإنسان بالمقارنة بين ما لديه وما لدى غيــره ويبــدأ بــإبراز العيوب والأخطاء في شريكه والتأمل في المفاتن التي يتعرض لها في كل وقت وحين وبالتــالي دمار العلاقات الزوجية والندم على ما فاتهما من هناءة وسعادة رآها كل منهما عند غيره.

إن الإنسان إذا أراد أن يعيش حياةً نظيفةً سعيدةً قانعاً بما لديه راغبــاً عــن ملــذات الــدنيا المحرمة عليه أن يبدأ بتقوى الله عز وجل والشعور بمراقبته له وأن يغض بصره ولسانه وسمعه وجوارحه عن كل ما حرم الله ونهى عنه.

فالله سبحانه وتعالى يقول:] N O P Q R S T V W

X Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f Z النـور:

٣٠ - ٣١، فأمر أولاً بغض البصر ثم حفظ الفرج لأن طريق العفـــة الأول هـــو غـــض البـــصر والترفع عن التمتع بالمغريات من المحرمات فيتحقق حفظ الفروج والنفـــوس وتحقيـــق الأمانـــة الزوجية من الرجل والمرأة حال الحضور والغياب، فالله هو الرقيب الكاشف عن نوازع الـــنفس وما تميل إليه من حب النظر إلى كل ما يسعد النظر ويسره حتى لو كان حراماً.

يقول سيد قطب: " وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي، ومحاولة للاســتعلاء علـــى الرغبة في الاطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والأجسام. كما أن فيـــه إغلاقـــاً للنافـــذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية. ومحاولة عملية للحيلولة دون وصول السهم المـــسموم! وحفـــظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر. أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة، ويقظـــة الرقابـــة، والاستعلاء على الرغبة في مراحلها الأولـــى..] ` a b c d e

f Z فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة، أو الهاتفة المثيرة، تستثير كوامن الفتنة في صدور الرجال. ولا يبحن فروجهن إلا في حلال طيب، يلبي داعي الفطرة في جـــو نظيـــف، لا يخجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة!".[1]

فإذا أردنا أن ندرس الحالة النفسية للرجل والمرأة حال غض البصر أو عدمه فـــإن الرجـــل الذي يغض بصره رجلٌ نقي السريرة يعلم حق الله عليه وحق نفسه وحق زوجه، وهـــذا يكـــسبه احتراماً بين الناس لأنه ترفع عن مستوى الرذيلة وما يؤدي لها وبالتالي تشعر المرأة-الزوجـــة- أنها ملكة في حياة زوجها لا يتعداها نظره ونفسه وشهوته فتشعر بالأمان والطمأنينة إضافةً إلـــى شعور السعادة الناتج عن اختبار مدى حب زوجها لها ومكانتها عنده في نفسه حتـــى لـــو كـــان متصفاً بهذه الصفة تديناً منه وتقوى لله فإنه إنما التزم بهذه الصفة لأنه يخاف الله فـــي عرضـــه وهذا مما يحبه الله تعالى ويرضاه، فالرجل الذي يغض بصره ذو مكانة ومهابة في نظر المـــرأة

(1) سيد قطب، الظلال، م4، ص2512.

تشعر بسمو أخلاقه ورجولته الفذة لأن الرجل الحقيقي هو الذي يستطيع أن يجابه شهواته ويقف أمامها مستعداً لتوجيهها وصد المحرم منها فالرسول الكريم **r** يقول: " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".[1] وقياساً على ذلك أن الرجل كما يقوّم بضبط النفس لا بالغضب والعصبية فإن الرجل هو من يملك نفسه عندما تعرض له شهوته في طريق سهل لا من يطلق نفسه وشهوته في الحرام.

أما المرأة التي تغض بصرها فهي امرأة عفيفة في نظر مجتمعها عامة ونظر الرجل خاصة، تملؤها الطهارة والنقاوة ولا تدعوها نفسها إلى ارتكاب المحرمات والاعتداء على سمعتها ومكانتها، ذلك أن الرجل ينظر للمرأة التي تغض بصرها نظرة تعبر عن مدى أنوثتها وحيائها وبالتالي هي امرأة قادرة على أن تحفظ نفسها وزوجها في حضوره وغيابه دون أن تملأ نفس الرجل بالشكوك والوساوس المريبة لتصرفاتها عند خروجها لعمل أو غير ذلك مما يستدعي ارتكاب بعض المحرمات كإطلاق النظر، لكن في حالة غضها لبصرها فإنه يؤثر إيجاباً على نفسية الرجل والمرأة أيضاً لأن الحياة ستصبح أسهل للمرأة لأنها تستطيع الخروج والعمل والدراسة وغير ذلك ونفس زوجها مطمئنة عليها من مدى حرصها على نفسها وبعدها عن إغراء غيره من الرجال، إضافةً إلى أن الرجل هنا يشعر برجولته لأن نفس زوجه لا تتطلع إلى غيره أو تتمنى صفات في رجل لا يملكها هو.

على أن درجة غض البصر متفاوتة بين الرجل والمرأة، فالأمر بغض البصر للرجال أشد وأقوى منه لدى المرأة، فالرجل هو المخاطب الأول في الأمر بغض البصر، فالله سبحانه وتعالى يقول:] N O P Q R S T V W X Z [\ ]

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ص1068.

^ _ ` a b c d e f Z، ويرجع ذلك لطبيعة كل من الرجل والمرأة، فالرجل ذو شهوة أكبر من المرأة فكان يسمح له بالزواج بأكثر من واحدة ليلبي شهوة نفسه إن كانت لا تسعفه زوجة واحدة أما المرأة فلا يسمح لها أن تتزوج أكثر من رجل في وقت واحد وهذا عادل جداً لأن شهوة المرأة قليلة.

فمن تستدعيه نفسه لارتكاب المحرم فهو مطالب بدرجة أشد بغض البصر، لذلك كان يسمح للمرأة النظر للرجال في حالات متعددة، مثل نظر عائشة رضي الله عنها إلى لعب الأحباش في ساحة المسجد فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "لقد رأيت رسول الله r يوما على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله r يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم".[1]

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، ص131.

المبحث الثاني

أثر السلوكيات المشتركة بين الزوجين عليهما

المطلب الأول: أثر العلاقة الحميمية (الجنسية)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الغريزة الجنسية في الجنس البشري لهدفٍ رئيس وهو التناسل والتكاثر لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وفي الوقت ذاته جعل هذه الغريزة تؤثر تأثيراً عميقاً في الحياة العملية والحياة النفسية للرجل والمرأة وجعلها من أبرز الغرائز وأحبها لهما كي يألف كل منهما صاحبه ويجعل بينهما رابطاً قوياً سمته الحاجة للطرف الآخر وعدم القدرة على الاستغناء عنه للمحافظة على قدسية الأسرة وتماسكها.

أما من ناحية تأثيرها على الحياة النفسية والعملية فالرجل والمرأة عندما يلبي كل منهما غرائزه وشهواته فإنه سيشعر بالرضا النفسي وبالتالي ينعكس على الرضا السلوكي في الحياة العملية بحيث يتوازن في عمله وفكره وتخطيطه وتنجز أموره بتركيز أكبر وتنظيم أفضل، لأنه تخلص من كثير من الضغط النفسي الذي كان يشعر به قبل الزواج أمام تلك المغريات والمفاتن التي يجدها أينما ولّى، ويقول سبحانه وتعالى في ذلك:] Y Z [\ ] ^ _

` a b c d e f |h i j k l m Z الروم: ٢١.

وهذه المسألة سيتم بحثها لاحقاً في مطلب "المودة والرحمة" لكن أقول على عجالة: تشير هذه الآية الكريمة إلى أثر الزواج (العلاقة الجنسية) على سير الحياة الزوجية النفسية بأنها تزيد في المودة والرحمة والسكينة بين الزوجين وما لهذا من أثر كبير على نفسيتهما وبالتالي على سلوكياتهما، بحيث يصبح كل منهما مراعياً للطرف الآخر ويحسن التعامل معه بهدف المحافظة

على المشاعر الجميلة والطيبة بينهما، فتزيد طاعة المرأة لزوجها والاقتداء بـه ويزيـد حنـان الرجل وعطفه عليها.

فالشعور بالرضا النفسي ليس أمراً سهلاً تحقيقه، وله جوانب عديدة يصل من خلالها الإنـسان إلى الاتزان النفسي وكان الجانب الجنسي أحد هذه الجوانب إن لم يكـن أهمهـا لـدى الجـنس البشري، وهذا ما يتم بالزواج الشرعي الصحيح، وهنا تصان النفوس والعقول والجوارح عن كل ما هو محرم أو قبيح.

على أنني سأقوم بالتفصيل في الجانب النفسي لأنه الهدف من هذه الدراسة أولاً، فلهذا السلوك الجنسي أثر إيجابي وأثر سلبي على الرجل والمرأة، فالأثر الإيجابي هو كما أشرت سـابقاً مـا يتركه هذا السلوك من رضا نفسي لدى الإنسان على المـستوى النفـسي والجـسدي والفكـري والعملي والسلوكي، وحتى يتحقق كل ذلك لابد من عوامل تساعد للوصول إلى هـذه المرحلـة، ومن هذه العوامل الوصول لدرجة الإشباع الجنسي من خلال إعطاء كل من الـزوج والزوجـة حق الآخر في تلبية هذا الشعور، فهو مبني على جزء من النداءات الفطرية الملحـة فـي حيـاة الإنسان خاصة أمام ما يتعرض له من مغريات- كما قلت سابقاً- في هذا الوقت الذي غدا فيـه التركيز على إبراز كل ما هو محرم ما يؤدي للفتنة وتفجير الطاقات بغض النظر عن الطريقـة هل هي بطريق شرعي أم لا؟

ومن هذه العوامل كذلك التوافق والانسجام في العملية الجنسية وفي بلوغ النشوة، لأن بلـوغ هذا الأمر ينعكس على النفس بشعور السعادة الفردية والزوجية لأنه يعني الحـصول عليـه دون مشقة أو تعب كبيرين هذا أولاً، وثانياً لأنها تعني انسجاماً في الأحاسيس والمشاعر مـن جهـة والسلوك من جهة أخرى في تلك اللحظة مما يزيد في جمالية العلاقـة ومزيـد مـن أحاسـيس المشاركة والتكافؤ بين الرجل والمرأة، لأن الرجل كي يشعر بالمتعة الحقيقية لابد مـن تفاعـل

زوجته معه أثناء الممارسة الجنسية، وكذلك المرأة لا تشعر بالمتعة إلا إذا شعرت أن زوجها لا يشغله شيء عنها، وإذا لم يكن كذلك فإنه يضفي نوعاً من البرودة في المشاعر العاطفية والأحاسيس الجسدية بالمتعة وبالتالي يضيع هدف من أهداف هذه العلاقة وهو توثيق أواصر المحبة والمودة ودعم المشاعر الزوجية بين الرجل والمرأة.

ولكي يتحقق هذا الجانب الإيجابي للعلاقة الحميمية بين الزوجين فإنه يعتمد وبشكل كبير على وعي وثقافة كل منهما بأمور هذه العلاقة وما يحيط بها من مسائل وما شكلها الصحيح، ثم تعتمد على مدى تفاهم الزوجين ومحاوراتهما بما يخص هذا الجانب وما فكرة كل منهما عنه وتصحيح الآراء والأفكار، ويعتمد كذلك على مدى صراحة الزوجين في جانب علاقتهما الجنسية بحيث يبين كل منهما رغباته في هذه العلاقة وما ينفره منها والمصارحة كذلك عند الإحساس بوجود خلل ما في ممارسة هذه العلاقة أو في حالة عدم القدرة على تخطي بعض أمورها بحيث يساعد كل منهما الآخر في تخطي المشكلة الموجودة، فمن المعروف أن الأغلبية من المتزوجين حديثاً يقعون في مشاكل جنسية في بداية الأمر إما نفسية وهي الغالبة وإما عضوية مؤقتة أو دائمة وإما قلة خبرة في هذا المجال وقلة الثقافة حوله وآلياته.

ومن هنا أنطلق للحديث عن الجانب السلبي في هذه العلاقة والذي ينشأ نتيجة خلل ما أي أمر طارئ على العلاقة الجنسية وليس أمراً ثابتاً فيها لأن الأصل في العلاقة الجنسية أنها ذات منحى إيجابي في حياة الرجل والمرأة خاصة النفسية إذا كانت على الوجه الشرعي الصحيح، لكن تطرأ بعض الأمور تنغص على إيجابية هذه العلاقة بعضها قابل للتخلص منه وبعضها الآخر ليس كذلك.

فالعلاقة الجنسية تبدأ بمراحل متعددة لكي يصل الزوجان إلى مرحلة الممارسة الصحيحة لأنها تحتاج لخبرة تزداد يوماً بعد يوم وممارسة عن أخرى، ولكن يعترضها بعض الصعوبات

التي تؤثر على هذه العلاقة بشكل سلبي إما لأن كلا الزوجين يمران بها لأنها أوضاع طبيعية أو أن تكون ناتجة عن ارتكاب بعض الأخطاء من قبل الزوجين بسبب قلة الوعي والثقافة كما مــر معنا وإما لوجود خلل عضوي ونفسي عند أحد الطرفين أو كليهما.

ومن أكثر الآثار السلبية النفسية جراء ممارسة العلاقة الجنسية هي اكتشاف ضــعف جنــسي عند أحد الطرفين في بداية الزواج، على أن هذا الضعف إما أن يكون مؤقتاً أو دائماً، فالمؤقــت ينشأ بسبب ردة فعل نفسية تضفي على صاحبها مشاعر الخوف والقلق الناتجــة بــسبب اعتقــاد الشخص أنه لن ينجح في ممارسة هذه العلاقة لأنه الآن في محطة اختبار يجب عليه أن يــؤدي دوره على الوجه المطلوب سواء الرجل أو المرأة وخاصة الرجل لأنه القائد في هذه العملية فإن فشل في ذلك فلا مجال للنجاح عكس المرأة، ونلاحظ الأثر السلبي على نفسية الرجــل إن فــشل في هذه العملية فإن ذلك يعني أنه فقد جزءاً من رجولته خاصة أمام المرأة، وكذلك المــرأة قــد تفشل في ممارسة هذه العلاقة خاصة في بداية الزواج نتيجة الخوف والخجــل ومــا يــصاحب الجماع من آلام كبيرة تختلف من امرأة إلى أخرى بحيث تسيطر هذه الأمور على نفسية المــرأة وتنسيها الشعور بأي متعة كانت، وتخاف المرأة من هذا الموقف بسبب الرجل فكونها تعاني مــن هذا الضعف أو البرود يعني أنها لن تتفاعل مع الرجل في فراش الزوجية وهي تعلم أن الرجــل لا يطيق هذا الأمر بل من أشد الأمور تأثيراً على الرجل في العلاقة الجنسية هي تفاعل المــرأة معه من خلال قيامها ببعض الأمور القولية أو الفعلية بحيث تحركه وتساعده للقيــام بالمعاشــرة على وجهها الطبيعي.

أما إن لم تتفاعل الزوجة مع زوجها فسيشعر أنه يعاشر جثة لا ترسل له ولا تستقبل منه، فإن من أهم الأمور في التواصل البشري بشكل عام هو التفاعل والتشارك مع الطرف الآخــر فــي الوضع والحالة الشعورية والسلوكية كي يحدث الانسجام والتوافق فما بالك بعلاقة تــربط بــين

رجل وامرأة؟ وهنا تكثر مشاعر الخوف والقلق لدى المرأة إذا ما استمرت في عـدم الاسـتجابة لزوجها والتفاعل معه لأنها تعلم أن صبر الرجل سينفد على أي حال وسيسعى لتغيير الوضع إما بانفصال أو هجر أو زواجٍ من أخرى، وكلها أمور ترهق المرأة نفسياً وفكرياً وجسدياً.

وعلى الرغم من هذا الضعف الجنسي المؤقت والذي يسبب هذه المخاوف لدى الـزوجين إلا أنه طبيعي جداً ولا يشكل خطورة واسعة على مستقبل العلاقة الزوجية إذا كان الزوجان متفهِّمين لهذه الحالة العرضية، فالأمر يحتاج لمزيد من الصبر والإرادة والتـشجيع وبالتـالي يـستطيعان التخلص من المشكلة، ومن المهم تصغير المشكلة وتقبل الأمر على أنه طبيعي من قبل الطـرف السليم كي تصغر المخاوف من الطرف الذي يعاني من مشكلة ما، فعليه إذاً أن يعلم أن هذا أمـر طبيعي يمر به كثير من الناس بسبب عدم تعود الجسم على القيام بمثل هذا الأمـر فتـصيبه ردة فعل معينة، يحتاج معها لمراحل متدرجة ليتخلص منها ويتقبل هذه العملية وينسجم الجسم معها.

فعندما يقوم شخص بزراعة ضرس فإن مكان الزراعة سيصاب بـالتَّوَرُّم نتيجـة الالتهـاب وسيحتاج زوال هذا الورم إلى وقت كافٍ ليتقبل الجسم هذا العضو الغريب وينسجم مع الأليـاف والخلايا المزروع فيها، وكذا العملية الجنسية فهي عملية دخيلة على الجسد يحتاج لوقـت كـي يألفها ويتعود عليها وتصبح لديه خبرة في التعامل معها، فيجب على الزوجين ألا يقلقا حيال هـذا الأمر كثيراً وأن يعطيا بعضهما فرصاً كافية مع الاستشارة والتثقف في مثل هذه الحالة لأن ذلك يساعد كثيراً في تخطيها.

أما الضعف الجنسي المعقد أو الدائم فإنه يؤثر بشكل سلبي كبير على نفسية الـزوجين لأنـه سبب رئيس في تقويض بنيان البيت وخرابه، فإن كان الزوج هو السبب فإن الزوجة بشكل عـام ستصاب بالإحباط وتمل الزوج لأنها لن تشعر بأنوثتها إن لم تشعر برجولة زوجها، وهـي لـن تفضل البقاء مع رجل لا تشعر برجولته ولا يشعرها بأنوثتها وقد تضطر لخيانة زوجها وإفـراغ

هذه الغريزة البشرية إن كان من الصعب الانفصال عنه أو إيجاد شريك آخر لها، وليس غريباً أن تصاب المرأة بالإحباط بسبب عجز زوجها الجنسي بسبب الآمال التي كانت ترسمها والأحلام التي تبنيها على هذا الزواج من أن تكون زوجة مغرية وفاتنة ومرغوبة من قبل رجل، وأن تمارس وظيفتها كأم لأطفالها وغيرها من الأمور التي تشعرها باستقلالها ونجاحها في حياتها المستقبلية، وكذلك لأنها تعلم مدى قلة فرصتها في زواج آخر بعد هذا الزواج بسبب عدم تفضيل المجتمع للمرأة المطلقة، وهنا نستطيع كذلك تخيل الشعور النفسي الذي سينعكس على الزوج العاجز عن ممارسة الجنس أمام المرأة وما سيصاب به من خيبة الأمل والضعف والشعور بالنقص وقلة الرجولة فكلها تضفي شعوراً سيئاً يصيب صاحبه بالكآبة إن لم يحصل على الدعم الكبير والصادق من شريكته، وبالتالي تنعدم لديه الثقة بالنفس أو الإقدام أو غيرها من الأمور المثبتة للرجولة.

والمرأة كي تشعر بالرضا النفسي في علاقتها الزوجية ونظرتها لنفسها ولزوجها لابد أن يكون رجلاً بحق وإلا كان الأثر سلبياً وغالباً ما يؤدي للخيانة إذا لم يراع فيه تقوى الله عز وجل، أو قد يؤدي للانفصال بطلاق أو هجر وغيرها من المشاكل الاجتماعية، لكن هناك من النساء من تكن لزوجها كثيراً من مشاعر الحب والمودة فتعامله على هذا الأساس وتتغاضى عن هذا الجانب فيه وتشعره بمدى إخلاصها له ولمدى حرصها على المحافظة على المشاعر التي جمعتهما، وتعمد المرأة في هذه الحالة إلى الصبر على زوجها وتداريه بل تشعره بكامل رجولته وهي معه حتى لو لم يكن يملك زمام المعاشرة الجنسية وتحاول مساعدته بالبحث عن علاج ليكملا حياتهما بشكل طبيعي بحثاً عن الاسقرار.

وهنا تأخذ نفسية المرأة أمواج وتأتي بها أمواج ويمتلكها شعور بالحزن على ما فاتها من أمور كثيرة تنبني على العلاقة الجنسية الناجحة أشرت إليها آنفاً، لكن هذا كله يؤثر على نفسية

الرجل بشكل إيجابي ويخفف من حجم الآلام النفسية التي يعاني منها عندما يشهد من زوجته هذا الموقف، فقد يؤدي ذلك إلى حل المشكلة بسبب التشجيع والصبر والدعم من الطرف الآخر دون محاولة جرحه أو لفت انتباهه للآلام النفسية الدفينة داخلة.

أما الرجل، فإن شعر بضعف جنسي لدى زوجته فسيصاب كذلك بإحباط نفسي وتسيطر عليه مشاعر الملل وعدم الرغبة لعدم التكافؤ في السلوك والمشاعر بينه وبين زوجته، فكما أشرت آنفاً إن تجاوب المرأة مع الرجل في هذه المرحلة يثري العلاقة الجنسية والنفسية، أما إن كان الرجل في أعلى درجات الرغبة والمرأة في أدنى مستوياتها فلن يحصل هذا الإثراء، وبالتالي يعود سلباً على النفس بالشعور بالفشل وعدم الرغبة.

وإن لم يكن الرجل يحمل مشاعر المودة والرحمة تجاه زوجته فإنه يعمد للاستغناء عنها والبحث عن أخرى ترضي رغباته بشكل طبيعي لأن الرجل مهما صبر فإن نهايته الملل والبحث في طريق آخر، أما إن كان يكن لها مشاعر الحب والألفة فإنه سيقع في حيرة بين مودته لزوجته وتعلقه بها وبين شغفه بغريزته والتوق إليها، فعلى كلتا الحالين يصاب الرجل بالإحباط وقد يصيبه قلة رغبة بالشهوة، وهنا إما أن يساعد زوجته ويحاول أن يجد لها علاجاً وإما أن يجد لنفسه زوجة أخرى تشعره هي برجولته ويشعرها هو بفحولته دون أن يجرح الأخرى أو يسيء معاملتها ويظلمها.

وهناك نقطة أخرى في الأثر السلبي للعلاقة الجنسية على نفسية الزوجين وهي مسألة إعطاء الحقوق، أي إعطاء المرأة حق زوجها كاملاً له، وإعطاء الرجل حق زوجته كاملاً لها، فعلى المرأة أن تهتم بنفسها من ناحية مظهرها ونظافتها وتزينها وكل ما يزيد من أنوثتها ويرضي قلب الرجل ونظره وسمعه وشمه، وعليها القيام بكل ما يطلبه منها في تلبية رغباته الجنسية إذا كان ضمن الحدود الشرعية والقابلية النفسية فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لأن هناك بعض الأمور

التي قد لا ترغب المرأة القيام بها وإجبارها عليها قد يؤدي إلى أثر نفسي سلبي وهو نفورها من زوجها ونفورها من هذه العلاقة أصلاً، فعلى الرجل أن يراعي زوجته في هذه الناحية، وإذا لم تهتم المرأة بنفسها فإن الشعور النفسي السائد عند الرجل هو الصدود والنفور وعدم الرغبة فيها، فعليها أن تراعي هي كذلك زوجها ونفسه البشرية التي تنفرها أشياء حتى لوكانت بسيطة وتقربها أشياء ولو كانت بسيطة كذلك، حتى تسير العلاقة الحميمية بينهما في مسارها الصحيح.

وعلى الرجل أن يهتم هو بنفسه كذلك من ناحية النظافة والتزين والتطيب للمرأة كما تتزين هي له فقد قال تعالى: M " # $ % & ' ( ) 2 L الأعراف: ٣١، فهو يحث الرجال على التزين من نظافة الثوب والتطيب وتسريح الشعر، لأنه سيختلط بالناس فلا يؤذيهم، فما بالك بزوجته التي تقضي حياتها معه، فيجب أن يتزين لها، لأنها ذات نفسية حساسة، فلن ترغب بمعاشرة رجل أعياه التعب والعرق.

وعلى الرجل أن يفهم أنه أسرع بكثير من المرأة في الحصول على الشهوة وأنه أقدر على التحكم في سرعة ذلك أو بطئه، فإن لم يعطها حقها في تلبية رغبتها خاصة بعد أن يحصل هو عليها فإن لذلك أثراً سلبياً كبيراً على نفسية المرأة التي ستشعر بالإحباط والخجل وستشعر بأنانية الرجل وأنها مستضعفة عنده لا حق لها، لكن على الرجل أن يصبر عليها حتى تأخذ كفايتها، بل عليه أن يستفسر عما ترغبه وعما يساعدها في الوصول إلى متعتها مع مراعاة خجل المرأة في هذا الجانب فلابد للرجل أن يصر على معرفة ذلك بأسلوب رقيق مرح يزيل بعضاً من هذا الخجل حتى يرضيها في هذه العلاقة الحميمية بينهما، ولا ننسى قول الرسول **r**: "إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته منها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها".(1)

---

(1) الموصلي، أبي يعلى نور الدين علي (ت807هـ)، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1413-1993)، م1، ص342.

المطلب الثاني: أثر الإنجاب

شرحت سابقاً عن غريزة الأمومة والأبوة كخصيصة نفسية لدى الرجل والمرأة، ومما يكمل هذا الجانب هو الحديث عن آثار الإنجاب أو عدمه على نفسية الرجل والمرأة بالمنحى الإيجابي والسلبي لفهم الحالة الشعورية النفسية المؤدية إلى سلوك ما.

وسأبدأ الحديث عن الأثر النفسي الإيجابي لغريزة حب الإنجاب على نفسية الزوجين في حالة حصولهما على الأطفال، ففي حالة إنجاب الزوجين للأطفال في الوضع الطبيعي فإن ذلك يضفي على نفسية كل منهما راحة وطمأنينة كبيرة، حيث تكتمل فيه عناصر ذلك البيت ويصبح هناك استقرار عاطفي غريزي ينعكس على الزوجين بحياة أكثر سكينة ومودة ورحمة فيملأ الاطفال الفراغ الكبير لدى الزوجين لأنه أصبح لديهما من يقومان بتربيتهم وتعليمهم وتوفير مستلزماتهم وبالتالي تقديم جيل صالح للمجتمع يساهم في بنائه وتعزيز بنيته الاجتماعية.

كذلك فإن الأطفال زينة الحياة الدنيا وببراءتهم يعلمون الكبار معنى المحبة والحنان، فنلاحظ على البيوت التي يعيش فيها طفل صغير طراوةً في أجوائها وقلةً في المشاحنات أكثر من البيوت التي لا تحتوي صغاراً. وذلك بسبب مراعاة الزوجين لوجود أطفال في البيت لا يجب أن يطلعوا على هذه المشكلات أو يعيشوا في مثل هذه الأجواء، فيكون ذلك دافعاً لاختصار المشكلات ومحاصرتها بينهما كي ينشأ الطفال نشأةً سليمة مما يعني راحة نفسية أكثر لكل الأسرة، إضافةً إلى دور الأطفال في تلطيف جو الخصام والمشاحنات ببراءة تصرفاتهم القولية والفعلية.

ومن جهة أخرى فإنه يصبح لدى الزوجين نضج نفسي وفكري وسلوكي أكبر في حالة الإنجاب لأن لديهم مسؤولية كبيرة في رعاية أطفالهم والقيام على أمورهم فلا تشغلهم توافه الأمور وأقلها ويسعون للاهتمام بالأمور الكبيرة، فالأسرة الآن بحاجة إلى إكمال عناصرها وهذا يحتاج لتفكير وتخطيط وصبر في كيفية التعامل مع هذا العنصر الجديد.

والمهم بشكل سليم وتوفير حاجاته المادية والمعنوية، وهذا يتطلب نضجاً أكبر من الـزوجين لأنهما مسؤولان عن ذلك كله.

ومن الآثار النفسية الإيجابية للإنجاب أنه يوثق العلاقة بين الرجل والمرأة ويزيد من مـشاعر الحب والألفة بينهما فقد رزقهما الله سبحانه وتعالى طفلاً فيه جزء من الرجل وجزء من المـرأة فهو رابط أبدي مشترك بينهما حتى لو حصل انفصال بينهما لاحقاً، فهذا الطفل يبقى جامعاً لهمـا حتى لو لم يبق شيء يجمعهما، وهنا يتعاون الزوجان في تحقيق أهدافهما معاً وبالتـالي توثيـق العلاقة الزوجية فهما يضعان في الحسبان أن الأطفال أمانة سيحاسبان عنها أمام الله فلابـد مـن مراعاة الأمانة في تربيتهم وفي نشأتهم نشأة سليمة، مما يبعد فكرة الانفصال عن أذهـانهم ولـو على مضض وهذا بحد ذاته يساهم في استمرارية الحياة الزوجية لأكبر قدر ممكن.

لكن ليس معنى هذا أن حب الطفل يعوض عن حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل، لكـن هناك من يستطيع التخلي عن هذا الحب وإفراغه في الطفل في حالة وجود فجوة بين الـزوجين وخاصة المرأة، لكن في الوقت ذاته قد تفصل بينهما فهي لا تخلط بين حب الطفل وحب الـزوج كما أشار إلى ذلك الأستاذ سمير عبده أن المرأة هبة الله تعالى للطفل وفي الوقت ذاته هي هبـة الله للحب والجمال والانشراح، فهي تقوم بوظيفة الحمل والولادة والرضاعة والتربية وفي الوقت ذاته وظيفتها أن تحب وتشعر بأنها محبوبة، أي أن الأمومة لن تغنيها عن الحب أبداً فمن عجيب أطباعها أنها تفصل بين حب الطفل وحب الرجل مما يعني أنها قادرة علـى الانـصراف عـن زوجها إذا ما انصرف إلى غيرها من النساء حتى لو كان بينهما طفل، لأنهـا تـشعر بإحـساس فطري عميق أن عليها واجباً مقدساً نحو ابنها لكنها تفهم شخصية الرجـل وتـدرك أن الأبـوة وحدها لا تقيده ولا تستبقيه في محيط الأسرة إن لم تقترن بجمال المرأة وإبداء محاسـنها، لـذلك

تعمد المرأة حتى بعد إنجابها للاهتمام بمظهرها ورشاقتها وجمالها وتسرف في التزين والتبـــرج لتبقي قلب الرجل معلقاً بها وبأسرته.[1]

وإن لم أكن أوافق الكاتب على تعميمه إلا أن في كلامه وجهة نظر، لكن ليس بشكل عام لأن كثيراً من الرجال تستبقيهم أمور أخرى في الأسرة وإن كـــان يرغـــب بتجربـــة غيرهـــا، مثـــل المسؤولية وتقوى الله في رعيته والعرف والظروف وغيرها من الأمور التي تلزم الرجل بالبقاء حتى لو فقدت المرأة جمالها فأين معاني العشرة والمودة والرحمة التي جمعتهما؟!.

ومن هنا سأبدأ الحديث عن نقطة أخرى وهي الآثار الناتجة عن عدم الإنجاب ســواء علـــى المستوى المادي أو المعنوي، ذلك أن الزوجين في بداية حياتهما يبنيان آمـــالاً عريـــضة علـــى الإنجاب والتفكير في مستقبل الأطفال قبل أن يحدث الحمـــل أصـــلاً فيحلمـــان باســـمه وشـــكله وتصرفاته ومستلزماته إلى غير ذلك من أمور لأن ذلك يلبي غريزة أصيلة فـــي كـــل منهمـــا - الأمومة والأبوة- فيشعران بالنضج النفسي والغريزي، وكذلك لأنهما يريـــان أن ثمـــرة الـــزواج ومكمله هو الإنجاب، فإن لم يتمكنا من ذلك فلن يكون هذا الزواج كاملاً بل ينقصه عنصر مهـــم من عناصر الحياة الزوجية كأسرة، وينعكس على نفسية الزوجين بشكل سلبي بدرجـــة كبيـــرة، فيسبب الاضطرابات النفسية والسلوكية التي تؤدي بدورها إلى الطلاق خاصة في حالـــة فقـــدان الأمل.

يقول بعض الكتاب إن إشباع الغرائز أمر غير حتمي، وعدم الإشباع لا يؤدي إلى الهلاك إنما يؤدي إلى الاضطراب والقلق والشقاء، وهذا الأمر واضح وجلي عند الزوجين اللذين لا ينجبـــان أطفالاً بسبب عقم أحدهما أو كليهما، فالميل الجنسي لا يشبع غريزة النوع، بينما جمـــاع الرجـــل المرأة يشبع بعض هذه الغريزة وإن تكرر هذا الجماع بينهما دون إنجاب أطفال أصبح هذا العمل

(1) سمير عبده، العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة، ص59، بتصرف

غير مشبع للغريزة من جهة هذا المظهر لأن الأصل في العمل الناتج عن المظهر أن يخدم الغريزة التي ينتمي إليها هذا المظهر، فالجماع دون إنجاب لا يتحقق فيه الإشباع الكامل لأنه لا يؤدي إلى استمرار بقاء النوع الإنساني فلا يخدم غريزة النوع".(1)

إن لعدم الإنجاب خصوصاً في البلاد العربية عواقب نفسية وعائلية واجتماعية تؤدي للإصابة بالقلق والاكتئاب، وقد أثبتت الدراسات في جامعة "نورثويسترن" في مدينة "شيكاغو" في الولايات المتحدة الأمريكية تحت قيادة الدكتور "برانيغان" إلى تحديد درجة الإصابة بالقلق والكآبة لدى شريحة من الرجال وشريحة من النساء، فتبين أن (30%) من الرجال و(56%) من النساء مصابون بدرجة عالية من القلق، وحوالي (36%) من الرجال و(53%) من النساء مصابون بالاكتئاب، وهذه الدراسات تؤكد النظريات العالمية حول التأثير النفسي الشديد للعقم على الزوجين وخصوصاً في العالم العربي حيث تقاس الرجولة بعدد الأولاد وحيث يكون للإنجاب أهمية قصوى في توطيد العلاقة الحميمة بين الزوجين.(2)

ومن المهم معرفة أن المجتمع يحمل المرأة غالباً المسؤولية لعدم الإنجاب ويسلم الرجل من كل هذه الاتهامات، في حين أن الدراسات أثبتت أن مسؤولية الرجل في هذا الجانب تصل إلى درجة (50%) إما لعوامل عضوية أو هرمونية أو جينية أو التهابية وحتى نفسية.(3)

ومما نستخلصه من الدراسات السابقة أن نسبة القلق والكآبة عند النساء أعلى منها عند الرجال خاصة وإن كانت هي السبب، وذلك لأن نسبة تأثر الرجال بالأمور العاطفية أقل من النساء ولأن عقم النساء يعد من أشد الدواعي التي تجعل الرجل ينصرف عن زوجته ويرتبط بأخرى تنجب له أطفالاً يحملون اسمه ويشعرونه بفائدته وأهميته، وهذا له من الأثر النفسي على

---

(1) محمد حسين عبد الله، مفاهيم إسلامية، ص22-23، بتصرف.

(2) حنش، كمال، العقم يلقي بآثاره النفسية وضغوطاته الاجتماعية على الزوجين، www.3rbdr.com، بتصرف.

(3) المرجع السابق، بتصرف.

المرأة ما له، فهي تحمل له مشاعر الحب والمودة وتراه ينصرف عنها لأخرى لتعوضه مـــا لـــم يجده عندها فيسبب لها الإحباط لعدم قدرتها على منحه الأطفال.

أما إذا كان الرجل هو سبب العقم فإنه يصاب بالقلق من نظرة المجتمع له أكثر من زوجتـــه، لأن المجتمع لا يرحم في توجيه نظرات الريبة والشفقة والاستخفاف بالرجولة وهذا من أكثر مـــا يكرهه الرجل، وبالمقابل فإنه يعلم أن المرأة غالباً ما تخلص للرجل ولا تتخلى عنه لمثـــل هـــذا السبب على الرغم من أنها حرمت من أعظم وظيفة لها وهي الأمومة التي طالما حلمت بها حتى وهي صغيرة السن تراها تلبس ثياب والدتها وتمسك دميتها وتمثل أنها أم لها، فتـــضحي المـــرأة بهذه الغريزة كي تتجنب جرح زوجها أو إشعاره بنقص ما، حفاظاً على بيتها وصـــيانةً للعـــشرة التي بينهما، هذا كله يكون إذا روعي في جانبه تقوى الله عز وجل، مع حقها في ذلك إذا رغبت.

وليس معنى ذلك أن الرجل يتخلى دائماً عن زوجته إذا كانت عقيماً، لكن ذلك ما يحصل فـــي الغالب الأعم وليس معنى ذلك أنه تخلى بصورة سلبية، لأن هناك كثيراً من الرجال مـــن تـــزوج مرة أخرى بغرض التناسل دون أن يسيء لزوجته الأولى أو يهجرها لأنه يعلم أنه لا ذنب لهـــا بل يحافظ على مبادئ العشرة الزوجية الطيبة ويراعي مشاعرها.

والقرآن الكريم صور لنا نفسية الوالدين اللذين لا ينجبان بسبب عقر الزوجة في قصة سيدنا زكريا عليه السلام، وقد تحدثت عن الجانب الإيجابي للإنجاب في مطلب الأمومة والأبوة في الفصل السابق، لكن هنا أريد أن أتناول الجانب السلبي للعقم على نفسية الزوجين، حيث قال تعالى:] # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P R S T

Z مريم: ٢ - ٦.

فهنا يصور القرآن الكريم قلق الرجل وخوفه من عدم الإنجاب، فيتضرع لخالقه جل وعلا ليناجيه ويرجوه أن يحقق له مراده برزقه الولد الذي طالما انتظره حتى أعياه الكبر ووهن عظمه وامرأته عاقر، فناجى ونادى ربه من أعماق قلبه ومعالم الخوف بادية عليه، فقد نادى بالخفاء خوفاً من أن يلومه الناس على هذا الطلب بعد أن بلغ هذا السن، لكن نداء الفطرة يلحُّ عليه فطلب الذرية من الله سبحانه حتى تخلفه من بعده وتكمل ما بدأ به.

يقول سيد قطب: "إنه يناجي ربه بعيداً عن عيون الناس، بعيداً عن أسماعهم في عزلة يخلص فيها لربه، ويكشف له عما يثقل كاهله ويكرب صدره ويناديه في قرب واتصال:«رب..» بلا واسطة حتى ولا حرف النداء. وإن ربه ليسمع ويرى من غير دعاء ولا نداء ولكن المكروب يستريح إلى البث، ويحتاج إلى الشكوى. والله الرحيم بعباده يعلم ذلك من فطرة البشر، فيستحب لهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم. «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» ليريحوا أعصابهم من العبء المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر؛ وليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه، ولا يخيب من يتوكل عليه".[1]

المطلب الثالث: أثر الاختلاط

ويتناول هذا المطلب الحديث عن سلوك الاختلاط وأثره على نفسية الرجل والمرأة كأفراد ثم كأزواج، والسلوك الناجم عن هذه التأثيرات النفسية من قبل الرجل والمرأة وأثره على المجتمع والعلاقات الزوجية.

وفي هذه الدراسة لن أدخل في تفاصيل موضوع الاختلاط من حيث الحكم الشرعي أو الشروط أو الأدلة أو غيرها، لكن سأشير إلى بعضها على عجالة لأن هذا قد تكلم فيه الكثير ويستطيع القارئ الرجوع إليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الهدف من هذه الدراسة ليس

(1) سيد قطب، الظلال، م4، ص2302

الأحكام التفصيلية، إنما هدفها الجانب النفسي وتأثيراته بالدرجة الأولى، أي أثر الاختلاط على الرجل كرجل له طبيعة نفسية معينة وعلى المرأة كامرأة كذلك، بغض النظر أكان الرجل والمرأة ملتزمين أم لا؟ أو هل كان جو الاختلاط مشروعاً أم لا؟ ولا يخلو الأمر من التوجيه بناءً على معرفة آثاره النفسية لدى الجنسين وأثره على العلاقة الزوجية بينهما.

في البداية لابد من تعريف الاختلاط بشكل عام: فهو اجتماع الرجال والنساء معاً في مكان وزمان ما، بأوضاع مختلفة حسب الغرض الذي أدى إلى اجتماعهما، سواءً كان لحاجة أو غير حاجة، بطرق مشروعة أو غير مشروعة.

فإذا خصصنا مفهوم الاختلاط بمفهوم شرعي وغير شرعي، يكون معنى الاختلاط الشرعي: اجتماع الرجال والنساء معاً في مكان وزمان ما، بأوضاع مختلفة لحاجة وضرورة، بطرق شرعية يتحقق معها فائدة ويراعى فيها شروط معينة كالتزام الرجل والمرأة بأدب السلوك الفعلي والقولي وأدب اللباس والمظهر الشرعي.

أما المفهوم غير الشرعي: فهو اجتماع الرجال والنساء في مكان وزمان ما بأوضاع مختلفة بدون حاجة أو ضرورة دون الالتزام بآداب الاختلاط وشروطه، والاجتماع بطرق غير شرعية على أمور محرمة، كشرب الخمر والرقص والغناء وغيرها من أجواء اللهو والعبث.

من هنا نستطيع استخلاص شروط الاختلاط المشروع وهي:

1- الاجتماع لحاجة وضرورة تحقق فائدة ما.

2- الاجتماع على أمر مشروع غير محرم.

3- الالتزام بأداب السلوك الفعلية والقولية، مثل غض البصر والاحتشام وعدم الخضوع بالقول أو الفعل.

ومن دواعي الاختلاط أمور متعددة مثل:

1- التعليم.

2- العمل.

3- السفر.

4- التسوق والترفيه.

5- اللهو والعبث.

6- العلاقات الاجتماعية والمناسبات الشخصية والرسمية.

وهذه أشهر الأمور الداعية لاجتماع الرجل بالمرأة دون الدخول في تفاصيلها وبيان جوانبها، لكنني سأشرع في الحديث عن أثر هذا اللقاء بين الرجل والمرأة على نفسية كل منهما إن شاء الله تعالى.

في البداية نحن نعلم أن هناك تكويناً فطرياً معيناً للرجال والنساء كما تحدثت في الفصل السابق من حيث وجود خصائص نفسية مشتركة بينهما لكي يألف كل منهما صاحبه ويحدث التزاوج والتناسل، وهذه الخصائص هي الحاجة لممارسة العلاقة الجنسية، والحاجة لممارسة العواطف البشرية-حب، مودة، أمومة وأبوة- والحاجة للتكميل والتوظيف.

وهذا يعني أن هناك ميلاً فطرياً بين الرجال والنساء في الأصل والجبلة بغض النظر عن شرعية اللقاء أو عدمه، فالرغبة في الجنس قد تطرأ على الإنسان في أي وقت وأي مكان وأي وضع، ويرغب الإنسان كذلك بممارسة عواطفه مع بني جنسه من حب ومودة وأن يشعر أن هناك من يفهمه ويقدر مشاعره السارة والأليمة، إضافةً إلى ممارسة عوطف الأمومة والأبوة التي تشد الإنسان في كل حين، والرجل والمرأة يحتاج كل منهما الآخر ليكمل النقص الموجود فيه ويعضده، فالرجل فيه صفات تكمل المرأة كالقوة مثلاً، وفي المرأة صفات تكمل الرجل

كالعاطفة وهكذا، إضافةً إلى أن لكل من الرجل والمرأة وظيفة معينة عليه أن يمارسها في حياته الإنسانية ولن يتمكنا من ذلك إلا في حالة ارتباطهما معاً مثل وظيفة القوامة للرجل ووظيفة الأمومة للمرأة، وفي حالة ممارسة الوظيفة يشعر الرجل برجولته وأهميته وتشعر المرأة بأنوثتها وأهميتها.

لذلك يسعى كل من الرجل والمرأة للتقارب والتجاذب حسب قوانين الكون التي سيرت على نظام الزوجية في كل الأشياء الموجودة فيه، فكل ذرة سالبة تبحث عن ذرة موجبة كي يتم الاقتران فالقيام بوظيفتها المودعة فيها.

وعندما يلتقي الناس في مكان واحد ووقت واحد فإن ذلك مدعاة للتعرف على الأشكال والأجناس والثقافات وغيرها من أمور تقوم كلها على إرسال النظر والحوار والاحتكاك كي يتم هذا التعارف، فخطوات التعرف على أحدهم يبدأ بالنظر إليه فإن ألفه فإنه يحاوره فإن ارتاح إليه كرر لقاءه معه ليتم التعارف بشكل أكبر هكذا بشكل عام، وهذا تقريباً ما يحدث بين الرجل والمرأة عندما يجتمعان في جو عام بغض النظر عن ضرورة وشرعية وأدب هذا اللقاء، فالرجل يميل للمرأة والمرأة تميل إليه، فإذا سنحت الفرصة فلن يتوانيا عن التقارب والاختلاط بداعي المحرك الفطري لديهما، حتى لو اقتصر الأمر على إرسال النظر.

بعد هذا نستطيع استخلاص أثر الاختلاط على نفسية الرجل والمرأة وأنه أثر سلبي غالباً حتى لوكان الاجتماع على أمر شرعي وروعي فيه شروطه التي تحد من سلبيته نوعاً ما ولكن ليس بشكل تام، فالفطرة البشرية تعد من الأمور الثابتة في حياة الإنسان لا تتغير بتغير الوضعية كثيراً، بل تبقى آثارها ملازمة للنفس، فإذا كان الوضع محصوراً وروعي فيه غض البصر والعفة وتقوى الله عز وجل وجِّهت هذه الغرائز مع بقاء أثرها، فالعملية هي توجيه وتهذيب

وليس إلغاءً لها، فيبقى أثر ميل الرجال للنساء والعكس موجوداً فيهما، لكن تظهر آثاره بشكل أكبر في حالة عدم وجود ضابط لهذا اللقاء أي في حالة الاختلاط غير المشروع.

وأقصد بالأثر السلبي على النفسية أنه يشعل نار الغريزة الجنسية والعاطفية وغيرها من الحوائج الإنسانية بين الطرفين، وعندما تسعر الغرائز والعواطف دون القدرة على تفريغها بسبب الدين أو الأخلاق أو الأعراف أو الظروف فإنه يؤدي إلى تدهور الحالة النفسية وإصابتها بشعور الإحباط واليأس والحسرة لعدم الظفر بمراد النفس وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية والعصبية مثل الكآبة والهزال والاضطراب، والغريزة إن لم توجه أو تضبط أفقدت الإنسان الراحة النفسية والسعادة القلبية مما يعني تبديد الطاقات النفسية الإيجابية وضياعها.

وهذا يؤدي بدوره إلى التأثير على الناحية العقلية والفكرية، فالتفكير في الشهوات يفقد الإنسان تركيزه الذهني وصفاءه، وذلك يعود بالضرر على إنجاز أمور الحياة العملية والعلمية، فقد أكدت الدراسات في الجامعات المصرية أن (65%) من الطلاب والطالبات أقروا بأن تفكيرهم بالجنس الآخر أثناء الاختلاط يؤثر على مستواهم الدراسي.[1] وأكدت دراسة لبنانية أن 60% من الطالبات سقطن في الامتحانات بسبب تفكيرهن في الجنس أكثر من دروسهن أو حتى مستقبلهن.[2]

وإن سنحت الفرصة للرجل أو المرأة بممارسة الغرائز والشهوات فلن يتوانيا عن ذلك حتى في طرق محرمة وارتكاب الفواحش بغرض التخلص من الضغط النفسي وتدهور الحالة الشعورية بسبب هذه الحاجة البشرية، مما يعني فساد الدين والخلق لدى الأفراد وبالتالي فساد المجتمعات خاصة في ظل انتشار الظواهر الاجتماعية السلبية من فقر وبطالة وعدم قدرة الرجل

(1) انظر، خطورة الاختلاط، www.islamlight.net
(2) انظر، الاختلاط بوابة الشرور، www.islamway.com

على توفير مستلزمات الزواج وبالتالي انتشار العنوسة مع سعي كل من الرجل والمــرأة الــدائم للقاء شريك له يكمل نقصه ويحتوي حوائجه من الجنس الآخر، مما يعني اســتعداد الــنفس لأي شيء مقابل الحصول عليه حتى وإن لم تراع الحدود والحواجز الشرعية والأخلاقية وغيرها.

كما أن من آثاره السلبية خاصة على النساء؛ فقدان صفة نفسية وهي الحياء، فاختلاط الرجال والنساء المتكرر وخاصة المستهتر يؤدي إلى تعويد النفس على كسر الحواجز النفسية وغيرهــا بين الرجل والمرأة، وذلك يكسبهما جرأة أمام الآخر قد تصل لحد الوقاحة، فعنصر الحيــاء أهــم صفة تتصف بها المرأة وليس المقصود ألّا تتمتع المرأة ببعض الجرأة أمام الرجــال، بــل علــى العكس فإن جرأتها تعطيها نوعاً من الهيبة تعني أنها ليست سهلة المنال، لكن المقصود ألّا تزيــد هذه الجرأة عن الحد اللازم الذي يجعلها لا تخجل من التصرفات السيئة أمام الرجال، وإلاّ علــى المرأة أن تتمتع بثقة بالنفس بدرجة عالية كي تستطيع مجابهة أمور الحياة ومجابهة تسلط الرجــل وجبروته عليها، وفي الوقت نفسه عليها أن تتخلص من الخجل الذي يعوق كل ذلك عليهــا مــع محافظتها على الحياء بحرص تام، لأن الخجل حالة مَرَضِيَّة أما الحياء فهو طبيعة أصلية ســليمة في النفس البشرية لا يجب على الإنسان أن يطمسها بحجة التطور والتحضر والتمتع بالشخــصية النَّفَّاذة.

هذا من ناحية أثر الاختلاط على الرجال والنساء كأفراد، أما من حيث أثــره علــى نفــسية المتزوجين والعلاقة الزوجية فإن الاختلاط وخاصة المستهتر يؤدي في حالات كثيرة إلى دمــار العلاقات الزوجية بسبب تأثيراته النفسية عليهما، فاختلاط الرجل بالنساء الأجنبيــات ورؤيــتهن على جميع أحوالهن من التبرج والتزين والتكشف، فينخر في نفسه البشرية التي ترنو إلــى كــل طريف وجديد مشاعر الإغراء والفتنة بهن من جهة، ومن جهة أخرى فإنــه يكــشف مــشاعر الحسرة والندم على ما فاته من هذا كله عند زوجته التي لا توفر له ذلك ويبدأ بعقــد المقارنــات

بين ما يجده في البيت وبين ما هو خارجه، وكذلك المرأة فإنها باختلاطهـا المتكـرر بالرجـال يكشف لها عن صفات تحبها المرأة في الرجل ليست موجودة عند زوجها وتبدأ هـي الأخـرى بالمقارنة بين ما عند زوجها وما عند غيره من الرجال، وكل ذلك يعود على نفسية الـزوج أو الزوجة بالنفور من شريكه قد يصل إلى حد الكره وهذا محتمل لعدة أسباب كما يقـول الله عـز وجل في كتابه:] ¶ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ Z النساء: ١٩، فكره الرجل لزوجته أمر محتمل إذا ما حصل نفور بينهما وكذلك الزوجـة، ويعـود علـى النفس بمشاعر الإحباط والحسرة على ما فات، فتنشأ الخصومات والنزاعات الزوجية قد تكـون نهايتها الطلاق أو الخيانة والعشق خارج العلاقة الزوجية، وكم لهذا من أثر عليهما بما يسببه من كآبة وآلام نفسية عندما يرى أحدهما شريكه ينصرف عنه بعدما حفظ له مشاعر الحب والمودة.

وقد يكون من آثاره النفسية إصابة القلب ببعض الأمـراض النفـسية الاجتماعيـة كـالغيرة والحسد، فيحسد الرجل رجلاً آخراً حظي بزوجة مثالية، وتحسد المرأة أخرى لأنها حظيت بزوج مثالي، وهذا بدوره يضعف العلاقات الاجتماعية وينخر في مدى صدقها ونقائها.

ولكن قد يتساءل أحدنا هل يكون الحل بأن تغلق المرأة على نفسها في البيت ولا تخرج لتتعلم أو تعمل في مجالها أو تمارس دوراً ثقافياً في المجتمع وترك الرجل هو الذي يفعـل كـل ذلـك دونما معين في هذا الزمن الصعب؟؟!.

فقد قال الله سبحانه وتعالى:] F G H Z الأحزاب: ٣٣، والقرار في البيـوت قـضية أدبية اجتماعية، فقوله "وقرن في بيوتكن" له معانٍ عديدة منها: الجلوس فـي البيـت، والرزانـة

والحلم.[1] وأشار ابن عاشور أن هذه الآية خاصة بنساء النبي r وأنه وجب عليهن ملازمة البيوت توقيراً لهن وتقويةً في حرمتهن، وهي تعد عبادة، لما نزل فيها من الوحي، ولكن لهن الخروج في حالة الاضطرار مثل موت الأبوين أو الخروج للحج والعمرة، فهو وجوب على نساء النبي وكمال لسائر النساء.[2]

فإذا كان هذا الحكم كمالاً للنساء الأخريات، فلهن الخروج من البيت في الأمور المشروعة من عمل وعلم وصلاة وغير ذلك، مع المحافظة على الزي المحتشم وعدم الخضوع بالقول والتبرج، فينطبق المعنى الأول والثاني للوقار على نساء النبي r وجوباً، والمعنى الأول للنساء الأخريات مندوب لهن والثاني واجب عليهن، ذلك أن نساء النبي r قد كفاهن الله بخير زوج ويسر الله لهن مصالحهن، أما النساء الأخريات فقد لا يكون لهن أزواج يكفونهن مصالح هذه الحياة بسبب مرض أو عجز وغيره فلا يستطعن الجلوس في البيت دون السعي لكسب العيش.

وهناك قضية مهمة، وهي أن أمرهن بملازمة البيوت لم يكن حبساً مطلقاً أو إبعاداً لهن عن ميادين الحياة خارج المنزل إنما فيه إشارة إلى أن رسالة المرأة الكبرى هي احتضان البيت وتنشئته نشأة سليمة لكي يكون بالتالي خيراً للمجتمع، وهو كذلك ليس تجاهلاً لدور المرأة في الوجود بل هو تكريم لها من حيث كلفها بأصعب مهمة تقوم بها النساء في الحياة، وهي الحفاظ على البيت والقيام بشؤونه.[3]

أما حقيقة الخروج في عصرنا الراهن خصوصاً للعمل، فقال الشهيد سيد قطب الذي يحبذ قرار المرأة في البيوت: "الأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل، المقيدة بمواعيده، المستغرقة الطاقة فيه، لا يمكن أن تهب للبيت جوّه وعطره ولا يمكن أن تمنح الطفولة

---

(1) انظر، ابن منظور، لسان العرب، م4، ص368-369.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص10، بتصرف.

(3) أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دار الفكر العربي، ط1(1969)، ص192، بتصرف.

النابتة فيه حقها ورعايتها، وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الفنادق والخانات، وما يشيع فيها من الأرج الذي يشيع في البيت، فحقيقة البيت لا توجد إلا أن توجد فيه امرأة، وأريج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لا يشع إلا أن تتولاه أمٌّ، والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل، لن تطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلل والملل.

وإن خروج المرأة ليعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة، أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هي اللعنة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول في عصور الانتكاس والشرور والضلال".(1)

فسيد قطب نظر هذه النظرة من خلال استقراءٍ للواقع الذي شاهده، ولم ينظر له من زاوية واحدة وهي حاجة البيت لعمل المرأة أو غيره كالتعلم، لأن خروج المرأة من البيت على هذا التوسع الذي نشهده قدكان مؤداه السلبي أكثر من الإيجابي في ظني على ما رأيت من الفساد الذي عم وطم بسبب خروج المرأة غير المنضبط من البيت وعدم سلوك المنهج الرباني في جو الاختلاط، وعلى الرغم من أني أشجع العلم والعمل للمرأة إن كانت بحاجة إلى ذلك خاصة العلم إلا أنني لن أتعسف في الاعتراف- لكوني فتاة- بأن هذا الخروج جر المصائب لعدم الاحتشام في التعاملات ما بين الجنسين، حتى وإن كان في جو محتشم إلا أننا أصبحنا نتساهل في المحتشم نفسه وترك المنهج القويم في التعامل مع الجنس الآخر، وهذا ما أحكم عليه من خلال رؤية الواقع و التعجب منه حق التعجب، فنحن نعلم أننا لو مكثنا آلاف السنين الأخرى فلن تكون النساء كلهن فضليات بل هن الأقل، ولا أدري ما الحل فهذا أمرٌ تراكمي تعودته الأجيال جيلاً

(1) سيد قطب، الظلال، م5، ص2860.

بعد جيل، فليس من المعقول مطالبة النساء للقرار في البيوت لكنني أطالب بالوقار والاتصاف بالحلم والرزانة في داخل البيت وخارجه.

فكلنا يعلم الدور المهم للمرأة في المجتمع وأنها ساهمت بدرو كبير في تطويره وتحضره من حيث نشر الثقافة والعلم والتربية وزيادة الوعي بين بنات جنسها، ففي هذا الزمن المفتوح المتطور من جميع النواحي من حيث الوسائل والغايات والآليات أصبح من الصعب فيه الإغلاق على شيء فكيف إن كان إنساناً له حق وصوت يريد أن يوصله لكل أرجاء العالم؟ فالرجل يخرج ويتعلم ويتعرف ويجرب ويكسب خبرة في الحياة ولابد للمرأة من أن تجاري الرجل- المستعد لأخذ حقها وطمس شخصيتها تحت جناحه- وتشاركه في هذا الانفتاح لتحفظ حقها كإنسانة دون أن يتهمها أحد بالرجعية والتخلف وقلة الوعي خاصة أمام تطور المرأة الغربية وانفتاحها على كل مجالات الحياة والأصعدة، فالتكافؤ الحضاري والعلمي والمظهري مهم جداً في العلاقات الخاصة والعامة على مستوى العالم، وعلى المرأة أن تثبت جدارتها أمام نساء الغرب بأنها صاحبة رسالة ووجود وكيان حقه محفوظ بدين الإسلام في المجتمع العربي أو الشرقي، كذلك فإن هذا التكافؤ يحقق التوازن في العلاقات بين الرجل والمرأة بشكل عام وبين الأزواج بشكل خاص لأنه يحد من الفجوة الثقافية والعلمية بما لا يؤثر على مستقبل الأسرة، وإلا عجزت المرأة عن تربية أبنائها وفق متطلبات العصر وتوخي الحذر في هذه التنشأة ولخرج الأطفال إلى مجتمع يصدمون بواقعه فيحدث الخلل، فلكي تكون المرأة قوية كما قوَّاها الإسلام لابد لها من التعلم لأننا في زمن العلم، ولابد لها من تأدية دورها في المجتمع وزيادة الوعي والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية بما يزيد من تجربتها وخبرتها في الحياة ويحدث التوازن بين أفراد المجتمع رجالاً ونساءً بوجه عام، دون أن ننسى دورها في المجال الدعوي على مستوى العالم وكم من خير حصل بسبب قيام المرأة بهذا الدور، ودورها في التقليل من الاختلاط بعملها

في مجالات تخص المرأة كالطب والتعليم وغيرها فلا مجال للانغلاق في زمن الانفتاح، فهنـــاك رسالة في هذه الحياة لابد للرجل والمرأة أن يؤدوها تتطلب الخروج والتعلم والسفر وغيرها.

وكل ذلك مدعاة للاختلاط بين الرجال والنساء، وللمحافظة على شرعية هـــذا اللقـــاء وعـــدم عودته بالضرر على الأفراد والمجتمع يجب على الرجل أن يلتزم بأدب الإسلام وأخلاقـــه مـــن غض البصر وحفظ الفرج وعدم اختراق الحواجز بينه وبين النساء، ويجـــب علـــى المـــرأة أن تحتشم بلباسها وتجعل الحياء صفةً ملازمةً لها دون تبرجٍ أو تزينٍ أو تبخترٍ في مشيتها وصوتها كي لا تفتن الرجل وتغريه لارتكاب محرم ما، ويجب عليهما ألّا يفتحا مجالاً للحوار إلّا على قدر الضرورة، في هذه الحالة تحفظ النفس البشرية من زلّاتها وتصان بالعفاف والقناعة بما قـــسم الله لكل شخص دون أن ترنو نفسه إلى ما هو محرم.

أما ما يحدث الآن من فساد بسبب الاختلاط فهو بسبب ترك الواجب من كلا الطرفين وعـــدم الالتزام بالقواعد والشروط، كخروج المرأة متبرجة كاشفة لجسدها متبخترة في مشيتها خاضـــعة في صوتها مما يؤدي إلى فساد قلوب وعقول الرجال، فالرجال والنساء هم المسؤولون عن الحـــد من خطر الاختلاط على الرغم من وقوع الأثر النفسي غالباً، لكنه على الأقل يحميهم من الوقوع بالسلوكيات الخاطئة.

والقرآن الكريم راعى هذا الجانب في نفسية الإنسان، وأنه قد يتسرب لهـــذه النفـــسية بعـــض شوائب النزوات والرغبات حتى لو كان الإنسان من أشرف الخلق وأتقاهم، فهذا هو يحدثنا عـــن حثه للابتعاد عن جو الاختلاط لكي لا تحصل آثاره على النفس فيقول الله تبارك وتعالى:] وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ ´ µ ¶ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ Z الأحـزاب: ٥٣، ثـم يقول:] إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا Z الأحزاب: ٥٤، وهذا الخطاب كان

للصحابة -رضي الله عنهم- وزوجات النبي r وهنّ أمهات المؤمنين جميعاً وأشرف الخلق وأكرمهم، وليس من المعقول منهم أن تزوغ نفس أحد منهم، لكن لأن الله تعالى خلقهم بطبيعة متقلبة تحب شهواتها وهو الأعلم بما خلق، وضع من القواعد ما يأمن زوغان النفس وانقلابها كي يحفظ الإنسان من الوقوع فيما يغضبه عز وجل ويهلك صاحبه، فما بالك بغيرهم من الناس في زمن كثرت فيه المعاصي وهانت حرمات الله على كثير من الخلق، وبدت فيه المفاتن والمغريات بشتى الصور، فهم أولى بالحرص على ما خاطب الله تعالى به العباد، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يلائم كل زمن وعصر.

يقول المفسرون في هذه الآية كالآلوسي: "] أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ Z أي أكثر تطهراً من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة".[(1)]

ويقول الرازي: "وقوله:] ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ Z يعني العين روزنة القلب، فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب. أما إن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر".[(2)]

أما سيد قطب فيقول: " فلا يقل أحد غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب، وأعف للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك.. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين.

---

(1) الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1(1422-2001)، م8، ص248.

(2) الرازي، التفسير الكبير،م9، ص180.

فالقول لله سبحانه وكل قول آخر هراء، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد!

والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، فالبلاد التي بلغ الاختلاط الحر فيها أقصاه أظهر في هذا وأقطع من كل دليل. (وأمريكا أول هذه البلاد التي آتى الاختلاط فيها أبشع الثمار)"[1].

لن يفلح المؤمنون إذاً إلا إذا أطاعوا الله، لأنه هو من خلق الخلق وفطرهم، وجبل فيهم الشهوات، وهو كذلك الأعلم بما ينظمها ويوجهها في نفس الإنسان ويكبح جماحها إذا لحّت على صاحبها، ولا مجال لذلك إلا تقوى الله عز وجل والتزام نهجه الكريم.

المطلب الرابع: أثر الغيرة

الغيرة غريزة أوجدها الله تعالى في الرجل والمرأة كباقي الغرائز الفطرية، فهي شعور طبيعي عند الإنسان كالحب والكره والفرح والألم وغيرها من المشاعر، ولا تعد مرضاً أو انحرافاً نفسياً نتهم به الرجل أو المرأة إلا إذا زادت عن الحد الطبيعي ووصلت لدرجة التشكيك والتخوين وانعدام الثقة بينهما، ومعنى ذلك أن سلوك الغيرة يختلف من شخص لآخر حسب طبيعة قابليته وتختلف باختلاف مسبباتها، وتبعاً لذلك يختلف وصفها مدحاً أو ذماً، فهناك الغيرة المحمودة وهناك الغيرة المذمومة.

وذكر علماء الاجتماع أن الغيرة حالة طبيعية موجودة عند بني البشر وأنها سلوك مهم لتطور العلاقات الزوجية، فهي تعتبر وسيلة دفاعية عن الشريك وحماية لعلاقة الحب بين الزوجين وفحص حالتها من فترة إلى أخرى، إضافةً إلى أنها تساعد على بناء الثقة ومساعدة الأزواج للبقاء مخلصين لبعضهما لأن هناك من يتفقد وضع الشريك وحالته الشعورية دائماً.[2]

---

(1) سيد قطب، الظلال،م5، ص2878.

(2) مجتمع ومرأة، maktoob.com 3arb، بتصرف.

فليست الغيرة أمراً سيئاً كما هو شائع بين الناس، بل لها جوانب إيجابية متعددة كما ذُكِر آنفاً، هذا إذا كانت بدرجة معتدلة ولها أسباب منطقية.

ومن هذه الأسباب الحب الشديد بين الزوجين، فمن يحب فإنه يدافع عن حبيبه بشتى الطـــرق والوسائل لكي يحافظ عليه وعلى علاقة الحب بينهما دون أن يتدخل طرف خـــارجي فـــي هـــذه العلاقة ويفسدها.

ومنها كذلك فطرة الإنسان التي جبلت على حب التملك والتفرد بالشيء، والشريك مـــن أكثـــر الأمور التي يسعى الإنسان لامتلاكها، ليحظى بالاهتمام منه لوحده دون أن يشاركه أحد في هـــذا الاهتمام.

ومنه شعور الإنسان بوجود نقص ما لديه، سواءً كان نقصاً داخلياً كضعف الثقة بـــالنفس، أم نقصاً خارجياً كقلة الجمال، هنا يشعر الإنسان أنه في حالة دائمة من الـــشك بمـــشاعر الـــشريك تجاهه، وأنه لن يملأ عليه عينه وقلبه لأن فيه نقصاً ما، وهذا يحتاج من الإنسان إلى خطوات في معالجة هذا الشعور وتعزيز الثقة بالنفس والاقتناع بما أعطاه الله وقسم له من المظهر والجوهر.

والغيرة سلوك مشترك بين الرجل والمرأة له أشكاله وأسبابه وتأثيراته، وقد انطبع في الأذهان بالوضع العام أن الغيرة سلوك أنثوي امتازت به المرأة على نظيرهـــا الرجـــل ويعتبـــر ســـلوكاً ملازماً لها، لكن الغيرة في الحقيقة تصدر من الرجال كما تصدر من النساء لكنهـــا فـــي المـــرأة أظهر وفي الرجل أخفى، لأن المرأة عندما تغار فإن ذلك يبدو عليها حتى لو حاولت جاهـــدةً ألا تبديه، أما الرجل فيستطيع أن يكتم غيرته إلى حد ما وعدم التصريح بذلك إلا في وقت الحاجـــة، والسبب في ذلك أن الغيرة سلوك يصدر بسبب حب وحاجة واتباع للمحبوب، وبما أن كتـــاب الله تعالى أشار إلـــى أن:] ! " # $ Z النـساء: ٣٤، وإلـــى أن:] n o

p Z| البقرة: ٢٢٨، فإن المرأة تعلم أنها تابعة للرجل وأنها بحاجة له ولا مشكلة لديها في إبـــداء مشاعر الحب التي تكنها له، وبما أنها اعتادت على إبداء المشاعر دون تحرز فإنها لـــن تتـــوانى عن إبداء غيرتها للطرف المقابل وهو الرجل، فهي لن تفقد السيطرة إذا ما عرف الرجـــل أنهـــا بحاجة إليه أو أنها تابعة له لأنها صريحة في مشاعرها اتجاهه منذ البداية وهـــو طبعهـــا الـــذي اعتادت هي والرجل عليه.

أما الرجل فعلى العكس من ذلك، فإنه يتحرز من أن يعترف بحبه أو بحاجته لأحد خـــصوصاً المرأة، لأن ذلك باعتقاده يُفقِدُه جزءاً من نظرته لنفسه ونظرة الآخرين له وهي السيطرة والسيادة والبعد عن الضعف العاطفي، ولأن الغيرة تعني الشعور بالضعف أمام الطرف الآخر فإن الرجل يتجنب الإفصاح عنها لكي لا تشعر المرأة أنها مستحوذة على مشاعره وكيانه مما دفعه للغيـــرة فتستخدم ذلك لصالحها باعتبارها عرفت نقطة ضعف لديه، هذا ما يعتقده الرجل لكنه غفل عمـــا تخلفه مشاعر الغيرة الطبيعية في نفس المرأة من أثر.

فالغيرة إذاً تصدر من الرجل والمرأة على حد سواء، لكن تظهر علاماتها عند المرأة وتخفـــى عند الرجل، وهذا يعني أن هناك فروقاً بين غيرة الرجل وغيرة المرأة فـــي الدرجـــة والكيفيـــة والأثر المترتب عليها.

فمن حيث الدرجة فإن المرأة عندما تغار فإن غيرتها تصل لدرجة عاليـــة تـــصل إلـــى حـــد الاحتراق، أما الرجل عندما يغار فإن درجة غيرته تصل غالباً من عادية إلى متوسطة، أمـــا إن وصلت غيرته لدرجة عالية فإنها تخرج من حدود الغيرة إلى حدود الشك والتخوين.

ووصول درجة الغيرة عند المرأة إلى مستوى عالٍ يعود إلى عدة أمـــور منهـــا: أن المـــرأة أضعف من الرجل من جهة العاطفة والتحكم بها، فهي لا تستطيع ضبط نفسها في حالة شعورها السيء لانها سريعة الانفعال ولأنها كثيرة التقلبات المزاجية بحيـــث لا تـــستطيع تحديـــد بـــؤرة

المشكلة والتركيز عليها فتأخذها الأفكار وتشتتها فتدمج أكثر من مشكلة في وقت واحد ويزداد الأمر تعقيداً، وهذا بدوره يضاعف حجم النزاع والمشاعر السلبية.

أما الرجل ففي حالة غيرته على المرأة فإنه غالباً ما يتحكم بأعصابه -لما أشرت إليه سابقاً من أنه لا يرغب بأن يظهر ضعيفاً- ولأنه يحاول تحكيم عقله واحتواء المرأة واستيعاب طريقة تفكيرها واتجاه عواطفها وهذا بسبب نظرته لنفسه من أنه عقلاني وأن المرأة تهتم بأصغر الأمور أما هو فلا، ولأن الرجل قليل التقلبات العصبية والعاطفية فغالباً ما يسير على منوال واحد من المزاج لمدة طويلة عكس المرأة التي تمر بكثير من الاضطرابات الفسيولوجية التي تؤثر على الناحية السيكولوجية فيها، مما يجعلها سريعة الانفعال والاندفاع في المشاعر والسلوك والشحنات العاطفية، لكن الرجل يتمتع بالشجاعة الوجدانية –كما أشرت سابقاً- وهي صرف شحنات عاطفية بقدر مناسب ووقت مناسب وكيفية مناسبة.

وثاني هذه الأمور أن المرأة تعلم من قرارة نفسها أنه لا قيد على الرجل المتزوج من علاقة بامرأة أخرى لأنه يباح له الزواج بأكثر من واحدة، وهذا يعطي المرأة شعوراً شبه ملازم لها أن الرجل في أي لحظة مستعد لأن يتخلى عنها وينصرف لأخرى إن أعجبه حسنها وجمالها أو أي صفة محببة للرجل فيها، فمهما بلغ الحب بين الزوجين إلا أن ثقة المرأة بنفسها وبالرجل في هذا الجانب يعتريها الضعف غالباً خاصةً إن لم تكن المرأة على قدر كبير من الجمال أو كانت كذلك لكن مع مرور الزمن قل هذا القدر، لأنها تعتقد أن الجمال هو سر انجذاب الرجل للمرأة وتمسكه بها، وهذه نظرة خاطئة لأن الرجل لا يهتم بالأمور الحسية فقط في المرأة إنما تهمه الأمور المعنوية كذلك كالفطنة وسعة الصدر وتدبير الأمور وغيرها، ولا يخلو من المشاعر الصادقة اتجاه زوجته فهو يحب كما تحب ويتمسك بها كما هي تفعل لكنه لا يظهر لها ذلك كثيراً، وفي هذه الحالة تبقى غيرة المرأة متأججة داخلها فإذا ما لاح لها ما يدفعها للغيرة على زوجها فإنها

تشتعل غضباً لأنها مهيأة لأن تغار -وأنا أقصد هذا التعبير لأن هذا فعلاً ما يحدث لها فهي تشعر بنار حارقة في صدرها إذا شعرت بالغيرة.

ولا ألوم المرأة في ذلك لأن الرجل هو من سبب لها هذا القلق بإشعارها أنه في أي لحظة مستعد لأن يتوجه لغيرها إن ملّ الحياة معها، هذا بشكل عام، أما الرجل فثقته بنفسه في هذا الجانب أكبر من المرأة لأنه يعلم أن زوجته له وحده ما دامت زوجةً له، وأن المرأة أكثر إخلاصاً من الرجل وشهوتها تجاه الرجال أقل من شهوة الرجال للنساء، فشهوته تجعله قليل السيطرة على نفسه وعلى رغباته، خاصة في هذا الوقت الذي غدا فيه التبرج والتكشف من أهون الأمور المشاهدة في يومنا وما يتبع ذلك من إغراء وفتن لا تقتصر على النظر بل أصبحت الفتاة هي من يسعى لجذب الرجل والتحدث معه وبناء العلاقات.

يقول الأستاذ سمير عبده: "فالمرأة تشعر في صميم قلبها أن جمالها بالغاً ما بلغ من السطوة لا يستطيع الاحتفاظ بالرجل، وأنه قد يفلت منها حتى لو كان زوجاً لها وقد انجبت له طفلاً وبذلت في سبيل راحته وبيته صفوة جهودها، فهذا الشعور هو الذي يفسد في بعض الأحيان خلق المرأة ويجعلها شديدة الغيرة كثيرة الوساوس والشكوك، تسرف في التبرج وتبالغ بالاهتمام بمظهرها لتوقع الرجل في فخ اللذة التي يهواها والتي يمكن أن تجذبه وتؤدي للاحتفاظ به".(1)

لكني هنا أشعر بتناقض الكاتب لأنه جعل شعور المرأة بأن الجمال مهما بلغ فلن تتمكن من الاحتفاظ بالرجل دافعاً لأن تهتم بنفسها ومظهرها كي تحتفظ بالرجل، لكن أوضح كلامه بأن المرأة تعلم أن جمالها قد لا يبقي على الرجل في حوزتها بسبب تعرضه لظروف متعددة تجعله يفكر في امرأة أخرى لا يقتصر موضوعها على الجمال فقط إنما يتعداه لأمور أخرى منها إنساني ومنها شرعي ومنها فكري، لكنها تسعى للاهتمام بمظهرها لأنه السلاح الوحيد لديها أمام

(1) سمير عبده، العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة، ص50.

الرجل فلا حيلة لها في هذا الجانب إلا إغراء الرجل والاهتمام به وإسعاده كي تحتفظ به داخل حدودها.

أما من حيث طريقة الغيرة عند الرجل والمرأة فإنها مختلفة بعض الشيء، فمعالم الغيرة عند المرأة ظاهرة وواضحة أما عند الرجل خفية وغامضة، فإذا ما غارت المرأة فإنها تبدي غيرتها على شكل حالة من الثوران قد يصحبها صراخ وبكاء، إضافة إلى التحدث بكل ما يعتمل داخل صدرها مما يزيد من نسبة التفوه بما قد يجرح الرجل ويغضبه، فالإنسان في حالة الغضب لا يعي كثيراً مما يقول فيزداد حجم الخصام، أما الرجل إذا غار فإنه يكتم غيرته ويعمد للصمت والانطفاء، لأنه كما قلت من قبل يعتقد أن إبداء الغيرة من معالم الضعف لديه، لكن لا يعني ذلك أن هذه الطريقة هي المتبعة دائماً لدى الرجل أو المرأة لكنها الطريقة الغالبة على سلوكهما، وإلا فإن هناك أوقاتاً تعمد المرأة فيها للصمت إذا لم يكن الأمر جديراً بالاهتمام ولا ترغب أن تظهر أمام الرجل بأنها محدودة التفكير، ويعمد الرجل للغضب والثوران إذا زاد الأمر عن حد الاحتمال.

وأنواع الغيرة لدى الرجل والمرأة نوعان: الأول محبب للنفس ومحمود، والثاني منفر ومدمر للعلاقات ومذموم، فالغيرة المحمودة تؤدي إلى أثر إيجابي والمذمومة تؤدي إلى أثر سلبي على نفسية الزوجين.

والغيرة المحببة للنفس هي الغيرة المعتدلة والتي لها سبب منطقي وذو أهمية، أما الغيرة المنفرة للنفس فهي التي زادت عن الحد الطبيعي وليس لها سبب ذو أهمية أو أي اعتبار.

أما أثر الغيرة المحمودة على نفسية الزوجين فهو أثر إيجابي لأنه يعمل على توثيق العلاقة الزوجية من خلال زيادة الحب وبث الحرارة اللازمة لتجديد المشاعر بينهما، فعندما يغار كل منهما على الآخر فإنه يثبت لكل طرف الحب الشديد للآخر وعدم السماح لغيره بمشاركته هذا

الحب وهذه العلاقة المقدسة، إضافة إلى أن الرجل أو المرأة يشعر بقيمته وأهميته عند شريكه الآخر وإلا لما غار عليه، وهذا بدوره يوثق العلاقة بين الزوجين.

كذلك فإن الغيرة المعتدلة تريح النفس وتطفئ اشتعالها بما تسببه من زيادة الثقة بين الزوجين، لأنه في موقف الغيرة سواء الرجل أو المرأة فإن الذي يُغار عليه سيعمد لتبرير الموقف بكل المؤكدات التي تنفي أي شبهة عنه وتثبت صدقه وسيعمد للتعبير عن مشاعره اتجاه شريكه وكيف حاز على قلبه وعقله دون أن يشاركه أحد في ذلك مما يزيد الثقة بينهما من ناحية السلوك والمشاعر وطرد الظنون وهذا كفيل باستقرار النفوس وإراحتها وشعورها بالأمان مع شريك الحياة.

كما وتؤدي الغيرة المحمودة إلى إشباع غريزة موجودة في الجنس البشري وهي حب لفت الانتباه والحظوة بالاهتمام، ففي بعض الأوقات تكون الغيرة بين الزوجين مفتعلة بحيث يسعى الرجل لإثارة غيرة زوجته عليه وتسعى هي كذلك لإثارة غيرته عليها لكي يلفت كل منهما انتباه صاحبه إليه ويحظى بالاهتمام وتحقيق رغبة من رغبات النفس التي تساعد على الاستقرار والشعور بالسعادة النفسية.

ومن آثار الغيرة كسر حاجز الملل والرتابة في العلاقة الزوجية، لأن سلوك الغيرة من وقت لآخر يجدد المشاعر والأجواء التي يعيشها الزوجين بما فيها من خلاف ومنازعة لطيفة ثم اتفاق ووفاق، فهذه مشاعر مختلفة تنعش العلاقة الزوجية بدل السير على منوال واحد فيها يؤدي للملل والبحث عن أجواء جديدة خارج حدود هذه العلاقة وما لهذا الأمر من أثر سيء عليها.

أما الآثار السلبية الناتجة عن الغيرة على نفسية الزوجين فهي آثار ناتجة عن الغيرة العمياء والزائدة عن الحد الطبيعي كماً ونوعاً لأنه يؤدي إلى فصم عرى المحبة والثقة بين الزوجين، فهذا النوع من الغيرة يتعداها إلى درجة الشك والتخوين، فالزوج عندما يغار على زوجه بشكل

زائد فذلك يعني أنه لا يثق بها ويشك في أمرها وفي تصرفاتها، وقد تصل درجة الشك لديه إلى أن يتهمها بالخيانة، وكذلك يقال للزوجة، فليس هناك مبرر لهذه الغيرة الزائدة إلا وقوع الشك في القلب وتمكنه منه، لكن لهذا السلوك أثر سلبي كبير على نفسية الرجل أو المرأة لأنه باعتقادي يؤدي إلى حدوث الاضطرابات النفسية من قلق واكتئاب وبالتالي الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس، فكل منهما يعتقد أن شريكه انصرف وتخلى عنه للاهتمام بغيره لأنه لم يعد قادراً على تلبية احتياجاته، أو لأنه لم يعد يلائم شخصيته ونفسيته.

وكما أشار الدكتور عادل صادق أن مشاعر الغيرة إذا أطلق لها العنان فإنها تتصاعد وتتضخم حتى تملأ العقل وبالتالي التحكم في السلوكيات الصادرة عن الشخص، وهي تهز النفس وتفسد الرؤية وتؤذي الأعصاب وترهق الجسد وتشل التفكير، وهذا الشور بالنقص يتولد لدى الرجل والمرأة الذي سببه الغيرة بسبب إثارتها لمشاعر سلبية كالدونية وعدم القيمة وأن الشخص لا يستحق الحب والاهتمام، فتبقى مشاعر لوم الذات والهجوم عليها، وهذه هي جذور الشعور بالنقص.[(1)]

وإذا لاحظنا أن الغيرة تعمل على تحطيم جوانب الشخصية النفسية للفرد لأنها تجعله في حالة من الخوف والشعور بعدم الأمان لوجود ما يهدده ويهز صورته أمام نفسه وأمام الآخرين، والشعور بالخطر من أصعب المشاعر التي يعيشها الإنسان وتسيطر عليه.

والأثر السلبي الأكبر للغيرة هي حالة الشعور بالغضب وعدم السيطرة على النفس، مما يؤدي إلى وقوع كثير من المشكلات بسب سوء التصرف، وتؤدي هذه المنازعات في لحظة الغضب إلى وقوع الطلاق وهدم البيت وتقويض مشاعر الألفة والمودة بين الزوجين كل ذلك بسبب تأجج مشاعر الغيرة عند أحد الطرفين أو كليهما.

---

(1) صادق، عادل، الغيرة والخيانة، دار الشروق- القاهرة، ط1(1413-1993)، ص23، بتصرف.

إضافةً إلى ذلك تؤدي الغيرة إلى إشعال مشاعر الكراهية والحسد بين الناس، بحيث تتحول هذه المشاعر السلبية إلى عقد نفسية مَرَضِيَّة تحتاج لعلاج وإلا سيطرت على صاحبها، فالمرض النفسي عندما يتشكل عند الإنسان فإنه لا يكون نتيجة حالة شعورية معينة بل يتكون نتيجة حالات شعورية سلبية متراكمة تخلخل صورة الإنسان عن نفسه مما يؤدي للإصابة بالأمراض النفسية على صورها المعروفة.

ولابد من الإشارة إلى أن أثر الغيرة السلبي على النفسية يتعداها لآثار خطيرة على الجسد، فقد أكدت الدراسات إلى الارتباط الوثيق بين اضطراب النفسية وإصابة الجسد بالأمراض الخطيرة كالسرطان وتصلب الشرايين، وكان ضمن هذه الاضطرابات النفسية حالة الشعور بالغيرة الزائدة.

"ففي دراستين أجراهما الدكتور يسري عبد المحسن أستاذ الطب النفسي والدكتور الحسيني الجميل أستاذ أمراض القلب والباطنية، جاء فيهما أن غيرة الزوجة على زوجها تسبب سرطان الرحم والثدي وتصلب الشرايين لأن هناك علاقة بين الاكتئاب الذي يصيب المرأة في الضغوط النفسية التي تتعرض لها وبين إصابتها بالأمراض الخطيرة، لأن المرأة مخلوق رقيق وحساس ومن السهل أن تفترسه هذه الأمراض، ولأن الحالة النفسية السيئة للمرأة تدمر جهازها المناعي وتجعلها عرضة للإصابة بتلك الأمراض.[(1)]

أما نظرة القرآن لهذا الأمر وكيفية التعامل معه فقد ورد ذكر الغيرة في القرآن الكريم في سورة التحريم في قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , . · . / Z 0 التحريم: ١.

---

(1) Majdah.maktoob.com ، بتصرف.

وجاءت السنة النبوية بوصفها مفصلة لما جاء في القرآن الكريم وبينت أبعاد هذا الجانب في حياة الرسول خاصة لكونه قدوة الناس أجمعين، فقد كان للرسول عدة زوجات ومنهن السيدة عائشة رضي الله عنها التي تعتبر تجسيداً للأنثى بكل خصائصها، فقد كانت تغار على النبي r بصورة كبيرة بسبب حبها الشديد له، وبسبب وجود نظيرات لها في حياته r.

" فالغيرة في طبائع النساء ألوان، فهي تغار على قلب الرجل الذي تحبه لو شغلته الذكرى ولم تشغله المودة الحاضرة، لأنها تعلم من هذا أنها لم تشغل قلبه كله، وتغار المرأة من المرأة الجميلة وإن لم تنافسها على قلب رجل تحبه، وتغار من شريكتها في رجلها كائناً ما كان حظها من الجمال، وتغار من كل مزية غير الجمال ما كان فيها سبيل إلى الحظوة في القلب الذي تريده لها، ولا تطيق المزاحمة عليه وجميع هذه الألوان ماثلة في سيرة السيدة عائشة كما روتها هي، ورواها غيرها ما من فارق بينها وبين سائر النساء إلا الأدب الذي ينبغي لها، والحق النبوي الذي هي جاهدة جهدها أن توفره وترعاه".(1)

ويقول العقاد كذلك: "السيدة عائشة مثل من أمثلة الأنوثة الخالدة، إنك تقرأ من أخبارها ما تقرأ، فلا تزال تقول بعد كل خبر: هذه هي الأنثى الخالدة في كل سمة من سماتها، هذه هي الأنثى في غيرتها، وهذه هي الأنثى الخالدة في دلالها، وهذه هي الأنثى الخالدة في كل ما عرفت به الأنثى من حب للزينة، وحب التدليل، والتصغير وحب التطلع، وحب المكايدة والمناوشة، والتعريض بالقول، وهي قادرة على التصريح".(2)

---

(1) حجازي، أحمد، أروع وأجمل وأحلى ما قيل في المرأة والنساء، دار اليوسف- بيروت، ط(2003-2004)، ص83.

(2) العقاد، عباس محمود، الصديقة بنت الصديق، نهضة مصر للطباعة- القاهرة، ط7(2008)، ص22-23.

لذلك حتى الآية القرآنية الواردة في هذا الموضوع نزلت بسبب حادثة وقعت مع عائشة وزوجات النبي r -رضي الله عنهن- حسب ما ذكر المفسرون في تفاسيرهم مع اختلاف الروايات والأسباب التي قرروها، لكنها كلها تصب في موضوع غيرة النساء.

فمن هذه الروايات التي ذكرها المفسرون، أن النبي r تعود أن يشرب العسل عند زينب بنت جحش -رضي الله عنها- فغارت من ذلك السيدة عائشة، فتآمرت مع نسائه الأخريات لمنع ذلك بأن يشعرنه بوجود رائحة كريهة بسبب العسل الذي شربه وأن نحله جرست العرفط وهو نبات له رائحة كريهة -أي أن النحل أنتج العسل من رحيق هذا النبات- فقام النبي r بتحريمه على نفسه لأنه كان يكره الرائحة الكريهة.

وعلى كل الروايات التي وردت، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأنه لم يرتكب خطأً ما، وأن كل ما حدث هو بسبب غيرة زوجاته من بعضهن لا أكثر، ولا يجب عليه أن يحرم ما أحل الله تعالى له ليرضيهن، إنما يكون إرضاؤهن بالتراحم والمراعاة لنفسياتهن مما يجدن من ألم الغيرة في نفوسهن بالحسنى.

فانظر إلى حنان الرسول r ورقته في تعامله مع المرأة الغيور، كيف حرّم الحلال على نفسه ليكسب رضاها ويحسن عشرته معها. وكان كذلك عليه الصلاة والسلام، يدلل نساءه ويبوح لهن بمشاعر الحب والألفة لهن، كي يشعرن بالراحة والطمأنينة النفسية من أنهن ذوات مكانة وقيمة في حياته- r .

وهنا على الرجال أن يتعلموا كيف يتعاملون مع المرأة الغيور، والتأكد من أنها حالة شعورية طبيعية لدى المرأة سببه حبها الشديد لزوجها، وهي سلوك مبرر من طبيعتها التي جبلت عليها بكونها شخص دفاعي يريد الحفاظ على كل ما يملكه، ولا يسمح لأحد بأن يخترق عليه حدوده التي صنعها لنفسه، وبالتالي على الرجل أن يعزز شعور المرأة ويبوح لها بحبه لها، وأن يقوم

بتصرفات تثبت لها ذلك، وأن يظهر غيرته عليها كما هي تفعل كي تزيد ثقتها بحبه لها دون أن يعتبر ذلك ضعفاً بحق الرجل، لأن المرأة لا تنظر هذه النظرة غالباً عندما يغار زوجها عليها، لأن مشاعر السعادة في تلك اللحظة تملي عليها شعوراً خاصاً يجعلها لا تلتفت فيه لمثل هذه الأمور، فكل ما يسيطر عليها هو شعورها بأنها ذات قيمة كبيرة عند زوجها وإلا لما غار عليها أو اكترث لأمرها.

وعلى الرجال كذلك ألا يستفزوا شعور الغيرة عند المرأة في حالة الخصام بسلوكهم تصرفات مقصودة لذلك، مثل التغزل بإحدى الجميلات أو النظر لهن أو الحديث عنهن أو مقارنتها بهن، لأن ذلك يثير غضب المرأة ويؤدي إلى سلوك لا تحمد عقباه، بل يؤدي إلى انتكاس في الحالة الشعورية والنفسية لاعتقادها أنها تملأ عين زوجها وقلبه، فهذا من أكبر الأخطاء المنتشرة بين الزوجين وتؤدي إلى تدهور العلاقة بينهما، فليحذر الرجال من ذلك.

المطلب الخامس: أثر النشوز

يعتبر النشوز أحد أهم أجزاء الخلافات الزوجية المستعصية التي تحتاج لعلاج جذري، والخلافات بين الناس بشكل عام تؤثر على النفس البشرية وينعكس أثرها على طبيعة التعامل بينهم، خاصةً الأزواج، حيث إن المرأة الناشز أو الرجل الناشز أعلن كل طرف منهما للآخر عداوةً وبغضاً قد لا يكونان حقيقيين بل مؤقتين، لتحقيق مآرب معينة، أو بسبب حدوث فجوة بين الزوجين على الصعيد المادي أوالمعنوي، أو نتيجةً للمرور ببعض الظروف الصعبة وضغوطات الحياة المتعددة.

على أن الحياة الزوجية والأسرية لابد لها من قوانين يسير عليها أفراد هذه الأسرة للمحافظة على حدود الاحترام والتقدير والمودة بينهم، يتفق عليها الزوجان من بداية حياتهما معاً. على أن

اختراق هذه القوانين وعدم احترامها يجعل ممن فعل ذلك ناشزاً -أي خارجاً- عن حدود النظـــام المعد لهذه الأسرة، وبالتالي إحداث خلل في سير حياتها، ووقوع المشكلات والخصومات.

النشوز في اللغة: العلو والترفع.[(1)]

وفي مفهوم العلاقات الزوجية: هو كراهية أحد الزوجين أو كل منهما لصاحبه وسوء عشرته له.[(2)]

والمرأة الناشز: هي المترفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المتعالية على مـــا أوجب الله تعالى عليها من طاعة الزوج.[(3)]

والرجل الناشز: هو المباعد والمتجافي عـــن زوجتـــه، المترفـــع عـــن صـــحبتها، التـــارك لمضاجعتها، أو المقصر في نفقتها، المشق عليها بالتكاليف.[(4)]

ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع تحليل بعض جوانب نفسية المـــرأة الناشـــز والرجـــل الناشز، أما بالنسبة للمرأة فنشوزها ناتج عن عدة انفعالات مركبة من تكبر وتعالٍ وغرور وتمرد يتمثل بالعصيان، تمارس فيها المرأة هذه الانفعالات على الرجل الذي لا يـــستطيع التـــأقلم مـــع المرأة وهي في هذا الوضع، لأنه أعطي القوامة عليها وقيادة دفة الحيـــاة الزوجيـــة والأســـرية بمعاونتها ومساعدتها له، فمن حقه أن يطاع بالتفاهم والتراضي بينهما، لكن عندما تعلن المـــرأة

---

(1) انظر، ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث- القاهرة، ط1(1324-2003)، م8، ص555.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ص555.
(3) الفرماوي، عبد الحي، الخلافات الزوجية (صورها، أسبابها، علاجهـــا)، دار مـــصر العربيـــة- القـــاهرة، (د.ط)، ص31.
(4) الفرماوي، الخلافات الزوجية، ص91.

عن تمردها على هذه القوامة والتخلي عن مسؤوليتها في معاونة الرجل فإن ذلك يحدث خللاً في توازن علاقتهما الزوجية ويربك الرجل في كيفية التعامل مع زوجته الناشز.(*)

أما الرجل الناشز فيختلف عن المرأة قليلاً في تركيبة انفعالاته التي أدت لنشوزه، فهي مركبة من كره وملل وتذمر من حمل المسؤولية يتمثل بالنفور، فيؤدي إلى التخلي عن المسؤوليات والواجبات المنوطة بالرجل تجاه المرأة أو البيت، هنا تصاب المرأة بالحيرة، إذ كيف لها أن تسيطر على الرجل إذا تسلط عليها وملَّ من معاشرتها إلى درجة بغضها؟.

ومن هذه المقدمة يمكن استخلاص بعض أسباب النشوز عند المرأة أو الرجل، فمن دوافع تكبر المرأة وتعاليها عن طاعة زوجها: أن تكون صاحبة جمال أو مال أو دلال، تغتر بنفسها وتعلن البطر والطغيان، وأنها لاتحتكم إلى الرجل الذي تراه أدنى منزلة منها في ذلك -الجمال والمال وغيره.

أو أن الزوجة نشأت في بيئة سيئة التربية، جعلتها تسيء فهم الحياة الزوجية وما يجب عليها تجاه زوجها من طاعته وتقوى الله في بيته.

وقد يكون من دوافع نشوز المرأة الزوج نفسه، كأن يكون بخيلاً لا يراعي واجباته من النفقة على الزوجة والبيت، والمرأة بطبيعتها تكره الرجل البخيل وتزدريه.

وقد يكون الزوج سيء التربية والمعاملة لأهل بيته مما يدفعهم للاشمئزاز منه ومن تصرفاته الرديئة، أو يكون ضعيف الشخصية مهان الجانب لا يُحسب له حساب، والمرأة بطبيعتها تحب الرجل القوي الأمين وتستخف بالضعيف الذليل.

(*) فعلى الرغم من تقرير القرآن الكريم لكيفية العلاج إلا أن هناك كثيراً من الناس من يجهل منهج القرآن في حل المشكلات وغيرها، أو أن كثيراً منهم من لا يحسن التصرف مع هذه الأساليب خاصة أسلوب الوعظ بسبب تطرفه وقسوته.

ويشير البعض إلى أن نشوز المرأة قد يكون بدافعٍ خارجٍ عن شخصيتها أو شخصية الرجل، مثل وسائل الإعلام التي تعبّئ العقول بالأفكار الضالة في علاقة الرجل بالمرأة، وتملؤها بالتفاهات التي تحرف الفكر والسلوك وتدفع أحد الطرفين للنشوز على شريكه، وقد يكون مصدر هذه التعبئة فئة من الناس تقحم نفسها بين الأزواج والتدخل بما يخلق المتاعب والمشكلات وتحويل البيت إلى جحيم لا يطاق.(1)

أما أسباب نفور الرجل ونشوزه على زوجته فهي: إعراضه عنها بسبب قبحها أو كبر سنها، فينفر منها لعدم توفيرها له ما يسر نظره.(*)

لكن هناك من النساء من غفلت عن أن تهتم بنفسها من حيث مظهرها ونظافتها وطيب رائحتها، فالرجل هنا معذور في نفوره منها، وعلى المرأة أن تتحمل مسؤولية تقصيرها بهذه الناحية.

ومن الدوافع كذلك أن يتزوج الرجل بامرأة أخرى، فيرى معها من أفانين الحياة ومتعتها ما لم يره من الأولى، مما يدفعه لتغيير معاملته معها والإعراض عنها.(*)

وقد تكون الزوجة سيئة الخُلق، قاصرة الفهم، سيئة العشرة، لا تبالي ولاتهتم بما يسعد زوجها، فيؤدي إلى نفوره منها، وقد يكون العكس، أي أن يكون الزوج سيء الخُلق وحادّ الطبع، لا يحسن عشرة النساء،(2) وينشز عنها من تلقاء نفسه دون أن يكون لها يد في ذلك، بل قد

---

(1) انظر، الفرماوي، الخلافات الزوجية، ص38-42.

(*) وهذا ليس مطرداً بين الأزواج، لأن مفصل الحياة الزوجية المستقرة لا يقوم على أساس الجمال وصغر السن فقط، إنما يقوم على أمور أعظم من ذلك كالصلاح وحسن العشرة والخُلق.

(*) وهذا ظلم كبير للزوجة الأولى، لأن الرجل مطالب بالعدل بين نسائه حتى لو مال قلبه إلى أخرى، فالأصل ألا يسيء المعاملة للزوجة الأقل حظاً لديه.

(2) انظر، الفرماوي، الخلافات الزوجية، ص92.

تحرص المرأة على أن تفعل ما يرضيه ولكن من سوء عشرته ينشز عنها، وهذا ظلـــم للمـــرأة وعدم تقوى الله في النساء اللاتي وصّى النبي **r** بحسن عشرتهن.

أما تأثير النشوز على نفسية الرجل والمرأة ففي البداية هناك تأثير مشترك بينهما كما وصفته الآية القرآنية في قوله تعالى:] 8 9 : ; < = >

? A B C D E F H I J K L Z النساء: ٣٤، وقوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . /

1 2 4 5 6 8 9 : ; < = > ?

@ Z النساء: ١٢٨. فالملاحظ أن الذي يسيطر على النفسية هو شعور الخوف، الرجل يخاف من الخطر الذي يتهدد بيته، ويخاف من تكبر المرأة على طاعته وتعاليها عن سلطته، لأن الرجل يحب أن يشعر دائماً بأنه سيد البيت والمرجع فيه، فإذا جاءت المرأة ورفضت هذه السيادة، خاف على مكانته بين أهل بيته، وخاف من عواقب الأمور التي يمكن أن تؤول إليها.

يقول الرازي: " واعلم أن الخوف عبارة عن حال يحصل في القلب عند ظـــن حـــدوث أمـــر مكروه في المستقبل".(1)

ويقول ابن عاشور: " ومعنى «تخافون نشوزهن» تخافون عواقبه السيّئة. فـــالمعنى أنّـــه قـــد حصل النشوز مع قصد العصيان والتصميم عليه لا مطلق المغاضبة أو عدم الامتثال، فإنّ ذلـــك قلّما يخلو عنه حال الزوجين، لأنّ المغاضبة والتعاصي يعرضان للنساء والرجـــال، ويـــزولان،

(1) الرازي، التفسير الكبير، م4، ص71.

وبذلك يبقى معنى الخوف على حقيقته من توقّع حصول ما يضرّ، ويكون الأمر بالوعظ والهجـر والضرب مراتبَ بمقدار الخوف من هذا النشوز والتباسه بالعدوان وسوء النية".(1)

كذلك المرأة تخاف من إعراض الرجل عنها ونفوره منها، لأنها تحب أن تشعر دائمـاً بأنهـا فاتنة له وذات سلطة عليه بما تملكه من أسلحة النساء، فلا أسعد من امرأة تعتقـد أن زوجهـا لا يمكن أن يستغني عنها، ولا أتعس من امرأة أعرض زوجها عنها ونشز عليها.

ونشوز المرأة على الرجل بتكبرها وغرورها يدفعه للنفور منها والإعراض عنها كذلك، بـل قد يؤثر عليه ذلك لدرجة تصل للكره والبغض، لأن الرجل لا يحب أن يعلو على سلطته امـرأة، خاصة وأنه ينظر لها على أنها تحت جناحه وهو القائم عليها، وبالمقابل أن تكون هي سكناً ودفئاً لا خصماً وندًّا، فنشوز المرأة يقوض شعور الحب من قلب الرجل تجاهها، ويشعره بـالقلق فـي كيفية تعامله مع الموقف، وقد يلجأ للطلاق كحل أبدي.

كما يثير نشوز المرأة في نفس الرجل استعداداً للميل إلى امرأة أخرى تـشعره بأنـه الرجـل وهي الأنثى دون أن يتعدى أحدهما على الآخر، فيكون هو سيد البيت وهي الراعية لـه، وهـذا بحد ذاته يعتبر حلاً من الحلول في معالجة نشوز الزوجة، بعد استيفاء كامل الخطوات الـشرعية في معالجة الأمر كما بينه القرآن الكريم، بحيث لا يعود على المرأة الناشـز والمـصرة علـى نشوزها إلا بخسارة قلب زوجها والشعور بالندم على غرورها وتكبرها علـى طاعـة زوجهـا، فعلى النساء أن يتقين الله في أزواجهن وعدم الخروج عن طاعتهم فيما لهن القدرة عليه، دون أن يكلفنَ أنفسهنَّ فوق طاقتها، ودون أن ينسين وجوب الاحترام والتقدير في هذه العلاقة، وأن يكـنَّ كما وصفهنَّ الله تعالى:] 0 1 2 3 4 5 6 Z النساء: ٣٤.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م2، ص43.

والقرآن الكريم منهج حياة، يناسب جميع أصناف الناس وطبائعهم، لأنه كلام الله عز وجل الذي خلق الخلق ويعلم ما يناسبهم في تيسير أمور حياتهم في شتى مجالاتها، وبما أن المنهج الإسلامي حريص كل الحرص على الحفاظ على الأسرة الإسلامية وحمايتها من الانهيار والتصدع، وضع حلولاً وعلاجات بخطوات متدرجة تتناسب مع حجم المشكلة التي تواجه الإنسان، فكان علاجاً احترازياً قبل تفشي المشكلة وتوسعها والوصول بها إلى حد يصعب معه التجاوب، فعالج نشوز المرأة من بدايته، فالمرأة عندما تنشز على زوجها فإنه لا يكون فجأةً، بل يبدأ بسيطاً ثم يأخذ بالتوسع، لذلك أرشد القرآن الكريم إلى خطوات متدرجة تتناسب مع حجم النشوز، كي لا يتسبب بظلم المرأة واستضعافها، إنما جعل الشدة في التعامل مع الأمر قائماً على اختيارها هي، فأمر بالموعظة الحسنة، فإن أبت فقد أختارت الهجر، فإن تعنتت فقد اختارت الضرب، مع التنبيه إلى أن هذا العلاج لا يقصد منه تسليط الرجل على المرأة أو إهانتها أو تعذيبها، إنما الهدف منه رأب الصدع والشرخ الذي حصل بين الأزواج ليحمي أهم مؤسسة في المجتمع الإسلامي، فصلاحه يتوقف على صلاحها.

ولهذه الخطوات في حل مشكلة نشوز المرأة على الرجل آثار كبيرة على نفسية المرأة، فالقرآن شرع علاجاً للمرأة يتناسب مع طبيعتها، فاختار علاجها من خلال العاطفة، لأن المرأة كائن حساس تجاه مشاعرها، فأنسب طريقة لتجاوبها فحص الحالة الشعورية لديها من خلال الكلمة الطيبة والرقيقة، ثم الهجر، ثم الضرب.(*)

أما نشوز الرجل على المرأة، فقد قال تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) ' (* + , - . / 1 2 4 5 6 8 9 : ; < = > ? @ Z النساء: ١٢٨.

(*) وقد تم تحليل نفسية المرأة في هذه المواقف سابقاً عند الحديث عن خصيصة الغرور لديها في مبحث الخصائص النفسية للمرأة في الفصل الأول، وعدم ذكرها هنا لتجنب التكرار والإطالة، ويمكن للقارئ الرجوع لذلك الموضع والتعرف على الحالة الشعورية للمرأة في علاج نشوزها.

يقول صاحب البحر في معنى النشوز والإعراض: "النشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة التي بينهما، وأن يؤذيها بسب أو ضرب مثلاً، والإعراض أن يقلل محادثتها ومؤانستها لطعن في سن أو دمامة، أو شين في خُلُقٍ أو خَلْقْ، أو ملال أو طموح عين إلى أخرى، أو غير ذلك، وهو أخف من النشوز".(1)

أما تأثير نشوز الرجل على نفسية المرأة، فهو تأثير قوي جداً، بسبب عاطفة المرأة الجياشة، فالمرأة حساسة رقيقة المشاعر أكثر من الرجل، لذا فهي الأكثر تأثراً من الناحية النفسية، حيث إن الرجل عندما ينفر من زوجته ويعرض عنها فذلك يعني في نظر المرأة إعلاناً منه للتخلي والاستغناء عنها، والسعي لإيجاد امرأة بديلة عنها تحل مكانها في قلبه، هنا تشعر المرأة بألم نفسي يحطم كثيراً من الجوانب الإيجابية لديها، ترتبط بالنفس والفكر والسلوك، وتصاب بحالة من الحزن واليأس والحيرة لدرجة قد تصل للاكتئاب، وينعكس ذلك على سلوكها خاصة في حدود البيت والأسرة، لأن المرأة تبحث دائماً عن رجل يحبها ويقدرها، ويشعرها بأنه لا يستطيع الاستغناء عنها، هنا تشعر المرأة بالأمان تجاه الرجل وتشعر بكيانها كأنثى وأهميتها في الحياة الأسرية والاجتماعية، لكن كل ذلك يتحطم داخلها إذا ما ملّ الرجل منها وأعرض عنها خاصة إن كانت تسعى لإرضائه والوقوف عند رغباته، هنا يمكن تخيل حجم الأثر السلبي على نفسية المرأة.

يقول سيد قطب: " ينظم [المنهج الآن] حالة النشوز والإعراض حين يخشى وقوعها من ناحية الزوج، فتهدد أمن المرآة وكرامتها، وأمن الأسرة كلها كذلك. إن القلوب تتقلب، وإن المشاعر تتغير، والإسلام منهج حياة يعالج كل جزئية فيها، ويتعرض لكل ما يعرض لها؛ في نطاق مبادئه واتجاهاته؛ وتصميم المجتمع الذي يرسمه وينشئه وفق هذا التصميم.

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص86.

فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة؛ وأن تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق أو إلـــى الإعــراض الذي يتركها كالمعلقة، لا هي زوجة ولا هي مطلقة، فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجهـــا، أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية. هذا كله إذا رأت هي- بكامــل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها- أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها.

«والصلح خير» فينسم على القلوب التي دبت فيها الجفــوة والجفــاف، نــسمة مــن النــدى والإيناس، والرغبة في إبقاء الصلة الزوجية، والرابطة العائلية".[1]

المطلب السادس: أثر العلاقات الاجتماعية

تعتبر الأسرة البنية الأساسية للمجتمع، وقد حظيت باهتمام كبير في الشريعة الإســلامية مــن ناحية تنظيمها وتقنينها للمحافظة على تكوينها من التصدع والانهيار، ذلك أن الأســرة تحتــوي على أفراد عديدين يختلف التكوين الفكري لكل منهم عن الآخر، فهناك الزوجة الأنثى، وهنــاك الزوج الذكر، وهناك الصغير والكبير، لذا كان لابد من تنظيم العلاقات بينهم حتى تقوم الأســرة بدورها الإيجابي في المجتمع.

على أن هذه الأسرة لا تعيش بمعزل عن الآخرين، لأن الحياة الأسرية لا تقتصر على علاقة الزوج بالزوجة وبالأولاد، بل تتعداها إلى غيرها من العلاقات الخارجية كالعلاقة بالأقارب والأصدقاء، فالإنسان مفطور على حب معاشرة الآخرين وإقامة العلاقات معهم ومد جسور التواصل فيما بينهم، وقد اهتم بهذا الجانب القرآن الكريم وحث الناس على تنمية العلاقات الاجتماعية بين الناس وحث على الإحسان فيها، قال تعالى:] ! " # $ % & '

( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 : ; <

---

(1) سيد قطب، الظلال، م2، ص768.

= > Z النساء: ١، وقال تعالى:] g h i j k l ، n o p

q r s t u v w x y z {

| { ~ أَيْمَنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا © Z النساء: ٣٦، فهنا يوصي الله سبحانه وتعالى باتقائه جل وعلا بالأرحام والإحسان لذي القربى وكافة شرائح المجتمع التي يتعامل معها الفرد، يقول سيد قطب في تفسير الآية الثانية: " ["فهذه الآية بدء جولة في تنظيم حياة المجتمع المسلم؛ وتخليصه من رواسب الجاهلية، وتثبيت الملامح الإسلامية الجديدة، من ناحية التكافل والتعاون، اللتين هما موضع القوة النامية في هذا المجتمع الجديد. وفي هذه السورة أشواط منوعة في التنظيم العائلي، والتنظيم الاجتماعي، فهي تتحدث عن الأسرة وتنظيمها ووسائل صيانتها؛ والروابط التي تشدها وتوثق بناءها، فجاءت هذه الآية تتناول علاقات إنسانية- في المجتمع المسلم - أوسع مدى من علاقات الأسرة؛ ومتصلة بها كذلك، ينبع الشعور بها من المشاعر الودود الطيبة التي تنشأ في جو الأسرة المتحابة؛ حتى تفيض على جوانب الإنسانية الأخرى؛ ويتعلمها الإنسان - أول ما يتعلمها - في جو الأسرة الحاني ومحضنها الرفيق. ومن هناك يتوسع في علاقاته بأسرة الإنسانية كلها؛ بعدما بذرت بذورها في حسه أسرته الخاصة القريبة"].[1]

على أن بناء هذه العلاقات هو أمر جيد ومقبول مادامت في حدودها الطبيعيـــة، وأن يراعـــى فيها حق كل طرف خاصة الزوجين-لأن الدراسة خاصة بهما- حسب قواعد وأولويات يتفقـــان عليها، ويكونان رؤية مشتركة فيما بينهما عن طبيعة هذه العلاقات الخارجيـــة عـــن حـــدودهما كزوج وزوجة مستقلين بأسرة جديدة في المجتمع.

---

(1) سيد قطب، الظلال، م2، ص657-658.

لذا فإن الإسلام وضع قواعد وقوانين تنظم حياة الفرد مع الجماعة والعكس، لكـــي لا يطغـــى أحدهما على الآخر، ولأن عدم تنظيمها يؤدي إلى خلل في تركيب المجتمع وتماسكه بحكم بشرية النفوس التي قد تنفر من أقل الأمور إن لم تكن لصالحها، هذا يعني أن اهتمام الزوجين بعلاقتهما بالآخرين يجب أن تكون محددة وواضحة غير مشوشة، لأن ذلك بالتأكيد سينعكس على العلاقـــة الزوجية ويؤدي إلى حدوث خلل في سير الحياة الأسرية.

فالله سبحانه وتعالى أشار في كتابه لبعض الآداب التي تنظم علاقة الناس ببعضها كأدب الزيارة والاستئذان والأكل عند الآخرين فقال تعالى:] e f g h i j k

l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ © لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ Z الأحزاب: ٥٣، فهذه وإن كانت خاصة بالنبي r إلا أنها تقاس على جميع الناس في تعاملهم، لأن علاقة الناس مع الرسول علاقة بشرية لا علاقة لها بالنبوة كلياً، فهي تعلم الناس أدب اللقاء من الاستئذان وعدم الإحراج بطعام أو إقامة أو غيره، ويقول تعالى:] يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ! "

$ % & ' ( ) * , - . / 0 2 3 4 6 7

8 9 Z النور: ٢٧ - ٢٨، يقول سيد قطب وقد أبدع الكلام ووفاه: " لقد جعل الله البيوت سكناً، يفيء إليها الناس؛ فتسكن أرواحهم؛ وتطمئن نفوسهم؛ ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن

يلقوا عليها الناس، إن القرآن منهاج حياة، فهو يحتفل بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية، ويمنحها هذه العناية، لأنه يعالج الحياة كلياً وجزئياً، لينسق بين أجزائها وبين فكرتها الكلية العليا بهذا العلاج. فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكناً، ويوفر على أهلها الحرج والتأذي بانكشاف العورات... إنها ليست عورات البدن وحدها، إنما تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث، التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد، وهي عورات المشاعر والحالات النفسية، فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء، وكل هذه الدقائق يرعاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع، أدب الاستئذان، ونحن اليوم مسلمون، ولكن حساسيتنا بمثل هذه الدقائق تبلدت وغلظت؛ نطرق إخواننا في أية لحظة في موعد الطعام، فإن لم يقدم لنا الطعام وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً!، ونطرقهم في الليل المتأخر، فإن لم يدعونا إلى المبيت عندهم وجدنا في أنفسنا من ذلك شيئاً!، دون أن نقدر أعذارهم في هذا وذاك، ذلك أننا لا نتأدب بأدب الإسلام ونرى غيرنا ممن لم يعتنقوا الإسلام، يحافظون على تقاليدنا في سلوكهم تشبه ما جاء به ديننا ليكون أدباً لنا في النفس، وتقليداً من تقاليدنا في السلوك".(1)، هكذا ينتظم المجتمع ويتعرف على آداب اللقاء بالآخرين، للحفاظ على جو المحبة والألفة بين الناس وتجنب النفور من إقامة العلاقات معهم.

أما ما يخص الزوج والزوجة فهما بطبيعتهما كائنان مختلفان على كل الأحوال، فلكل واحد خصائصه وصفاته وطباعه التي اعتاد عليها، ولكي يستطيعان العيش معاً كان لابد من التفاهم ليحصل التوافق في حياتهما الزوجية، بناءً على ذلك يستطيع الزوجان العيش لفترة طويلة دون حدوث مشكلات تذكر بينهما، لكن هذا يكون إذا كانا يعيشان بمعزل عن الحياة المحيطة بهما

(1) سيد قطب، الظلال، م4، ص2507-2510.

وهي الحياة الاجتماعية، أما في الواقع فإننا كلنا محاطون بشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تؤثر علينا بشكل أو بآخر، فهناك الأقارب من أهل الزوج وأهل الزوجة، وهناك الأصدقاء وزملاء العمل والجيران إلى غير ذلك.

أما بالنسبة لأهل الزوج وأهل الزوجة، فعلى الزوجين أن يحددا رؤية مشتركة عن طبيعة العلاقة بهم من كل النواحي، مثل حجم التدخل في الزوجين وطبيعة اللقاءات ومواعيد الزيارات ومدتها وعددها وغير ذلك من أمور متصلة بهذا الجانب، وترك ذلك يؤدي إلى وقوع الزوجين في بوتقة الأهل وتدخلهم فيهم لكونهم العلاقة الأقرب لهما، فالسماح بانفتاحية العلاقة بين الأهل والزوجين يترتب عليه عواقب وخيمة تهدد أمن الحياة الزوجية وتعرضها للانهيار.

ذلك أن من المعروف منذ القدم انهماك الآباء والأمهات في توجيه أولادهم منذ الصغر وتربيتهم على ألا يقدموا على أي خطوة دون استشارتهم والحصول على موافقتهم، دون أن يفطن الأهل إلى أن أولادهم نضجوا لدرجة يصبحون قادرين فيها على إدارة شؤون حياتهم الخاصة وهي الحياة الزوجية، فيصرون على تقديم النصائح لابنهم أو ابنتهم بحجة أنهم مازالوا قليلي الخبرة والتجربة في الحياة، فيرون أن النصح هو الحل الوحيد ليتخطى الأبناء العقبات التي تظهر أمامهم، لكن للأسف تكون أغلب هذه النصائح وبالاً على الحياة الزوجية وسعياً لإنهائها تحت ستار الإصلاح.

ذلك أن الآباء والأمهات غالباً ما ينصحون ابنهم أو ابنتهم وفق ما خاضوه من تجارب في حياتهم، وقد لا تخلو هذه الحياة من العقد النفسية والعصبية التي تكونت بسبب المشكلات الكثيرة وتراكمها، ضمن موروثات اعتقادية جاهلية علقت بإذهانهم من قبل، ولا نستغرب وقوع الطلاق بسبب السماح بتدخل الأهل في قضايا الحياة الزوجية دون رغبة الزوجين في وقوعه، لكن بسبب الضغط الموجه من الأهل يعمدون إلى هذا القرار ليتخلصوا من هذا الضغط.

لذا على الزوجين ألا يسمحا بتدخل الأهل فيما يخص طبيعة العلاقة الزوجيـــة وســـيرها، أو العوائق التي تحدث فيها إلا في حالة عجز الزوجين عن حل الأمـــر بينهمـــا، عنـــدها يتخـــذون الإجراء التشريعي في قوله تعالى:] N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d Z النساء: ٣٥، هذا من جهة، ومن جهة أخرى على الزوجين أن يتحفظا على الأمور التي تحدث بينهما وعدم إقحام من هـــب ودب ليدلي برأيه فيها، حتى لو كان على سبيل تفريغ شحنة الغضب والتـــوتر النفـــسي المتولـــد منها، وعليهما أن يحاولا مراراً وتكراراً معالجة الأمور بينهما بروية وتفاهم.

يقول أحد أساتذة علم النفس: "الحكمة أساس السعادة، فيجب أن يكون هناك حكمة فيما نقـــول ولمن نقول، كما لا ينبغي الاستماع لكل ما يُقال أو التأثر بكل ما يُثار من حديث، وهـــذا الأمـــر يتطلب ثقة عالية بالنفس وتعقلًا شديدًا واستعدادًا فطريًا لعدم التأثر بالآخرين، ويجب الوعي بتلـــك الأمور حتى نحصن أنفسنا من التدخل السلبي للآخرين في حياتنا".(1)

وهذا يقال كذلك بالنسبة لطبيعة العلاقة بالأصدقاء، فالإنسان يحب وجود الصديق في حياتـــه لكي يأنس به ويشكوه همه ويحصل على الدعم المعنوي اللازم لمكافحة مصاعب الحياة العامـــة، لكن ذلك لا يبرر للزوج أو الزوجة أن يفشي أسرار الزوجية لصديقه، بسبب عدم معرفة مـــدى صدق النوايا في تدخل الأصدقاء بمشاكل الحياة الزوجية ومن منهم هو الناصح الأمين، ذلـــك أن الأصدقاء منهم الصادق الصدوق ومنهم من هو ليس أهلاً لذلك، فإن أمـــن الـــزوج أو الزوجـــة جانب الصديق ووثق به حق الثقة فلا مانع من استشارته في بعض الأمور التي يمكن البوح بها،

(1) أكاديمية علم النفس- قسم علم النفس الأســـري والزواجـــي، العلاقـــات الاجتماعيـــة..رؤيـــة مـــشتركة، www.acofps.com

أما إن لم يأمن له بثقة عالية فلا يجب عليه البوح له بأي أمر لأن جانب الصداقة لا يخلو من التنافس والغيرة، فلربما دفع ذلك الصديق إلى إيقاع الزوج أو الزوجة بأمور تزيد من حجم المشكلة.

أما أثر طبيعة العلاقة بالأقارب والأصدقاء على نفسية الزوجين، فإنه من المهم جداً للأزواج التعرف على طبائع بعضهم في تعاملهم مع هذه العلاقات بشكل دقيق، ثم الاتفاق على قواعد معينة يسيرون عليها في ارتباطاتهم الاجتماعية وطبيعتها.

فاللقاء بين الزوجين وأهاليهم مهم بشكل أو بآخر، لأنه يعزز شبكة العلاقات ويقويها، فالزوج ملزم ببر والديه والزوجة ملزمة ببر والديها ضمن نطاق زوجها، ويجب على الزوج السؤال عن أرحامه وتفقد أحوالهم وكذا الزوجة مع أرحامها، لكن لا يخلو الأمر من ترتيب هذه العلاقات وتحديد أولوياتها، فلا نتصور حياة زوجية مستقرة مستقلة تقضي معظم أوقاتها في الزيارات والاستقبالات، لأن ذلك سيمنع الزوجين من توفير الوقت الكافي واللازم لهما في التفاهم والتحاور بأمور علاقتهما ومسؤوليتهما تجاه البيت وأفراده، وإدارة شؤون حياتهما بعيداً عن تدخل الآخرين بها، إضافة إلى أنه يعطل أعطاء كل منهما حاجته التي يحتاجها من الآخر سواء كانت حاجة مادية أم معنوية.

فلا مانع من أن يقضي الإنسان وقتاً مع أقاربه وأصدقائه، لكن يجب أن يكون بشكل طبيعي ومحدود، كي لا يؤثر على نفسية الزوج أو الزوجة بشكل سلبي، فإذا شعر أحدهما أن شريكه يجبره على نسق معين من العلاقات لا يرضاه هو، أو إقحامه بها في أوقات أو حالات لا يرغبها، فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى توليد مشاعر الكره والنفور والتوتر النفسي من شريك الحياة ومن أطراف العلاقة الخارجية، وهذا بدوره يضعف علاقة الإنسان بمن حوله لأنه يشعر بأن علاقته بهم أصبحت عبئاً عليه وعلى حياته الزوجية.

فعلى الزوج ألّا يجبر زوجته على زيارة ما أو استقبال أحد ما وهي لا ترغب بذلك بسبب ظرف ما حتى لو كانوا أهله، أو إلزامها بزيارتهم لأوقات طويلة أو تكرر ذلك في فترات قصيرة، لأن الزيارة أو الاستقبال يترتب عليه تعب جسدي وعبء مادي وضياع للأوقات، وكذا يقال للزوجة بأن لا تحرج زوجها بزيارة أهلها أو استقبالهم كما سبق ذكره آنفاً، فكل ذلك يترتب عليه نفور الزوج والزوجة من الأهل واللقاء بهم.

وهنا قضية مهمة يجب التحدث عنها، وهي أن بعض الباحثين(1) أشاروا إلى أن علاقة الزوج بأهل الزوجة أطيب من علاقة الزوجة بأهل الزوج وذلك لعدة أسباب، منها وجود تراكمات فكرية نفسية اجتماعية موروثة، تربت عليها الفتاة وجعلتها تنفر من علاقتها بأهل زوجها ولو داخلياً بعيداً عن المظهر مثل"إحذري الحماة" و"إحذري أخت الزوج" و"إحذري زوجات إخوة الزوج" وغير ذلك من أمور، فعلقت بذهنها هذه الموروثات ووصلت لدرجة العقدة الاجتماعية في حياة الزوجة، لذا فإنها تتعامل مع أهل الزوج بحذر دون فتح العلاقة معهم لكي لا يسلبوها الاستقرار والاستقلال في حياتها مع زوجها، ولا يتدخلوا في أمور حياتهم، وهذا لا تلام عليه الزوجة لأنها نشأت على هذا الفكر، فعلى الزوج أن يراعي ذلك ولا يدخل في نقاشات حادة مع زوجته تخص هذا الموضوع وخلق جو من التوتر يزيد من حجم النفور، وعلى الزوجة أن تكون واعية في هذا الجانب وتتخذ الإجراء الصحيح دون أن تستسلم لما علق بذهنها من مشوشات.

ومن الأسباب وجود نوعية من النساء تخشى الانفتاحية في العلاقات الاجتماعية خارج نطاق الأسرية الضيقة، فهو من طبعها وصفتها الميل للعزلة لتحصل على الهدوء والتأمل بعيداً عن ضجة اللقاء بالآخرين وما يحدث مع ذلك من إرهاق وتعب جسدي ونفسي، تقول الأستاذة نهى سليم: " بعض النساء قد تكون لديهن مشكلات نفسية خاصة تجاه الانفتاح خارج النطاق الضيق

(1) لماذا تكره الزوجة أهل زوجها، www.al-jazerah.com.sa، بتصرف.

للأسرة، وقد يكون هذا الشعور ترعرع معها منذ الطفولة، ففي هذه الحالة - حتماً - سيكون أهل الزوج ضمن الدائرة غير المنفتحة عليها، ليس لأنهم أهل زوجها بل لأن حدود انفتاحها، وآفـاق علاقاتها لم يصل إلى هذا المدى ولكنها في النهاية تتهم بعدم قبول أهل الزوج حتى لو لـم تكـن هناك أي خلافات أو مشكلات بينهم".[1]

وهناك بعض الأخطاء التي يرتكبها الرجل تكون سبباً في نفور زوجته من أهلـه، كتهمـيش الزوجة أمامهم، واهتمامه بهم أكثر منها، هذا يسبب إضرام مشاعر الغيرة لدى الزوجة، خاصـة إذا كان الاهتمام موجهاً للأم أو الأخت، فهي أنثى أولاً وآخراً تحب أن تحظى باهتمـام الرجـل والسيطرة على مشاعره لنفسها دون أن يشاركها أحد في ذلك.

ومن الأخطاء أن يفرض الزوج على زوجته اللقاء المستمر لأهله أو استقبالهم، هذا يؤدي إلى نفورها منهم لأن الإنسان مفطور على كره كل ما يجبر عليه، ومـا يتبـع ذلـك مـن التعـب والتكاليف، أما تحديد أوقات الاستقبال أو الزيارة ومدتها وعددها وطبيعتها، فيختصر كثيراً مـن المشكلات التي قد تحصل بين الزوجين جراء ذلك.

ومما يتصل بذلك أن يكون الخطأ من أهل الزوج نفسهم بفرض نفسهم على الزوجين والإثقال عليهم بالزيارات وتكرارها مراراً، فذلك يؤثر على نفسية الزوجة بـشعورها بعـدم الاسـتقرار والاستقلال بحياتها الزوجية فتنفر منهم، هنا على أهل الزوج أن يتقيدوا بأدب الزيارة من حيـث الاستئذان والسماح لهم أو عدم السماح لهم بالزيارة، مراعين بذلك ظـروف الـزوجين الماديـة والمعنوية ليتفادوا مثل ذلك الأمر.

(1) لماذا تكره الزوجة أهل زوجها، www.al-jazerah.com.sa

قال الله تعالى:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ! " # $ % & ') ((* , - . / 0 2 3 4 6 7 8 9 Z النور: ٢٧ - ٢٨، يقول ابن عاشور:

" وفي ذلك من الآداب أن المرء لا ينبغي أن يكون كلاً على غيره، ولا ينبغي له أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستثقال، وأنه ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين متآنسين وذلك عون على توفر الأخوة الإسلامية. وأما فائدة السلام مع الاستئذان فهي تقوية الألفة المتقررة فلا تقتضي أكثر من تأكد الاستحباب. ومعنى] , - . / 0 Z، أنه أفضل وخير لكم من أن يأذنوا على كراهية، وفي هذا أدب عظيم وهو تعليم الصراحة بالحق دون المواربة ما لم يكن فيه أذى. وتعليم قبول الحق لأنه أطمأن لنفس قابله من تلقي ما لا يدري أهو حق أم مواربة، ولو اعتاد الناس التصارح بالحق بينهم لزالت عنهم ظنون السوء بأنفسهم".(1)

ومن الأسباب أيضاً اختلاف المستوى الفكري أو الاجتماعي للزوجة عن أهل الــزوج، فــإن كانت الزوجة صاحبة فكر وعلم وناشطة في هذا المجال، وكان أهل الزوج على مــستوى قليــل من الوعي والفكر، فإنه سيؤدي إلى حدوث فجوة بينها وبينهم، لأن من اعتاد أن يقضي وقته في التعلم والنشاط الفكري يصعب عليه الانسجام مع غيره ولو كانوا أهله، فما بالك إن كــانوا أهــل الزوج وهي ترى أنها غير مجبرة على إقامة العلاقة معهم، مقارنةً بعلاقتها بأهلها؟

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م8، ص197-200.

وكذا يقال بالنسبة للمستوى الاجتماعي، فإن كانت الزوجة أرفع مستوى من أهل زوجها فإنها ستقع ضحية التكبر والتعالي عليهم، وإن كانت أقل مستوى منهم فإنها ستتكمش على نفسها وتخشى توطيد العلاقة معهم خوفاً من أن تتعرض للإهانة أو ما شابه.(*)

(*) وهذا كله يقال في جانب علاقة الزوج بأهل الزوجة، لكن فصلت الحديث في جانب علاقة الزوجة بأهل الزوج بسبب ما أشرت إليه سابقاً من أن علاقة الزوج بأهل زوجته أطيب، وذلك بسبب عدم قدرة الزوجة على إجبار زوجها على لقاء أهلها، عكس الزوج القادر على أن يجبر زوجته على ذلك، إضافةً إلى أن أهل الزوجة لا يغارون من زوج ابنتهم فيقل جو التوتر والشحناء بينهم وتكون العلاقة معهم أكثر راحة وسلاسة، عكس أهل الزوج الذين يغارون من زوجة ابنهم لأنها حازت على اهتمامه ومشاعره، بعد أن كانوا هم من يحظى بذلك، خاصة الأم والأخت.

المبحث الثالث

أثر سلوكيات الزوجة على الزوج

المطلب الأول: أثر التبرج والتزين

تكاد الزينة من أكثر الأمور صلة بالنساء، لأنها تعد من أولى اهتماماتهن التي تحقق لهن أنوثتهن بسبب تفوقهن على الرجل بها، لأن الشرع أباح لها من الزينة ما لم يبح به للرجال، فإن اختصت المرأة بشيء فهذا يعني تميزها عن الرجل، فتكون هي الأنثى وهو الرجل دون مشاركة في ذلك الأمر.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الرجال والنساء على هيئة يألف بها كل منهما صاحبه، وفطرهما في نفس الوقت على أن أن ينجذب كل منهما لهذه الهيئة لا مجرد إلفها.

وبما أن المرأة شريكة الرجل ورفيقة دربه وصانعة حياته، وهي السكن والراحة والطمأنينة، وهي التي تساعد الرجل على النجاح وتحقيق إنسانيته وأداء رسالته، فقد أعطاها الله سبحانه وتعالى من الأسلحة ما يعينها على ذلك مثل قوة التحمل والصبر والإيثار والدفء والحنان وحب العطاء، وخصها كذلك بالجمال ورقة الطبع ودفء الجسم ونعومته، ليعرف الإنسان الجمال ويراه فيما خلق الله تعالى في هذه الحياة.(1)

وبما أن الرجل زيِّن له حب الشهوات من النساء، فقد فطرت المرأة على حب التزين والتجمل بكل وسائله ليتمتع الرجل بهذه الشهوة، إضافةً إلى أن المرأة تحب أن يتعلق بها الرجل لكي

---

(1) الفرماوي، عبد الحي، زينة المرأة، دار البشير للثقافة والعلوم- طنطا، ط1(1419-1999)، ص9، بتصرف.

تفرض عليه سلطان الجمال والإغراء، وهذا يعود إلى خصيصة نفسية لديها وهـي حـب لفـت الانتباه ونيل التقدير، والرجل هو أفضل من يحقق ذلك للمرأة. وهنا يتسلوى الطرفان في تبعيـة كل منهما للآخر، فالمرأة تابعة للرجل لأنه القائم عليها، والرجل تابع للمرأة بمـا تمليـه عليـه شهوته وميله لجمالها وزينتها وإغرائها، فهي تجد الأمن والحماية عنده وهو يجد المتعة والدفء عندها.

التزين إذاً بالنسبة للمرأة مظهر أصيل في فطرتها بدافع التفوق على بنات جنـسها والتفـاخر بجمالها، وإيقاع الرجل في فتنتها.

يقول الله سبحانه وتعالى:] u v w x y z { | } Z الزخرف: ١٨.

فمعنى الآية أن المرأة تربت ونشأت في أجواء الزينة وتعودت عليها، فهـي مولعـة بهـا منـذ الصغر، لكن الفرق بين حب الزينة والاهتمام بها بين الفتاة الصغيرة والمرأة البالغـة؛ أن الفتـاة الصغيرة تتزين بدافع اللهو واللعب والتنعم، أما المرأة البالغة فبالإضافة إلى ذلك فدافعها الحرص على أن تبدو جميلة فاتنة تتغلب على قريناتها بدافع الغيرة ولتستحوذ على قلـب الرجـل بـدافع الإغراء والشهوة، فالفطرة في حب التزين بين الصغيرة والكبيرة واحد لكـن تختلـف الـدوافع والأهداف لتغير النفسيات، فمن الطبيعي أن تختلف الحالة الشعورية في سلوك الفتـاة الـصغيرة عن الحالة الشعورية في سلوك المرأة البالغة.

فالمرأة تعودت على العيش في وسط الحلية والزينة، وهذا دلالته حبها للرفاهية والنعومة فـي العيش، وهذا يتناسب مع كون المرأة أنثى لها صفاتها النفسية والسلوكية الخاصة بها كي تستطيع مزاولة وظائفها الموكلة إليها كالأمومة ورعاية المنزل وأفراده، ونشر المـودة والرحمـة فيـه، وحبها للزينة سينعكس بالتأكيد على نشر البهجة والمرح على مظهر البيت وأهله، ودعم النفـوس لتحقيق الترابط الأسري. وكل ذلك ينعكس على المرأة بعدم قدرتها على المجادلة والمخاصمة في

مقام إظهار الحجج والبراهين، لأن ذلك ليس من ضمن وظيفتها بل هي من وظائف الرجل الذي خلق على طبيعة قادرة على المخاصمة والجدال وبيان الحجج التي تحتاج لقــوة كبيــرة وجهــاد طويل، والمرأة أغلب وظائفها تكون داخل البيت، لذلك أمرها الله سبحانه وتعــالى بــالقرار فــي البيت وألا تقول إلا قولاً معروفا، وهذا يتطلب منها ألا تتكلم مع الغرباء إلا فــي حاجــة، قــال تعالى:] B C D Z الأحزاب: ٣٢، وقال تعالى:] F G H Z الأحزاب: ٣٣.

وينظر بعض المفسرين(*) إلى هذه الآية- قولــه تعــالى:] u v w x y z { | } Z - نظرة إنقاص للمرأة، حيث يعتبرون تنشئتها في الحلية سببه وجود نقــص لديها تعوضه بالزينة والحلي، ويرون أن عدم قدرتها على الجدال والخــصام عيــبٌ وذمٌ لهــا، فسبحان الله! يطالبون المرأة بأن تكون المرأة الأنثى وتقر في بيتها ولا تتحدث إلا في حاجة ثــم يرون ذلك عيباً ونقصاً فيها؟!، إنما أمر المرأة واهتمامها بالزينة هو من أجل الرجل فــي أكبــر أجزائه، فالرجل الذي يرى زينة المرأة نقصاً فيها هو نفسه الذي يسحر لبه به ولا يتمالك نفــسه عنه عندما يراه في المرأة، فلماذا لم يلتفت للنقص الموجود فيه عندما تسيطر المرأة عليه وتلقــي بسلطان إغرائها فلا يتمالك نفسه ويسعى إليها يبتغي الدعة والنعومة عندها، فإن لم يظفــر بهــا عذبته نفسه وجوارحه بما يريده ولم ينله.

لكن في الوقت نفسه الذي شرع فيه الإسلام الزينة للمرأة لتلبية نداء الفطرة لديها دون أن يكبت هذه الرغبة فيها، فإنه قام بتنظيم استخدام الزينة وتوجيهها كي تنضبط في اتجاهها الشرعي الصحيح، فقد قال تعالى:] ` a b c d e f g h

(*) منهم الألوسي والرازي والزمخشري وأبي حيان.

y x w v u t r q p o m l k j i

z { | } ~ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ

© بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ´ µ ¶ ¸ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ

ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ

وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ Z النور: ٣١، فهذه الزينة مباحة لها بشرط عدم إبدائها أمام الأجانب من الرجال إلا ما سمح الشرع بإبدائه كالخاتم مثلاً، أم أمام المحارم من الرجال فيسمح لها بإبداء الزينة المعتاد ظهورها أمامهم، أما الزوج فله أن يرى كل أنواع الزينة التي يرغب في رؤيتها على زوجته، دون قيود مادام لا ضرر فيها ولا ضرار.(*)

ومن هنا سأبدأ الحديث عن أثر الزينة على قلب الرجل ونفسيته. فمن المعروف عن الرجل أنه ذو شهوة كبيرة للجنس بحيث ينقاد لرغباته ويسعى لتحقيقها بكل حواسه، أي على مستوى النظر والشم واللمس والسمع -كسمع صوت الخلخال- والذوق والخيال وغيرها، فقد زين في نفسه حب الشهوات من النساء، والرجل يسعى دائماً لامتلاك المرأة الجميلة المتزينة بمواد التجميل والحلي، المتعطرة بأجمل العطور، الناعمة الملمس، السابلة الشعر، وعندما يرى الرجل هذه الزينة لا تطاوعه نفسه إلا للظفر بهذه المرأة والتنعم بزينتها، فالميل الجنسي بين الرجل والمرأة لا يحركه كونه رجلاً وهي امرأة فقط، بل هناك من الوسائل ما يزيد من سعار هذه الشهوة الجامحة كالزينة السابق ذكرها.

(*) بالنسبة لتفسير هذه الآية وأقوال المفسرين فيها، فقد استوفيت الحديث عنه في مطلب: الغرور ولفت الانتباه والتقدير، في الفصل الأول الذي يتحدث عن خصائص الرجل والمرأة النفسية، فيمكن(للقارئ) مراجعة المطلب، ولم أذكره هنا لتجنب التكرار.

ومن أجل ذلك كان أثر الزينة على نفسية الرجل كبيراً، ينحدر به إلى أعماق نفسه وكوامنها، لذا كان لابد من توجيه النساء في إبداء الزينة وعدمها كي يحفظ المجتمع من الانزلاق في مهاوي الفواحش التي يؤدي الإغراء والإغواء فيها إلى ارتكابها وانتشار أمراضها الجسدية وعقدها النفسية، فسلطان الفتنة الذي تتمتع به المرأة إذا ما انكشف وصار سهلاً الحصول عليه، فاعلم أن المجتمع فقد الفضيلة وتمسك بالرذيلة، لأن الحرمات ستنتهك والأخلاق ستدمر وينقص إيمان النفوس، فلابد للمرأة من أن تلتزم شرع الله في استخدام الزينة وإبدائها والتمتع بها من قِبَلها أو من قِبَل الرجل، فمن واجبها ألا تبديها أمام الأجانب من الرجال، ومن واجب الرجل أن يحفظ نفسه بغض بصره عن كل ما حرم الله النظر إليه من المفاتن والإغراءات التي توقعه في شباك المرأة، وليس معنى ذلك أن الإسلام لا يحب الحسن والجمال أو يحاربه، بل كل ما في الأمر أنه يخفيه عن العيون الطامعة فيه ولا تحسن التعامل معه.

يقول سيد قطب: " لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهر إحساسه بالجمال؛ فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب، بل الطابع الإنساني المهذب.. وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان؛ مهما يكن من التناسق والاكتمال. فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقاً بالإنسان، ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال".[(1)]

أما على مستوى الزوج وزوجته، فالأمر مختلف تماماً، إذ تعتبر زينة المرأة لزوجها من الأمور المهمة التي تساعد على استقرار البيوت وسعادتها لما توفره المرأة للرجل من الظفر بالشهوة التي يسعى إليها. فمما لا يخفى ما للأنوثة من أثر على قلب الرجل الذي يرى فيها تكميلاً لنصفه الآخر والمُظهِر لرجولته، والمرأة الواعية المثقفة تهتم بنظافتها ونظافة بيتها

---

(1) سيد قطب، الظلال، م4، ص2513.

وأفراده، وتتخذ من الوسائل ما يحقق ذلك ويحافظ عليه كقاعدة أساسية في الحياة الأسرية، وهي تعي كذلك أن من واجبها المحافظة على الصورة الجميلة التي طبعت في ذهن زوجها عنها وهي في أبهى حُلَّة وزينة ونظافة، دون أن تتجاهل الذوق العام والجوانب النفسية لدى زوجها.(1)

أما إهمال ذلك فإنه يؤدي إلى عواقب وخيمة تبدأ بانهيار الصورة الجميلة عنها عند الزوج وتنتهي بالتطلع إلى غيرها وإهمالها، إما بطلاق أو خيانة- (كما يحصل في مجتمعاتنا)- وما يتخلل ذلك من إثارة لمشاعر الكره والنفور منها وإحداث الخصومات من غير سبب مقنع بل على أتفه الأسباب تقع، فكأنما ينتقم الرجل بذلك لنفسه، فكما حرمته من تلذذ حواسه بمتع النساء فسيحرمها هو بدوره هناءة العيش واستقرار الحياة.

لذلك فإن" الزوجة التي تجدد في مظهرها، ليراها زوجها متعطرة متزينة من أجله يجذبه إليها ويغض به بصره عن الحرام، والتزين وإظهار الجمال من أهم عوامل ترسيخ المحبة والاستحواذ على قلب الرجل وهو بمثابة التجديد في صرح الزوجية يومياً ويكون ذلك أقدر على إيجاد جو المحبة والسعادة في بيتها، لأن سرور الرجل راجع إلى مظهر الزوجة واعتنائها بنفسها، ولذلك فإنه على المرأة أن تحافظ وتواظب على النظافة والتزين لزوجها فذلك أدعى لشهوة الرجل وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة. لأن الزينة متعة للعين ومتعة للشم، والإنسان يسعد برؤية الشيء المتزين والجميل ويسعد بشم الروائح الطيبة.. فالزوجة المسلمة مدعوة إلى الاهتمام بأناقتها ورقتها حتى وإن مر على زواجها عشرات السنين، فإن الرجل وإن كبر سنه لا يزال يأنس بالكلمة الحلوة، ويستمتع برؤية الجمال الذي يغنيه على الأقل عن النظر إلى غيرها من النساء".(2)

---

(1) ياسين، غالب، أريدها جميلة، www.wata.cc، بتصرف.
(2) غالب ياسين، أريدها جميلة، www.wata.cc

والتمتع بالزينة في غالب الأمر يتعلق بالنظر والشم واللمس، أما ما يتعلق بالنظر فقد قال تعالى:] N O P Q R S T V W X Z [\ ] ^ Z النور: ٣٠، مما يعني أن لنظر الرجل إلى المرأة أثراً كبيراً على نفسيته، وهي أول طريق للفتنة والإغواء، لذلك أتبع الأمر بغض البصر بالأمر بحفظ الفرج، لأن غض البصر هو السبيل للإحصان والتعفف عن ارتكاب الفاحشة، أما إطلاق البصر فإنه يؤدي إلى تسعير الشهوات وتزيينها في نفس الإنسان ليقع فيها.

تبين للعلماء أن النظر للنساء يؤثر على الذاكرة قصيرة المدى لدى الإنسان، فقد أكدت دراسة هولندية أجراها أحد الباحثين على طلاب وطالبات الجامعة أنه بمجرد حضور النساء الفاتنات والحديث معهن يسبب التشويش للرجال ويضعف الذاكرة لديهم ويخفض أداءهم العقلي بشكل كبير، ويقول العلماء كلّما كانت زينة المرأة وفتنتها أكبر، كان التأثر أكبر، ويفسر العلماء هذه الظاهرة بأن خلايا الدماغ التي تقوم بمعالجة المعلومات واتخاذ القرار تتأثر بحضور المرأة والنظر إليها والحديث معها. وركزت هذه الدراسة على موضوع الجاذبية والفتنة والتبرج. فالنظر إلى المرأة المتبرجة يفقد الرجل صوابه وبالتالي لا يتمكن من اتخاذ قرار صائب، على الأقل خلال وبعد النظر بفترة قصيرة حتى يزول التأثير. إضافة إلى أن عدداً من المسلمين قاموا بدراسة عن تأثير النظرة المحرمة ودوامها على النساء، وتبين لهم أنها تورث كثيراً من الأمراض التي لا تظهر إلا في الكبر، مثل تصلب الشرايين وضغط الدم وبعض الاضطرابات النفسية نتيجة الهيجان الذي تحدثه هذه النظرات المحرمة.(1)

(1) تأثير النظر للنساء على الإنسان، www.sfeeral7b.com، بتصرف.

هنا يجب على المرأة المتزوجة أن تدرك هذا السر والجانب المهم في شخصية الرجل ونفسيته، وعليها أن تعرف كيفية التعامل مع ذلك لتكسب هذه النقطة لصالحها، فكل امرأة تسعى لأن تكون المرأة الوحيدة في حياة زوجها وتملك قلبه دون أن يتطلع إلى غيرها من النساء، حتى لو كانت مجرد نظرة عابرة، لأنها تعلم أن هذه النظرة العابره قد تؤدي إلى أثر نفسي داخل قلب الرجل وتحرك شهوته تجاه من نظر إليها، لذا عليها أن تحافظ على مظهرها الخارجي وتتزين بكل أنواع الزينة التي يرغب الرجل في رؤيتها على المرأة، فتهتم بأناقتها وتسريح شعرها وإشراقة وجهها باستخدام المواد التجميلية المناسبة لها وغير المضرة بها، كل ذلك يعمل على تحصين الزوج من النظر إلى غيرها خارج المنزل أو داخله عبر وسائل الإعلام التي تبث كل شيء، لأنه ملأ شهوة النظر للمرأة المتبرجة من خلال زوجته وبطريق الحلال، وهذا له أثر كبير على نفس الرجل بشعوره براحة الضمير ورضاه عن طريقة حصوله على شهوته من جهة، ومن جهة أخرى يشعر باهتمام زوجته به وحبها له، وسعيها لإرضائه وإحصانه، وبالتالي يبادلها نفس الاهتمام والحب فينعكس على العلاقة الزوجية بينهما بكل خير وبركة.

وما يتعلق بشهوة حاسة الشم، فإن الإنسان بطبيعته مفطور على حب الروائح الجميلة والنفور من الكريهة، وكذا الأمر فيما يتعلق بعلاقة الرجل والمرأة، فالرجل يحب أن يشم الروائح الجميلة من زوجته، سواءً العطرية أو الطبيعية، وينعكس ذلك براحة نفسية تسعد الزوج، وتثير في نفسه شهوة تجاه زوجته وتجعله يتقرب منها، فإذا ما أرادت الزوجة أن تجذب زوجها لها -كونها تستحي من مصارحته بطلب المعاشرة- ففرصتها قوية من خلال المحافظة على رائحة جسدها ولباسها، وأهم جزء في هذا الجانب هو نظافة الملبس والجسد، وهي أهم من التعطر، أما إذا شعر الزوج أن زوجته مهملة في نظافتها فإنه سينفر منها ويتمسك بأقل الأسباب ليبتعد عنها وعن معاشرتها.

ومن هنا ندرك سر قول رسول الله r : "كل عين زانيــة، والمــرأة إذا اســتعطرت فمــرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية. حديث حسن صحيح".[1] فكان ذلك لما للعطور مــن تــأثير على قلب الرجال وجذبهم للنساء وإثارة شهوة الجنس فيهم، فقد توصل العلماء إلى ما يسمى علم نفس العطور لما تحدثه في نفس الإنسان ومشاعره من أثر، وقد توصل خبير العطور"إيــف دي كريس" إلى أن حاسة الشم تساعد في البقاء على قيد الحياة، حيث يستطيع المرء أن يشتم رائحــة الأمن والخطر، وأكد على أن المخ يحدد رائحة ما بما لا يزيد عن ثــانيتين، وأن شــم الــروائح يرتبط بالرضا والسعادة لأنها تخترق الأعصاب، حيث إن خلايا الأنف تقود الرائحة مباشرة إلــى المخ تحديدا إلى بنك الذاكرة وقاعدة العواطف والأحاسيس.[2]

وتؤثر الروائح العطرية في مشاعر الإنسان لاحتواء بعضها على هرمون يفرزه الجسم أثنــاء المعاشرة الزوجية، أو لاحتوائها على بعض الروائح الزهرية الجذابة، فهــذا الهرمــون أو هــذه الروائح الزهرية تصل إلى الدماغ- بناء على ما سبق- وتحفز مراكز الإثــارة الجنــسية لــدى الإنسان.[3]

ويقول المودودي في شأن الطيب إذا أسيء استعماله: "والطيب أيضا رسول من نفس شــريرة إلى نفس شريرة أخرى، وهو من ألطف وسائل المخابرة والمراسلة وممــا تتهــاون بــه الــنظم الأخلاقية عامة، ولكن الحياء الإسلامي يبلغ من رقة الإحساس ألا يحتمل حتــى هــذا العامــل

---

(1) الترمذي، سنن الترمذي، دار طويق- الرياض، ط1(1413-2010)، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة ص542.

(2) العطور، www.ksagntl.com، بتصرف.

(3) Arb3.maktoob.com، بتصرف.

اللطيف من عوامل الإغراء، فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تمر بـــالطرق، أو تغــشى المجـــالس مستعطرة، لأنها وإن استتر جمالها وزينتها ينتشر عطرها في الجو، ويحرك العواطف".[1]

ومن الأمور التي تؤثر في الرجل تجاه المرأة حاسة اللمس، فالإنسان بشكل عام يحب الملمس الناعم الطَّري، أي أن نعومة المرأة في شكلها وملمسها وشعرها تؤثر في قلب الرجـــل ليهواهـــا ويهوى القرب منها، فعلى المرأة أن تحافظ على نعومة جسدها لأن بين الجـــسد والجـــسد لغـــة خاصة تؤثر في المشاعر وفي علاقة الزوج بزوجته، فقد أقر العلمـــاء أن مـــن بعــض لغـــات التخاطب بين البشر هي لغة الجسد، فكلما توفرت الصفات المرغوبة في ذلك الجسد كان التقارب والتوصل أكبر وذا أثر أقوى.

وهذا الكلام يقال للرجل كذلك أمام زوجته التي من حقها أن يتزين لها، ويهتم بنظافة جـــسده ونَفَسِه ولباسه، لأن المرأة إنسان مثله يتأثر بحواسه، بل هي أشد حساسية منه في هذا الجانـــب، فمحافظة الرجل على نظافته وأناقته من أدعى الأمور التي تجذب المرأة إليه، فأكثر مـــا تطلبـــه الزوجة من زوجها هو طيب رائحة النَّفَس والجسد، أما إذا لم يُعِر الرجل هذا الجانـــب اهتمامـــاً فإنه سيعود عليه بنفور زوجته منه وكره معاشرته والاقتراب منه، وبالتالي يحدث الجفـــاء فـــي العلاقة الزوجية.

---

(1) المودودي، أبو الأعلى (ت1979م)، الحجاب، دار نهر النيل للطباعة، (د.ط)، ص170.

المطلب الثاني: أثر الخضوع واللين

يقول الله سبحانه وتعـالى:] : ; < = > ? @ A B C D Z

الأحزاب: ٣٢، وهذه الآية تعتبر جزءاً من توجيهات الله جل وعلا للمرأة، وتتبع ما سبقها من الأمر بعدم إبداء الزينة أمام الأجانب من الرجال، فقد شرع لها منهجاً سليماً لتسير عليه فـي حياتهـا، يضمن الحفاظ عليها من الهتك والغواية والفجور.

ففي هذا الزمن أصبح ينظر للمرأة على أنها وسيلة من وسـائل الترفيـه وجـذب الـسياحة وتحسين اقتصاد الشركات التجارية في ظل الهجمة الإعلامية التي لوثت عقـول الرجـال فـي نظرتهم للمرأة ولوثت عقل المرأة في نظرتها لنفسها.

أصبح الرجل ينظر إليها على أنها أداة للمتعة والرفاهية والدلال، ويراها فريسة سهلة للرجـل الشهواني، وأصبحت المرأة تنظر إلى نفسها أنها صاحبة جمال وسلطان، ولديها سحرها الخاص الذي يفتن الرجل ويغريه، فلماذا لا تستغل هذه الأسلحة في السيطرة على مشاعره وفكره، وتلبي فطرتها التي تدعوها للفت انتباه الرجال والحظوة باهتمامه لتشعر بالأنوثة الحقيقية داخلها؟!.

يقول سيد قطب: " لقد جاء الإسلام فوجد المجتمع العربي كغيره من المجتمعـات فـي ذلـك الحين ينظر إلى المرأة على أنها أداة للمتاع، وإشباع الغريزة. ومن ثم ينظر إليها مـن الناحيـة الإنسانية نظرة هابطة؛ هبوط النظرة إلى الجـنس؛ وانحطـاط الـذوق الجمـالي؛ والاحتفـال بالجسديات العارمة، وعدم الالتفات إلى الجمال الرفيع الهادئ النظيف، يبدو هـذا فـي أشـعار الجاهليين حول جسد المرأة، والتفاتاتهم إلى أغلظ المواضع فيه، وإلى أغلظ معانيه!.

فلما أن جاء الإسلام أخذ يرفع من نظرة المجتمع إلى المرأة؛ ويؤكد الجانـب الإنـساني فـي علاقات الجنسين؛ فليست هي مجرد إشباع لجوعة الجسد، وإطفاء لفورة اللحم والدم، إنمـا هـي اتصال بين كائنين إنسانيين من نفس واحدة، بينهما مودة ورحمة، وفي اتصالهما سكن وراحـة؛

ولهذا الاتصال هدف مرتبط بإرادة الله في خلق الإنسان، وعمارة الأرض، وخلافة هذا الإنسان فيها بسنة الله".(1)

إن المرأة خلقت بطبيعة أنثوية محببة لنفس الرجل، وأعطيت من الوسائل ما يزيد هذه الأنوثة ويزينها في نفسه، ومن جملة ذلك الصوت الناعم الرخيم السلس، ومن الوسائل التي تزيد من أنوثة الصوت التغنج والخضوع به، وتليينه بطريقة تلفت الانتباه إليها، ومن أنوثتها القوام الرشيق الجذاب، ومما يزيد في إغرائه التبختر والتكسر بالمشية والحركات.

ولا يخفى على أحد ما لذلك من سحر على قلوب الرجال وعقولهم، فالآية واضحة في التدليل على ذلك، فإنما أمر النساء بعدم الخضوع واللين بالقول بسبب ما يثيره في قلوب الرجال من الفتنة والطمع بالنساء والرغبة فيهن، إما بغزل أو تحرش أو إلهاب شهوة وما إلى ذلك.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى:] : ; < = > ? @ A B C D Z: "ينهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون في نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم!.

والله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترقق في اللفظ، ما يثير الطمع في قلوب، ويهيج الفتنة في قلوب. وأن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة، وتجاه كل امرأة وأنه لا طهارة من الدنس، ولا تخلص من الرجس، حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس".(2)

(1) سيد قطب، الظلال، م5، ص2857-2858.
(2) سيد قطب، الظلال، م5، ص2859.

فالرجل لا يلام وحده على الطمع بالنساء، بل تلام المرأة كذلك لأنها هي من ألهبت شهوته وأثارت الرغبة فيه بسبب دلالها وتغنجها وهي تعلم ما لذلك من أثر على قلب الرجل، فإن أرادت المرأة أن تحافظ على نفسها ولا تلفت الرجال إليها، فحري بها أن تلتزم أمر الله تعالى في عدم الخضوع بالقول مع الأجانب من الرجال، وألّا تتكلم إلا في حاجة، فالله تعالى يقول في الآية: "**وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**" أي مستقيماً لا عوج فيه، بعيد عن الشبهات والهزل، أما إذا لم تلتزم المرأة بذلك وتساهلت فيه، فإن(تغنجها) وخضوعها أثناء كلامها مع الأجانب لا يفهمه الرجل إلا أنه طريقة للتحبب والتودد إليه، وطلب العلاقة معه حتى لو كان عندها أنه على سبيل المزاح لا أكثر، فعلى المرأة أن تتقي الله في نفسها وفي الرجال حتى لا يعود الأثر السلبي عليها وعلى المجتمع بفساد الأخلاق وانتهاك الحرمات.

وقد أثبتت دراسة أن الرجل يتعامل بشكل مختلف مع الصوت الأنثوي، حيث يستطيع سماعه بدقة ووضوح أكثر من الصوت الذكري، ويبذل مجهوداً أكبر عندما يسمع للمرأة لأنه ينشط منطقة في المخ تعرف بالمنطقة السمعية، بينما ينشط لدى سماعه الصوت الذكري منطقة أخرى خلف المخ، وأضافت الدراسة أنه يستطيع تكوين صورة عن الشخص بمجرد سماعه الصوت.(1)

ومعنى ذلك أن الرجل ينتبه لكل صغيرة وكبيرة أثناء حديثه مع المرأة ويكون صورة عنها لدى سماعه صوتها، فإذا خضعت بالقول وتغنجت فهذا يشكل صورة لديه بأنها تتودد إليه وتطلبه، ولا نستغرب ذلك لأن الصوت الناعم يضفي على المرأة مزيداً من الأنوثة والجاذبية وخفة الظل التي يرغب بها كل رجل بطبيعته وفطرته، تثار به مكامن عشقه، كما يقول الشاعر:

يا قوم إن أذني بالحي عاشقة   والأذن تعشق قبل العين أحياناً.

---

(1) انظر، أثر صوت المرأة على الرجل، www.ordonee.com

وسواء كان هذا مثاره سماع الصوت أو سماع الأوصاف أو سماع صوت الزينة التي تـوحي بالتكسر والتبختر -كما في قوله تعالى:] وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ Z النور: ٣١- فلابد من مراعاة ذلك لحصر الفتنة التي قد تقع جراء ذلك.

وهذا لا يتضارب مع كون المرأة بطبيعتها لها صوت ناعم، لكن المعترض عليه هـو اللـين الزائد على طبيعته الأصلية، يقول ابن عاشور: "وابتدىء من ذلك بالتحذير من هيئة الكلام، فإن الناس متفاوتون في لينه، والنساءُ في كلامهن رقّة طبيعية وقد يكون لبعضهن من اللطافة ولِـين النفس ما إذا انضمّ إلى لينها الجبليّ قرُبت هيئته من هيئة التَدلّل لقلة اعتياد مثلـه إلا فـي تلـك الحالة. فإذا بدا ذلك على بعض النساء ظَنّ بعض من يُشافِهُها من الرجال أنها تتحبّب إليه، فربما اجترأت نفسُه على الطمع في المغازلة فبدرت منه بادرة تكون منافية لحرمة المرأة".[(1)]

ولا مانع من أن تشتد المرأة زيادة بطريقة كلامها مع الأجانب من الرجال لدرء أي شبهة قـد تلحق بها دون أن تدري، يقول الألوسي: "روى عن بعض أمهات المؤمنين أنها كانت تضع يدها على فمها إذا كلمت أجنبياً تغير صوتها بذلك خوفاً من أن يسمع رخيماً ليناً".[(2)]

فالقرآن الكريم جاء ونبه المرأة مما قد يخفى عليها، والدليل أن الخطاب وُجِّهَ أولاً إلى نـساء النبي r اللواتي يتميزن بالعفة والطهارة والبعد عن مواطن الريبة، والرجال في عـصرهن هـم الصحابة-رضي الله عنهم- المخلصين الأتقياء، عدا عن كون نساء النبي r أمهاتهم، ومع ذلـك حذرهم لأن هذا النوع من الرجال-الطامع في المرأة- لا يخلو منه عصر ولا مصر، فما بالـك بنساء اليوم ورجاله؟!.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م9، ص8.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج12-22، ص254.

يقول ابن عاشور: " فُرع على تفضيلهن وترفيع قدرهن إرشادُهُنّ إلى دقائق من الأخلاق قـد تقع الغفلة عن مراعاتها لخفاء الشعور بآثارها، ولأنها ذرائع خفية نادرة تفضي إلى ما لا يليـق بحرمتهن في نفوس بعض ممن اشتملت عليه الأمة، وفيها منافقوها".[1]

واعتماداً على مفهوم المخالفة من نهي المرأة عن التغنج والتكسر في حـديثها أمـام الرجـل الأجنبي لما يثيره فيه من مشاعر وشهوات تجذبه للمرأة ويجمل صورتها في ذهنه، فإني أقـول للمرأة إنه يجب عليها الخضوع والتغنج في الكلام لزوجها، لما في ذلك من أثر إيجـابي علـى العلاقة الزوجية، فالمرأة عندما تفعل ذلك فإن زوجها سينتبه إلى أنها تتودد إليه وتدلـله، إضافة إلى أنها تملأ شهوته بسماع الصوت الذي يثير رغباته فيزيد من إحصانه وتعففـه، ويعلـم أنـه حصل على ذلك من زوجته فلا يقلق على جوه الخاص في بيته، فتهـدأ الأعـصاب والنفـوس المعرضة للفتنة.

تقول أحدى الكاتبات: " الصوت ونبرة الكلام هي وسائط الحب المؤثرة لحاسة السمع، فصوت المرأة وروعة إيقاعاته، وقدرتها على التحدث حديث الأنوثة والدلال، فمن العوامل ذات التـأثير الضخم على أحاسيس الرجل، فالزوجة التي تنتقي كلماتها، وتعرف متى تتكلم ومتـى تـصمت، وتعلم مواطن الضحك والتأوه والتهكم والهمهمة والأنين وما إليها من أصوات، هي المرأة التـي تملك ثاني العوامل أهمية في إنعاش الزوج وإدخاله إلى دائرة جاذبيتها، ذلك أن صوت الزوجـة بالنسبة للزوج هو (غذاء الحب)، وهو يحمل بين طياته سحرًا عظيمًا وفريداً، وهذا السحر كـاف ليصل الزوج إلى قمة الشهوة الحسية.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م9، ص8.

ولذلك نهى الله تعالى عن ضرب الأقدام للمرأة أو الخضوع بالقول لما له من أكبر الأثر في تحريك الرجال فقال تعالى:] 8 9 : ; < = > ? @ A B C

D Z الأحزاب: ٣٢، ولما كان ذلك محرمًا على الأجانب من الرجال، أضحى مستحبًا للزوج، ودليلا على أهمية السمع في العلاقة العاطفية فالصوت الناعم الرقيق يثير الرجل، ويجعله أكثر قربًا، وأحرص على الدنو من الزوجة، فليني له الكلام، ورققيه وأخبريه أنك تحبينه وتشتاقين إليه، وغني له كما تغني الحور فإن نساء الجنة يغنين لأزواجهن".(1)

وختاماً أقول للنساء أن الرجل يحب المرأة الخاضعة اللينة الرقيقة في حركاتها وكلامها وملمسها ومظهرها، لذا يتوجب عليها أن تبذل جهدها في ذلك لكي تحقق لها ولزوجها حياة زوجية سعيدة يكون الرجل فيها قريباً للمرأة والعكس، ويزيد ذلك من درجة إخلاص الأزواج لزوجاتهم، لأنه مطمئن البال فهو يجد ما يريد بطريق الحلال.

المطلب الثالث: أثر الخيانة الزوجية

يروي لنا القرآن الكريم قصة الخيانة في أحداث سورة سيدنا يوسف عليه السلام وموقف امرأة العزيز أمام زوجها، وكيف حاولت هذه المرأة مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه ورفضه لذلك، ومع ذلك أصرت على موقف الخيانة حتى رآها زوجها على الحال التي كانت عليه، يقول تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , · .

/ 0 2 3 4 5 7 8 9 : ; < = > @ A B C D

(1) أثر السمع واللمس والتذوق على العلاقة الزوجية، منتديات طيور الجنة، www.6oyor-aljanah.com

S R Q P O N L K J I H F E

f e d c b a ` _ ^ \ [Z Y X W V U T

y x w v u t s r p o n m l k j i h g

z { | } ~ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ © مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾

فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ ´ µ ¶ ¸ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ

وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ Z يوسف: ٢٣ - ٢٩.

وهذه القصة صورت لنا خيانة المرأة لزوجها، لذلك آثرتُ الحديث عن الخيانة الزوجية في مبحث سلوك المرأة، لكن الخيانة سلوك يصدر من الرجل والمرأة ومن الرجل على الأخص، لذلك والله أعلم ذكر القرآن الكريم خيانة المرأة لأنه من الغريب أن تفعل ذلك امرأة، أما الرجل فهو معتاد على ذلك من أيام الجاهلية.

إن الخيانة تطرأ على الحياة الزوجية في لحظة الاندفاع وراء الشهوة دون حساب للعواقب المترتبة على ذلك، وهذا ما حدث مع امرأة العزيز التي وقعت في عشق يوسف عليه السلام على الرغم من أنها متزوجة وأنها تكبره سنين عدة، لكن عندما شغفها الحب أرادت الظفر به مهما يكن الأمر، فالمرأة كما ذكرت سابقاً تتأثر بجمال الرجل ووسامته إلى درجة تجعلها تتمناه، لكن قرار الخيانة مهما يكن له دوافعه ولا يأتي فجأة لدى الإنسان، لأنه إن أراد الإنسان أن يحصل على كل ما يتمناه في شريك حياته فلن يكون سعيداً أبداً، فكل إنسان منا يمتلك ميزات وتنقصه أخرى، وعلى ذلك ليس من المنطق أن يخون الزوج زوجه جراء ذلك، أما من انحرف عن المنطق والمعقول فإنه سيقع ضحية هذا الانحراف.

ففي الزمن الذي نعيش فيه كثرت أسباب الفتن والانحراف في ظل انتشار الدعارة والنــوادي الليلية التي يسودها السكر والفاحشة دون ردع من أحد، بل على العكس يروج لها بكــل ســهولة ويسر، حتى إن المسؤولين عن محاربتها هم أول زوارها، من باب الترف والترفيه عن الــنفس، وكذلك في ظل انتشار وسائل الإعلام التي تسعر الشهوة في نفوس الناس وتصور لهم العلاقــات الجنسية والغرامية بصورة خيالية قد لا يستطيع الحصول عليها مع شريك حياته الحالي، كل ذلك يؤدي للبحث عن بدائل يحصل فيها على مبتغاه ومنها الخيانة الزوجية.

على أنني أقصد بالخيانة الزوجية: أنها كل علاقة غير شرعية خارج حدود الزوجية، بحيــث يمارس فيها أحد الزوجين سلوكاً ما إما بالنظر أو اللقاء أو المحادثة أو الممارسة الجنــسية مــع طرف ثالث غير شريك الحياة الشرعي.

وعلى ذلك لا تعني الخيانة الزوجية الممارسة الجنسية مع غير الشريك الشرعي دائمــاً، بــل يشمل كل سلوك يعبر عن انسلاخ الزوج عن زوجه حتى نفسياً أو بالخيال.

ومن الأسباب التي تؤدي للخيانة الزوجية فعلى رأسها:

1- ضعف الوازع الديني والأخلاقي مع سوء التربية، ذلك أن الخيانة الزوجية ظاهرة غريبة في مجتمع عربي إسلامي من المفترض أن تحكمه قيم أخلاقية وشريعة دينية وتقاليد تحرِّم سلوك الخيانة وتمقته مقتاً شديداً وتربي أبناءها على ذلك، لكن ضعاف النفوس موجودون في كل مكــان وزمان، لا يقومون بواجبهم التربوي تجاه أبنائهم فينــشؤون مــثلهم مكتــسبين مــنهم الــسلوك المنحرف.

فالوازع الديني أمر مهم في ردع الإنسان عن القيام بمثل ذاك السلوك، وهــذا يتطلــب مــن الزوج أو الزوجة حسن اختيار شريك حياته الذي يملك صفة التدين والأخلاق والعلم ليتجنب كل

منهما الوقوع في شباك نزوة الشريك واندفاعه وراء شهوته إذا ما طرأ على الحياة الزوجية ما يعكر صفوها.

2- عدم النضوج النفسي والشعور بالنقص، فقد يتعرض الإنسان منذ الصغر إلى مواجهة حياة صعبة الظروف تؤثر على الصحة النفسية لدى الإنسان تصبح مع الأيام نقصاً وخللاً واضطراباً، يقول الدكتور سلطان بن موسى العويضة دكتوراه في فلسفة علم النفس الارشادي من جامعة مانشستر: "وجميعنا نحن البشر تنتابنا مشاعر النقص بسبب تكويننا البشري ويُفترض أن تؤدي تلك المشاعر إلى السعي الخلاق إلى التفوق وإلى التنافس الشريف لكن إحساس الخائن في هذه المشاعر يكون من العمق بحيث يتجاوز السائد مما يؤدي به إلى المحاولة الوهمية لاثبات أنه الأفضل والأكثر اشتهاءً وأنه يمتلك من الإمكانات ما يخوله لتجاوز الحدود الدينية والأخلاقية والمجتمعية. وكل نجاح في خيانة يعزز لديه هذا الإحساس الوهمي بالتفوق مما يجعله يستمرئ هذا السلوك. ويتمثل العامل النفسي الآخر في الرغبة في الانتقام إما من الذات أو من الشريك أو من الأسرة أو من المجتمع بشكل عام، ونجد في ذهن الخائن سلسلة من الأسباب المتعلقة بكل واحدة من هذه على حدة أو ربما كلها مجتمعة وتفهُّم تلك الأسباب يفسر لنا سلوك الخائن لكنها لا تبرره بالطبع."(1)

3- عدم الإشباع الجنسي لأحد الطرفين، فالأصل في العلاقة الزوجية أن تكون محصنة لكلا الزوجين، وتلبي رغباتهما وتصوراتهما التي يُطمَح لها في العلاقة الجنسية، فإذا شعر أحد الزوجين أن شريكه يعاني من خلل في ممارسته الجنسية كضعف أو برود أو ما إلى ذلك فإنه سيعوقه عن الشعور بالمتعة المنتظرة من هذه العملية، خاصة المرأة لأن أكثر ما يهمها في

---

(1) العويضة، سلطان بن موسى، التنافر النفسي والفكري بين الزوجين- أسباب الخيانة، www.r3bob.com

العلاقة الجنسية أن تشعر بأنها مرغوبة ومغرية للرجل وفاتنة له، فهي الأنوثة مقابل الفحولة، كل ذلك يؤدي للبحث عن وسائل أخرى لإشباع الغريزة بالطريقة المتصورة، مثل اللجوء إلى مشاهدة الأفلام الإباحية أو ممارسة جنسية غير شرعية، فتكون الخيانة.

4- الخلافات الأسرية بين الزوجين، حيث يتعرض الزوجان لضغوط نفسية كبيرة في جو الخلاف تعمل على تباعد مشاعر الحب والمودة عن العلاقة الزوجية، فتحدث فجوة وعدم انسجام بينهما، فيرى أحدهما أن الحل الأمثل هو الهروب من جو الخلاف إلى جو آخر ينشد فيه الراحة والمتعة وعدم المسؤولية، (طبعاً) بإقامة علاقة غير شرعية مع طرف آخر لتحقيق هذا الهدف أو للانتقام من الشريك.

5- إهمال أحد الزوجين للآخر وعدم الاهتمام به، كأن تهمل الزوجة زوجها إما بما يخصه من أمور كالاهتمام بطعامه وشرابه ونظافة مبيته أو ما يخصها هي كالاهتمام بمظهرها ونظافتها ورقتها، هذا من جهة ومن جهة أخرى عدم الاهتمام المعنوي وهو إبداء مشاعر الحب والألفة والمشاركة والدعم والاحترام أو التقدير وغيرها من المشاعر النفسية التي يحتاجها الإنسان، كل ذلك جدير بأن يشعر الزوج بعدم أهميته في المنزل ولا حاجة له، فيبحث عن مكان يشعر فيه بذلك بعلاقة غير شرعية، وكذا يقال للمرأة إن لم يهتم بها زوجها أو يقدر ما تفعله من أجله.

وهناك من الدوافع الفرعية تكون كفيلة لحدوث الخيانة الزوجية مثل:

1- الاعتياد على إقامة العلاقات الحميمية قبل الزواج.

2- الشعور بالملل من العلاقة الزوجية بسبب رتابتها وعدم التغيير فيها.

3- البعض يظن أن العلاقة الجانبية مظهر من مظاهر الترف والبرجوازية، وهذا الفكر يسود طبقة الأغنياء.

4- التأثر برفاق السوء ووسائل الإعلام التي تصور علاقة الرجل بـــالمرأة بـــشكل خيالي بعيد عن الواقع، فتمثل قصص الحب والغرام وتوجد فيها عنصر الخيانة كعنصر تشويق ومغامرة محببة للنفس، فتدفع بعض الأشخاص للبحث عن مثل ذلك حتـــى لـــو بطريق الخيانة.

5- البحث عن الكمال في الشريك، فالبعض لا يدرك أن كل إنسان فيه نقص بـــأمور معينة، وأنه من المستحيل الحصول على الكمال في شخص واحد، فيقـــوم بعمـــل عـــدة علاقات غير شرعية ليحصل على الكمال بمجموع هذه العلاقات.

وتتعدد الأسباب والدوافع لسلوك الخيانة الزوجية، ولكنها كلها تندرج تحت ضـــعف الـــوازع الديني والأخلاقي، فكل هذا الأسباب تشرح دافع الخيانة لكنها لا تبررها، فالإنسان قـــادر علـــى تخطي كل ذلك إذا تمسك بالدين والأخلاق واحتسب أمره عند الله عز وجـــلّ، لـــذلك شـــرع الله الطلاق أوالخلع للمرأة والزواج المتعدد للرجل، لكي يحفظ الإنسان نفـــسه مـــن الوقـــوع فـــي المعاصي.

أما بالنسبة لأثر سلوك الخيانة على نفسية الزوجين، فإن العلاقة الزوجية تبنى على المشاعر، لذلك وصفها الله عز وجل بأنها علاقة سكن ومودة ورحمة في قوله تعـــالى: [Z Y]

I k j i h¦ f e d c b a ` _ ^] \

Z m الـروم: ٢١، وهذه الحالة الشعورية تؤثر في السلوك حسب درجتها، فإن كـــان وقـــع الحدث على النفس شديداً جاء السلوك شديداً تبعاً لذلك، والعكس صحيح.

إن الخيانة الزوجية لمن أشد الأمور وقعاً على النفس وأعمقها تأثيراً، فهي تعني تحطيم جميع جوانب الحياة الزوجية وفصم عرى الثقة والمودة بين الزوجين، لأن الزواج عبارة عن ميثـــاق

غليظ من الأمان والاستقرار والإخلاص والحب، ومن خان هذا الميثاق ونقضه كانــت نتيجتــه غليظة كذلك.

وينقسم الأثر النفسي للخيانة الزوجية إلى قسمين:

الأول: تأثيرها على الشريك الخائن.

الثاني: تأثيرها على الشريك الذي تمت خيانته.

أما الشخص الخائن فإن أول ما يحدث له هو عقاب الذات بالذات، من خلال تأنيب الــضمير والصراع الداخلي الذي يخلف وراءه مشكلات أخرى أشارت إليهــا الــدكتورة "منــى غريــب" أخصائية علم "الإيماء والحركة" حيث تقول: " إن الشخص الخــائن وإن نــسي دينــه وتربيتــه وإنسانيته فإن روحه وعقله الباطن لا ينسيان ذلك ابداً، فيبدأ العقل الباطن ببث طاقة عقاب الذات بالذات إلى جسد صاحبه، حيث يرسل إشارات على شكل قلق وتوتر وخوف قد يؤدي إلى قيامه بحوادث متكررة أو ارتكاب أخطاء فادحة في العمل أو مع الأشخاص، وإصابته بــضيق صــدر وكآبة شديدة وفشل ذريع".[1]

وبرأيي هذه نتيجة أكيدة لمن سلك مسلك الخيانــة، لأن الله تعــالى يقــول:] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا Z طــه: ١٢٤، فمن قام بذلك فإنه يعلم أنه دمر كل معاني المــودة والألفة ومعاني الشرف والغيرة والحياء والرجولة والسمعة الطيبة والمكانة بين الناس.

أما الشخص الذي تمت خيانته، فإن علماء النفس يشيرون إلى عدد مــن الآثــار، كإصــابته بالانهيار النفسي والعصبي مما يفضي به للإصابة بالاكتئاب الحاد، إضافة إلــى انعــدام الثقــة والشعور بفقدان الأمان مع زيادة القلق والتوتر والرغبة في الانتقام قد تتمثل بالرد بخيانة مماثلة،

(1) غريب، منى، ماذا يقول أخصائيو الطب النفسي في الخيانة، www.noo.problems.com

كذلك يشعر الشخص بمهانة واحتقار للطرف الخائن وأنه عاجز عن أداء دوره في الحياة الزوجية.[1]

والمرأة تتأثر بهذه الأمور أكثر من الرجل لأن العاطفة تغلب عليها، فكما أشار بعض الباحثين أنه عندما تعلم المرأة بخيانة زوجها لها، فإن أول ما تصاب به هو الصدمة العاطفية "emotional trauma" حيث تؤدي للشعور بالدونية وعدم الثقة بالنفس والاكتئاب الرغبة في الاختفاء والموت السريع.[2]

وتقول الأستاذة نور التركي مدير عام مركز الإستشارات النفسي: "إن من الآثار المترتبة على الخيانة الزوجية شعور المرأة التي يخونها زوجها بالإهانة، مما يؤثر على شخصيتها وتفقد الثقة في أنوثتها.[3]

ومن الآثار المشتركة على الزوجين الذي قام أحدهما بالخيانة، الشعور بصراع الشك تجاه أي تصرف يقوم به الآخر ظناً منه أنه يخونه، وتحول مشاعر الحب والمودة إلى الكره والحقد، إضافةً إلى ذبول مشاعر الأمومة والأبوة والانتماء الأسري، عدا عن حدوث العقد النفسية لدى أفراد الأسرة بسبب الفضيحة الاجتماعية التي سيواجهونها في كل أمر في مستقبلهم.

وهناك بعض الآثار الحسية التي تحدث نتيجة الخيانة الزوجية، كارتكاب الجرائم من قتل وانتحار، أو وقوع الطلاق والانفصال، أو الرد على الشريك الخائن بخيانة مماثلة، وقد تحدث بعض الأمراض العضوية مثل ألم المعدة وسرعة خفقان القلب وانخفاض الوزن[4]، قد تتجسد في شكل اضطرابات «سيكوسوماتية» أي مشكلات نفسية تعبر عن نفسها بطريقة جسمية أو بدنية مثل بعض اضطرابات القولون «القولون العصبي» أو بعض حالات قرحة المعدة والاثني عشر وبعض حالات الربو.[5]

---

(2) أثار الخيانة الزوجية ونتائجها الخطيرة، forum.te3p.com، بتصرف.

(2) العفيفي، عبد الحكيم، الخيانة الزوجية، أوراق شرقية- بيروت، ط1(1418-1998)، ص111، بتصرف.

(3) التركي، نور بنت محمد، الاثر الخطير للتهمش والإهانة، www.r3bob.com

(4) انظر، عبد الحكيم العفيفي، الخيانة الزوجية، ص112.

(5) انظر، سلطان العويضة، وصف الزواج المتوافق، www.r3bob.com

المبحث الرابع

أثر سلوكيات الزوج على الزوجة

المطلب الأول: أثر القوامة والمسؤولية

يقول الله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + ,

- . / 0 1 2 3 4 5 6 Z النساء: ٣٤.

وفي معنى القوامة يقول ابن عاشور: " والقَوَّام: الذي يقوم على شأن شيءٍ ويليه ويــصلحه، وقيام الرجال على النساء هو قيام الحفظ والدفاع، وقيام الاكتساب والإنتاج المالي، والتفضيل هو المزايا الجبلية التي تقتضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذبّ عنها وحراستها لبقاء ذاتها".(1)

ويشير الإمام محمد رشيد رضا إلى أن معنى القوامة هو: أن من شأن [الرجــال] المعــروف المعهود القيام على شؤون النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية، لذلك فرض على الرجــال أموراً لم يفرضها على النساء ليتحقق لهن ذلك، والاختلاف في التكاليف يعني اختلافاً في الفطرة والاستعداد.(2)

القوامة إذاً تعني الرعاية والحماية والمسؤولية والإنفاق، لذا فإن المسؤول عنها لابد أن تتوفر فيه عدة صفات لكي يستطيع القيام بها، لذلك كانت القوامة بيد الرجل لا المرأة لعدة مقتــضيات، أولها: مقتضى الفطرة الإنسانية، التي فطرت على وجود تابع ومتبوع في الحياة، وهذا ما أشــار إليه العقاد كما سيمر معنا وما أشار إليه أحد الباحثين، حيث قال: "إن مسألة الإشراف على عش

---

(1) ابن عاشور، الترير والتنوير، م2، ص38-39.

(2) رضا، محمد رشيد (ت1935م)، نداء للجنس اللطيف، دار الحديث- القاهرة، (د.ط)، ص41، بتصرف.

الزوجية وتحمل الأعباء...أمر هام وضروري وطبيعي في نفس الوقت، فكمـا أن سـنة الحيـاة تقتضي أن يكون لكل جماعة مسؤولاً عنها يحرص على راحتها ويدافع عنها، ويُحاسِب ويُحاسَب على أخطائها، فله حق الإشراف عليها، وحق الطاعة منها مادامـت توجيهاتـه لـصالح هـذه الجماعة، والأسرة جماعة صغيرة لا تخرج بطبيعتها عن النظام العام، لذا كان لابد لأحد أفرادها أن يكون هو القائد المسؤول عن رياستها والقوامة عليها".[(1)]

وثانيها: مقتضى الطبيعة البدنية، فقوة الجسد ضرورية لمهمة مثل القوامة، فرعايـة الأفـراد وحمايتهم تحتاج لبنية جسدية قوية قادرة على الدفاع عنهم والعمل والكسب مـن أجـل الإنفـاق عليهم، وهذا مايتوفر للرجال وتعجز عنه النساء في طبيعتهن الجسدية الرقيقة، فضلاً عما تكابدة من آلام وأوجاع تضعف جسدها كالحمل والولادة والسهر على الرضاعة وغيرها من أمور.

والمنطق يقول كذلك أن الضعيف يتبع القوي، يقول بعض الباحثين إن الإسلام كان عادلاً كل العدل عندما كلف الرجل بالقوامة باعتباره الأقوى، فليس من المعقول حكماً أن يكون الـضعيف مسؤولاً عن القوي، لذا أعفيت المرأة من مسألة القوامة لأن الله تعالى لا يكلفها فوق اسـتطاعتها مع وجود المستطيع.[(2)]

وثالث هذه المقتضيات: مقتضى الطبيعة العقلية والنفسية، فالرجل لا تغلب عليـه عاطفتـه أو يستجيب لانفعالاته بسرعة كالمرأة، إنما يحاول ضبط النفس والتفكير بروية وحكمة ليكون قـادراً على اتخاذ القرار المناسب، أما المرأة وبسبب ما تتعرض له من تغييرات فيسيولوجية تؤثر على تركيزها العقلي واستقرار العواطف والمشاعر لديها، فإنه يجعلها متقلبة المزاج سريعة الانفعـال

---

(1) عبد الحي الفرماوي، الخلافات الزوجية، ص11.

(2) المكتب العالمي للبحوث، الخلافات الزوجية في نظر الإسلام، دار مكتبـة الحيـاة- بيـروت، ط(1400-1980)، ص24، بتصرف.

والتشويش، فلا تستطيع اتخاذ القرار المناسب لعدم صفاء الذهن ولتغليب العقل على العاطفة، أما الرجل فلا يتعرض لذلك كله، وليس معنى ذلك أن كل الرجال حكماء، بل هناك من النساء مـن تستطيع التفكير أفضل من كثير من الرجال، خاصة في هذا الزمن الذي نعيش فيه وما يحدث فيه من انقلاب الموازين.

أما رابع هذه المقتضيات: فهو الكسب والإنفاق، وهذه مهمة الرجل وهو الأقدر عليها، فواجب عليه توفير الملبس والمأكل والمشرب والمسكن لأفراد أسرته، أما المرأة فليست مجبـرة علـى العمل والإنفاق عليهم إلا تطوعاً منها، وكما قال العقاد: "والقوامة هنا مستحقة بتفضيل الفطـرة، ثم بما فرض على الرجل من واجب الإنفاق على المرأة، وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لمن هو دونه فضلاً، وليس مرجعه إلى مجرد إنفاق المال، وإلا لامتنع الفضل إذا ملكت المـرأة مالاً يغنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الإنفاق عليه".[1]

وبعد شرح هذه المقتضيات فهمنا الحكمة من تكليف الرجل بالقوامة دون المرأة، فكـان ذلـك لطفاً إلهياً للرجل والمرأة، لأنه ناسب الخصائص النفسية والفكرية والجسدية لديهما.

على أن هناك جدلاً في فهم القوامة لدى الناس وخاصة الرجال بين مفهوم خـاطئ ومفهـوم صحيح، فعلى الرغم من أن القوامة التي كلف الله تعالى بها الرجال لهي مـن أشـرف الأمـور وأكثرها تكريماً للمرأة، إلا أن هناك من يفهمها بأنها تعني الرجل المتسلط على المرأة، والقـاهر لها، فهو المستبد برأيه، حامل العصا، المتجبر بقوة بدنه، المتكبر بإنفـاق مالـه، فهـذا المعنـى الخاطئ يعتقده عامة الناس.

لذلك نرى معظم الرجال الذين يتبنون هذا الفهم يسيؤن عشرة زوجاتهم ويستخدمون أسـلوب القمع والإكراه في كل أمر، حتى لو كانت الزوجة تمر بظـروف معينـة، فـإذا مـا أرادت أن

---

(1) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص10.

تتصرف بحريتها، أو تدلي برأيها، أو تعبر عن رغبتها في أمر ما، قام الرجل بمنعها من حقهــا، لأنه يعتقد أن لا رأي لها ولا حرية تصرف أمام رغبته وقناعته لأنه القائم عليها والأفضل منها برأيه.

وهذا بالطبع سينعكس على فكر المرأة وتعتقد أن القوامة هي تسلط عليها وهــضم لحقوقهــا وإنقاص من قيمتها وما إلى ذلك من معان فرضها عليها تعامل الرجل معها والمجتمع العــصري الجاهل، على الرغم من أن الفطرة تقتضي وجود قائد للمجموعة الكبيرة والصغيرة، وأن عــادة العرب كانت كذلك منذ القدم، يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد: " إن القرآن حينما نزل يعلــن قوامة الرجل على المرأة، لم يأت بجديد مخالف للمألوف، بل كان اعترافاً بوضع قائم فــي ذلــك المجتمع، وإعلاناً لأسبابه كما يراها الإسلام، لذلك لم يحدث هذا الاعتراف ضجة ولم يثر سخطاً لأنه وضع متساوق مع الفطرة نابع منها. أما نزعة الثورة على قوامة الرجل فلم تعرف إلا فــي هذا العصر كنتيجة للثورة الصناعية التي فتحت للمرأة مجال العمل والكسب والاخــتلاط الحــر، وكان الظن أن قوامة الرجل على المرأة راجعة إلى أنه المنتج الكاسب، وأنه متى أنتجت المــرأة واكتسبت فلا حاجة لها إليه ولا إلى قوامته".[1]

ولهذه المفاهيم الخاطئة آثار سلبية على نفسية المرأة حيث تشعر بأنها ضعيفة ومظلومة ليس لها اعتبار أو قيمة على الرغم مما تقوم به من أمور من أجل سعادة زوجهــا وبيتهــا، بالتــالي ستتمرد المرأة على قوامة الرجل التي تحمل هذه المفاهيم ويحدث التصادم بينها وبــين الرجــل، ويحدث صراع إثبات الذات أمام الآخر، فالإنسان بفطرته يكره أن يكون ضعيفاً أو ذلــيلاً لأحــد حتى لو كان أقرب الناس إليه، وهذا معناه نشوز المرأة عن طاعة زوجها وتمني القوامــة لهــا

---

(1) وافي، مصطفى عبد الواحد، الأسرة في الإسلام، مكتبة المتنبي، ط2(1392-1972)، ص71.

لأنها في نظرها تعطي الأفضلية لصاحبها على الآخر وتمتعه بالحقوق كاملةً، وهذا بدوره يحدث التنافر بين الأزواج والتشاحن بدلاً من الانسجام والتوافق بقيام كل منهما بوظيفته الأساسية.

وعندما يفهم الرجال القوامة بمعنى التسلط والتجبر والاستعلاء على المرأة، فإنهم سيقصرون تبعاً لذلك في القيام بوظيفة القوامة على المعنى الصحيح، يقول الأستاذ علي الشربجي: " إنه ليس من حق الزوج أن يتنازل عن هذه القيادة- [أي القيام على مصالح الأسرة]- أو يجود بها لأحد من افراد أسرته، تحت أي ظرف من الظروف، أو بأي حجة من الحجج، فإن التخلي عن الواجب يشكل خيانة لهذا الواجب وهدراً لكل المصالح المنوطة به والترتبة عليه".(1)

إن تخلي الرجل عن واجب القوامة يعني انتقالها إلى يد المرأة، وهنا تحدث الكارثة لأن وظائف الحياة الاجتماعية مختلفة ومتفاوتة، وما يصلح أن قوم به الرجل لا يصلح أن تقوم به المرأة، نظراً للاختلاف في الطبيعة والفطرة والاستعداد، فالمرأة عندما تتحمل أعباء القوامة فإنها ستشقى وتهلك وتتصرف وفق انفعالاتها السريعة وما تتعرض له في حياتها الأنثوية، فضلاً عما يتركه ذلك من أثر في نفسها هو الشعور بالتعاسة وعجز زوجها أن يكون رجلاً قوياً تعتمد عليه وبالتالي يقل احترامها وتقديرها له، يقول أحد الباحثين: " إن دراسات علم النفس قد أثبتت أن سعادة المرأة تكمن في اقترانها برجل قوي الشخصية يعاملها بالرفق واللين والعطف والحنان، وفي نفس الوقت بقدر مناسب من الجزم يتيح له السيطرة عليها سيطرة معتدلة، وأثبتت أيضاً أن المرأة التي تقترن برجل ضعيف عديم الشخصية تشعر بشقاء لا مثيل له".(2)

وينقل الباحث نفسه عن صحيفة إخبارية كلاماً للأستاذ محمد زكي أنه يقول: "المرأة تحب الرجل العصي، تحب أن تصطدم إرادتها بإرادته، تحب الصراع للظفر تأكيداً لسلطانها، وتحب

---

(1) الشربجي، علي، الأسرة السعيدة وأسس بنائها، اليمامة للطبع والنشر- دمشق، ط1(1422-2001)، ص123-124.

(1) انظر، أروع وأجمل وأحلى ما قيل في المرأة والنساء، أحمد حجازي، ص442.

أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته، ولكنها تغضب وتملأ الدنيا صياحاً وفي قــرارة نفــسها حلاوة الضعف أمام قوة الرجل".[1]

لكن هناك كثير من النساء من تحسن قيادة أسرتها في حال فقدها لزوجها بوفاته أو الطــلاق منه، وتكون قادرة على تربية أبنائها، وتوفير ما يلزمهم مادياً ومعنوياً، وتؤدي رسالة عظيمة في حياتها الأسرية، والاجتماعية، والمهنية.

لذا نستخلص أن مفهوم القوامة الصحيح لا يعني حبس المرأة وقهرها وإجبارها على التبعيــة الغاشمة والدكتاتورية المتسلطة، بل هي قمة الحنان والرعاية والمسؤولية وأداء الحقوق، وأنيطت للرجل لأنه الأقدر عليها، فقد تكون القوامة قيداً في جزء منها وهي عدم خــروج المــرأة عــن مشورة زوجها وطاعته في المعروف، لكنها في نفس الوقت ليست رقاً أو عبودية لهــا أو إلغــاء شخصيتها، وكما يقول سيد قطب: "إن هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت أو في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء لوضعها المدني، إنما هي وظيفة داخل كيان الأســرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها، ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود شخــصية ولا حقوق الشركاء فيها والعاملين في وظائفها. وقد حدد الإسلام صــفة قوامــة الرجــل ومــا يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية وتكاليف في نفسه وماله، ،آداب سلوكه مع زوجتــه وعياله".[2]

يقول أحد الباحثين: " إن الزوجة الرشيدة تدرك مدى فائدة كون القوامة بيد الرجل في البيــت وما يترتب عليها من الخير والبركة، وتدرك أن لا حطة في ذلك عليهــا ولا إهــدار لكرامتهــا

(1) انظر المصدر السابق ص443.

(1) سيد قطب، الظلال، م2، ص625.

ولدورها في الحياة، فهي تعلم أن لها دوراً لا يصلح له إلا هي ولا يقوى عليه غيرهـــا، فهـــي لا ترى أنها مهضومة في هذا التوزيع في الخصائص والمسؤوليات".(1)

وأقول في المقابل إن الرجل الرشيد يعرف ما عليه من واجبات أمام زوجتـــه وأولاده فيقـــوم على أمرهم، وشؤون حياتهم، ويصفح عن زلاتهم وتقصيرهم لأنه الأوسع صدراً والاحكم عقلاً، وإلا لما استحق أن يكون القائم على أمرهم، يقول الكاتب عبد الحليم أبو شقة: "فإنه ينبغي [علـــى الرجل] أن يتحامل على نفسه رفقاً برعيته، وذلك ليستحق مكان القيادة وفضلها، فإذا كان للقوامة فضل وشرف فهو فضل الرعاية الحانية وشرف تحمل المسؤولية، ولا فضل للقيِّم المقصِّر فـــي رعايته أو الغافل عن أعباء مسؤوليته، ثم إذا كان للرجل فضل القوامة وشرفها، فللمـــرأة فـــضل السكن وشرف الأمومة".(2)

وفي مقابل القوامة تأتي المسؤولية البيتية للمرأة كوظيفة أساسية لها، وأعني بذلك تدبير أمور البيت وأفراده، والقيام بواجبها من العنايـــة بـــالزوج وتربيـــة الأبنـــاء، فـــالله ســـبحانه يقـــول:

[0 1 2 3 4 5 6 Z النساء: ٣٤.

فكما أن الرجل قائم على أمر البيت وأهله، فعلى المرأة أن تتحمل جزءاً من ذلـــك بقـــدر مـــا تستطيع وما يناسب طبيعتها، فعليها طاعة زوجها بالمعروف وضـــمن إمكانياتهـــا، وأن تكـــون صالحة قانتة لله وتربي أهل بيتها على ذلك، بالإضافة إلى حفظ زوجها حال غيابـــه وحـــضوره بنفسها وماله وأولاده، وحفظ سرِّه بالعلاقة الخاصة بينهما، يقول سيد قطب: " وبعد بيان واجـــب الرجل وحقه والتزاماته وتكاليفه في القوامة، يجيء بيان طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة وسلوكها

(1) علي الشربجي، الأسرة السعيدة، ص142-125.

(2) أبو شقة، عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، دار القلـــم- الكويـــت، ط1(1414-1994)، ج5، ص100.

وتصرفها الإيماني في محيط الأسرة: " فالصالحات قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله" فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون، قانتة، مطيعة، والقنوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاظلة! ومن ثم قال: قانتات ولم يقل طائعات، لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رخية ندية، وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة، في المحضن الذي يرعى الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته، ومن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها كذلك، أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته - وبالأولى في حضوره - فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة - بله العرض والحرمة - مالا يباح إلا له هو - بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة. وما لا يباح، لا تقرره هي، ولا يقرره هو: إنما يقرره الله سبحانه: "بما حفظ الله".[1]

ويقول الإمام محمد رشيد رضا في تفسير"حافظات للغيب": "ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة...وعندي أن هذه العبارة أبلغ ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة، تقرأها خرائد العذارى جهراً، ويفهمن ما تومئ إليه مما يكون سراً، وهن على بعد خطرات من الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف أناملها، فلقلوبهن الأمان من تلك الخلجات، التي تدفع الدم إلى الوجنات، ناهيك بوصل حفظ الغيب "بما حفظ الله" فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي إلى ذكر الله الجلي، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الأستار، من تلك الخفايا والأسرار، وتشغلها بمراقبته عز وجل".[2]

(1) سيد قطب، الظلال، م2، ص652.
(2) محمد رشيد رضا، نداء للجنس اللطيف، ص43.

على أنه يجب التنبيه إلى أن خدمة الزوج والبيت من طبخ وغسل وتنظيف وغيرها من أمور، تدخل ضمن مسؤولية الزوجة من باب التطوع وليس الوجوب، "فقد ورد عن الإمام مالك والشافعي وأبي حنيفة، أنهم قالوا: لا يجب على [المرأة] خدمة زوجها في شيء، لأن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع، وأن الاحاديث المذكورة في ذلك إنما تدل على التطوع ومكارم الاخلاق".(1)

ويقول الإمام النووي: " هذا كله من المعروف والمروءات التي أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور..الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها، وحسن معاشرة وفعل معروف، ولا يجب عليها شيء من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم".(2)

وهذا يعود على الزوجين بالأثر الإيجابي، فعندما يرى الزوج حرص زوجته على توفير سبل الراحة له والقيام على أموره وخدمته، ينعكس على شعوره تجاهها بالرضا والقناعة، ومن ثم زيادة مشاعر الحب والمودة لها. أما إن قصرت المرأة في ذلك، فسيحدث العكس، بل قد يدفع ذلك الزوج للبحث عن زوجة أخرى تقوم على رعايته ورعاية بيته.

ومن الأمور التي تتصل بواجبات الزوج ومسؤوليته المعاشرة بالمعروف، والمعاملة الحسنة، يقول الله عز وجلّ:] وَعَاشِرُوهُنَّ ´ ¦ ¶ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا Z النساء: ١٩، فحسن خلق الرجل إنما يتجلى في معاملة أهل بيته، لكن للأسف هناك كثير من الرجال يتميزون بحسن معاملة الناس، والإحسان إليهم، والبشاشة في وجوههم،

---

(1) عابدة المؤيد العظم، سنن التفاضل، ص178.

(2) الإمام النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3(1404-1984)، ج14، ص164.

أما أهل بيته-زوجته وأولاده- فيعانون من غلظته وفظاظته في تعامله معهم، على الرغم من أن الرسول r قال: "خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"خيركم خيركم لأهلـــه وأنـــا خيـــركم لأهلي"[1]، ذلك أن" العشرة الكريمة للزوجة إنما هي فرع احترامها وتقديرها، والنظر إليها علـــى أنها شريك مكرم في كيان الأسرة...وفي هذا تشجيع لها على بذل مزيد من جهدها وفكرها فـــي مصلحة بيتها، عكس ما إذا شعرت الزوجة بعدم احترامها أو احترام أفكارها، فإنها ستمسك عـــن تقديم أي شيء يمكن أن يعود بالنفع على أسرتها".[2]

يقول الألوسي: " "وَعَاشِرُوهُنَّ" أي خالقوهن "بالمعروف" وهو ما لا ينكره الشرع والمـــروءة، والمراد ههنا النصفة في القسم والنفقة، والإجمال في القول والفعل، وقيـــل: المعـــروف أن لا يضربها ولا يسيء الكلام معها ويكون منبسط الوجه لها، وقيل: هو أن يتصنع لها كمـــا تتـــصنع له".[3]

وكما هو واضح من الآية أنها تحث الرجل على حسن العشرة حال الرضا وحال السخط، أي حـــال المـــودة وحـــال الكـــره] ¶ ﻭ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا Z، فلا يقوم الزوج بالإضرار بزوجته إن كرهها، بل عليه الإحسان إليهـــا فـــي كـــل الأحوال لعله يرضى منها شيئاً آخراً.

يقول الرازي: " "فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ" فيه وجهان: الأول: المعنـــى انكـــم إن كـــرهتم صـــحبتهن فأمسكوهن بالمعروف فعسى أن يكون في صحبتهن الخير الكثير ومن قال بهذا القول فتارة فسر الخير الكثير بولد يحصل فتنقلب الكراهة محبة، والنفرة رغبة وتارة بأنه لما كره صحبتها ثم إنه

(1) الترمذي، سنن الترمذي، باب فضل أزواج النبي، ص737.
(2) علي الشربجي، الأسرة السعيدة، ص143.
(3) الألوسي، روح المعاني، ج3-4، ص613.

يحمل ذلك المكروه طلبا لثواب الله، وأنفق عليها وأحسن اليها على خلاف الطبع، استحق الثواب الجزيل في العقبى والثناء الجميل في الدنيا، الثاني: أن يكون المعنى إن كرهتموهن ورغبتم في مفارقتهن، فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيراً، وذلك بأن تتخلص تلك المرأة من هذا الزوج وتجد زوجا خيراً منه".[1]

قال الزمخشري: " فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ" فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها، فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك، ولكن للنظر في أسباب الصلاح".[2]

ولابد من وجود حكمة في حث الرجال على معاملة النساء بالحسنى حتى لو كرهوا نساءهم، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور، قال: " والمقصود من هذا: الإرشادُ إلى إعمال النظر وتغلغل الرأي في عواقب الأشياء، وعدم الاغترار بالبوارق الظاهرة، ولا بميل الشهوات إلى ما في الأفعال من ملائم، حتّى يسبره بمسبار الرأي، فيتحقّق سلامة حسن الظاهر من سُوء خفايا الباطن".[3]

وهذا دأب القرآن الكريم الذي يحفظ حق الضعيف، فالله تعالى يوصي بالمرأة دائماً، لأنه خلقها وهو يعلم هذا الضعف فيها، يقول العقاد: " ومعاملة الأدب تلخصها في القرآن الكريم كلمتان: المعروف والحسنى، فليس في هذا الكتاب المبين كلمة تنص على معاملة للمرأة حالي الرضى والغضب، وفي حالي الحب والجفاء، وفي حالي الزواج والطلاق، لم يصحبها التوكيد بوجوب المعروف الحسنى، وإنكار الإساءة والإيذاء، وشعور المعاملة القرآنية للمرأة هو

(1) الرازي، التفسير الكبير، م4، ص13.
(2) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص45.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م2، ص287.

دستور "المرأة الخالدة" في وظيفتها النوعية، ووظيفتها التي يصلح عليها البيت والمجتمع، ما استقام نظام البيت ونظام الاجتماع".[1]

لذا يتوجب على الزوج أن يلاطف زوجته وأولاده، ويداعبهم بالكلام الجميل الرقيق، فهذا يلبي فطرة الزوجة التي جبلت على العاطفة، فلا يضير الزوج أن يقول كلمة حب أو غزل لها، بل يسعد هو وهي بهذا، لأنه يملأ العاطفة والحاجة للحب والحنان، والمرأة إذا ما شعرت بإحسان الزوج إليها، فإنه يكبر بعينها وتشعر بالأمان معه، فيزيد حبها وتبذل في سبيل إرضائه ما استطاعت عليه.

فقوله تعالى: " **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**" يشمل تعامل الرجل للمرأة في كل حالاته وحالاتها، فينبغي عليه الصبر على نقاط الضعف فيها، سواءً كانت في الجمال أو الأخلاق أو التصرفات، وعليه أن يصبر على أخطائها لأنها سريعة الانفعال، وتنقاد وراء العاطفة، ويدخل في ضمن ذلك رحمة الزوجة حال مرضها والقيام على العناية بها.

ومن الأمور المهمة الترويح عن الزوجة وكسر حالة الملل والرتابة في الحياة الزوجية، فالخروج من البيت إلى مكان التنزه يجدد نشاط الإنسان ومشاعره، وبالتالي ينعكس على العلاقة الزوجية بالخير والبركة.

---

(2) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص164.

المطلب الثاني: أثر تعدد الزوجات

في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن أبعاد تعدد الزوجات بين قبول ورفض وشروط وأحكام، أحببت أن أسلط الضوء على آثار تعدد الزوجات النفسية والاجتماعية للرجل والمرأة خاصة.

إن مسألة تعدد الزوجات ظاهرة خاصة بالمجتمعات العربية الإسلامية، أما في الغرب فهناك ما يعرف بتعدد العشيقات والخليلات غير الزوجة، وهذه المسألة تعتبر من أكثر الموضوعات إثارة للجدل، لأنها ترتبط بمفاهيم وأفكار وانفعالات نفسية للرجل والمرأة، وليس مصادفة أن تطفو على السطح حالياً وتمثل مسألة جادة تثير الاهتمام والنقاش.

لقد تحدثت عن المشكلات الزوجية سابقاً، بحيث أصبحت تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل العلاقات الأسرية والاجتماعية، خاصةً في هذا العصر الذي أصبحت أقل الأمور فيه وأصغرها يحدث قلقاً نفسياً للزوجين، فكيف في حالة إيجاد بيت ثان أو ثالث أو رابع.

إن الرؤية النفسية لظاهرة تعدد الزوجات ليست حكراً على المجتمعات العربية الإسلامية، لكنها مرتبطة بالثقافة الإسلامية أولاً، وبطبيعة الإنسان ثانياً، لذلك وجه بعض علماء النفس العرب والغربيين اهتمامهم لدراسة معطيات هذه الظاهرة والكشف عن أسبابها ومآلاتها، فوجود أكثر من امرأة في حياة الرجل سواءً بالزواج أو إقامة علاقات خارج هذا الإطار، دفعهم للاهتمام بذلك.

أما وجهة نظر الإسلام في تعدد الزوجات فهي واضحة محددة وغير مشوشة، يقول الله عز وجلّ:] T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f

g h i j k l m n o p q Z النساء: ٣.

فمما يتضح لنا من الآية أنها ربطت موضوع التعدد بسبب للإقدام عليه، وقيدته بشرط لإتمامه، وهذا يقاس على كل الحالات، فأسلوب القرآن هو الإيجاز والاختصار، فيذكر الحالة ويمكننا القياس عليها، فالأمر هنا كان مباحاً وليس واجباً، وكونه مباحاً يعني إذا اقتضت الحاجة إليه.

وإذا فصلت في حكمه، فإن الأمر المباح كما هو معلوم تسري عليه جميع الأحكام حسب الحالة، فقد يكون حراماً إذا علم الزوج أن له أثراً سيئاً يؤدي إلى خراب بيته الأول، أو فيه أذى للزوجة الأولى، أو فيه أذى للثانية كأن يكون عقيماً أو مريضاً مرضاً مزمناً، وقد يكون واجباً إذا تيقن أنه سيقع في الحرام إن لم يتزوج ولم يستطع الحصول على مبتغاه من الزوجة الأولى لسبب ما، وقد يكون مكروهاً وقد يكون مندوباً، وهكذا حسب الحالة التي تقتضي السماح به أو منعه.

وأشعر هنا أن الشارع الحكيم يحبب الاكتفاء بواحدة، لأنه قيد تعدد الزواج بشرط العدل، وهو يقول في موضع آخر:] B C D E F G H I K L M

N O P R S T U V W X Y Z النساء: ١٢٩،

ومعنى النص واضح، فالله تعالى خلق الإنسان ويعلم توجهاته وقدراته، وقرر أن الرجال لا يستطيعون العدل بين الزوجات، حتى لو كان المقصود هو العدل القلبي الذي أشار إليه الحديث النبوي- مع أنني أرجح عموم النص وأنه يشمل كل ما بين الرجال والنساء في العشرة المادية والمعنوية، فليس في النص ما يقيدنا بالناحية القلبية، والحديث النبوي لم يكن تفسيراً للآية فلا نعتبره مقيداً والله أعلم- لكن رحمة الله سمحت بتعدد الزواج لعدم الوقوع في محظور أكبر إذا ما دعت الحاجة إليه، ومعنى ذلك أنه يلزم لتعدد الزواج سبب قوي ومقنع، ويؤدي عدم الإقدام

عليه إلى وقوع الفتنة. أما الإقدام عليه من أجل التسلية، أو التحجج بإقامة السنة التي ضاع منها الكثير ولم يفطن الرجال في إقامتها إلا لتعدد الزواج، أو ما إلى ذلك، فبرأيي أنه مكروه، لأن الرجل لن يستطيع العدل بين زوجاته مهما اجتهد، وهذا ليس كلامي بل كلام الله عز وجل، فالبشر لا ضابط لسلوكهم إلا تقوى الله تعالى، فأين التقي في هذا الزمان إلا من رحم ربي؟، وليفكر الرجل في حالة زوجته الشعورية إن تزوج عليها بدون ضرورة قائمة ولم يعدل بينها وبين الأخرى كيف يكون مدى الجرح الذي أصابها؟

يقول ابن عاشور: " إنّ العدل لا يستطيعه كلّ أحد، وإذا لم يقم تعدّدُ الزوجات على قاعدة العدل بينهنّ اختلّ نظام العائلة، وحدثت الفتن فيها، ونشأ عقوق الزوجات أزواجهنّ، وعقوق الأبناء آباءهم بأذاهم في زوجاتهم وفي أبنائهم، فلا جرم إن كان الأذى في التعدّد لمصلحة يجب أن تكون مضبوطة غير عائدة على الأصل بالإبطال".[1]

يقول العقاد: " فليس النص على إباحة تعدد الزوجات لأنه واجب على الرجل أو مستحسن مطلوب، وإنما النص فيه لاحتمال ضرورته في حالة من الحالات. ويكفي أن تدعو إليه الضرورة في حالة بين ألف حالة، لتقتضي الشريعة بما يتبع في هذه الحالة ولا تتركها غفلاً من النص الصريح".[2] يفهم من هذا الكلام، أن الإسلام راعى حالات الإنسان وظروفه وطبيعته، ولم يكبته أو يجعله في حيرة من أمره في ما يواجهه من أمور في حياته، فالشرع أباح تعدد الزواج مراعاةً لأحوال الرجال مع نسائهم، لأنه لو لم يسمح بذلك وحصل ما يدعو إلى الزواج مرة أخرى تقع الكارثة بانتشار المحرمات، وفي نفس الوقت لم يندب إليه أو يحببه بسبب ما قد يحدث من مشكلات تعود بالخراب على البيت الأول، وقد تطول البيت الثاني، حسب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص227.

(2) عباس العقاد، المرأة في القرآن، ص108.

استقبال الزوجة لهذا الوضع والتعامل معه، وكل رجل يعلم درجة استقبال زوجته الأولى لمثل ذلك الأمر، فعليه أن يقدر الأمور ويقيسها من جميع الجوانب.

فالمرأة بطبيعتها غيور، أنانية، تخاف على مستقبلها، هذا المزيج من المشاعر يمنعها من تقبل الزواج عليها- أو حتى قبول تعدد الزواج لأبيها أو أخيها من غيرتها عليهم- فالمرأة تسعى جاهدةً لإيجاد السعادة في بيتها والمحافظة عليه من أي دخيل حتى لو كان من الأهل، فبطبيعة الحال لا تحب المرأة أن يشاركها أحد في زوجها وأولادها وبيتها، لأنها تعتقد أنهم ملك لها هي، فهي من تعب عليهم وضحى من أجلهم، فعليهم أن يبذلوا كل ما في وسعهم لإرضائها، وطبعاً لا يكون كذلك إن تزوج عليها زوجها، إضافةً إلى أن المرأة بطبيعتها تحب الاستقلال والاستقرار في أسرتها، لذلك تحاول تصغير حجم العلاقات بأسرتها كي تبقى منظمة ومنضبطة وتستطيع السيطرة على زمام أمورها، فكيف حال تشعب الأسرة نفسها إلى بيت ثان وثالث ورابع.

وإذا تأملت النص القرآني وجدته يعبر بقوله تعالى: " **ذلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ**" وقد أشار معظم المفسرين* إلى أن معناها: أن لا تكثر عيالكم، أو فسروها بعدم الظلم والجور، أو حصول الفقر، لكن هناك قول مغاير للبقاعي في معناها، وهو أن "تعولوا" من اللوعة التي فسرها بـ: "اللوعة: حرقة توجد من الحزن أو الحب أو المرض أو الهم، لأنها تعلو الإنسان"[(1)]. وهذا يعني أن الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب إلى عدم إصابة المرأة بالحزن والهم والمرض بسبب زواج زوجها عليها والتمتع بأخرى.

(*) لقد رجعت إلى عدة مفسرين منهم الطبري، الألوسي، أبو حيان، الرازي، البقاعي، الزمخشري، ابن عاشور، سيد قطب، ولم أجد عندهم ما يخدم دراستي وما توصلت إليه من نتائج، فتجنبت ذكر أقوالهم لتجنب الحشو الذي لا داعي له.

(1) البقاعي، نظم الدرر، ج2، ص211.

لقد عدد بعض الباحثين في هذا المجال بعض الأسباب الداعية لإقدام الرجال على تعداد الزواج، منها ماهو مقنع ومنها ما هو غير ذلك، لكن الجديد في الأمر أن هناك بعض الأقوال العلمية في تكوين الرجل تدعوه لتعداد الزواج، اكتشفها بعض علماء النفس، وهي:

أولاً: يقول أستاذ علم النفس الدكتور أديب نادر: "إن الميل إلى تعدد الزوجات عند الرجل ميل فطري، ونظام الزوجة الواحدة يتعارض مع طبيعته التكوينية، والنزعة نحو إقامة علاقات متعددة موجودة في تركيب دماغ الرجل".[1]

ثانياً: تقول ليزا دايموند أستاذة علم النفس في جامعة يوتا الأمريكية: "إن هناك أدلة بيولوجية على أن التعدد في علاقات الرجال الجنسية هو أمر نابع من تكوينهم الجسماني".[2]

ثالثاً: يرى كنزي أشهر الباحثين في سلوك الإنسان، أن التعددية لدى الرجل هي الأصل، ولعل ذلك مرده إلى عناصر الوراثة، حيث إن الذكر في جميع الثدييات يواقع عدداً كبيراً من الإناث.[3]

رابعاً: تقول الدكتورة سامية الجندي أستاذ علم الاجتماع: "إن سيكولوجية الرجل تحوي الملل، لذا لو كانت الزوجة ملكة جمال فمن الممكن أن يفكر الرجل في الزواج مرة أخرى".[4]

ولي تحفظ على كلامهم بأن تعدد الزوجات لدى الرجل طبيعة له، نابعة من تكوينه الجسدي والعقلي، وأن وجود امرأة واحدة لديه يتعارض مع هذه الطبيعة، وأنا لا أنكر ذلك بل كان الأصح أن يشيروا إلى استعداد الرجل لتعداد الزواج جسدياً وعقلياً، لا أنه طبيعة يتعارض معها

---

(1) نادر، أديب محمد، الحرة لا تقبل الضرة، alfdhela.com

(2) رزق، مروة، تعدد الزوجات..الخيانة..الجاذبية..أسبابها إفرازات هرمونية، www.almoheet.com

(3) مهدي، د.محمد، إدمان الفتوحات العاطفية، www.islamonline.net

(4) الزوجة الثانية بين إقامة السنة وضياع الفرض، www.balagh.com

وجود زوجة واحدة، لأن هناك نسبة كبيرة من الرجال لديهم زوجة واحـــدة مكتفـــين بهـــا، ولا يشعرون بتخبط وحيرة داخلهم بسبب عدم تعدادهم للزواج.

وهناك كثير من الأسباب المادية المعتاد ذكرها في كتب الباحثين(*) التي تدعو الرجل للـــزواج مرة أخرى على زوجته، مثل مرض الزوجة وعدم قدرتها على القيام بواجبات الزوجية، أو عقم الزوجة، أو نشوزها وخروجها عن طاعة زوجها، إلى غير ذلك من الأسباب المعروفة لا داعي لذكرها لعدم الإطالة، لكنني ألخص الدوافع المادية والمعنوية بما يلي:

إن الإنسان يسعى إلى إشباع الذات على عدة مستويات، وهي: المستوى العاطفي، والجسدي، والعقلي، فإذا فقد الإنسان الإشباع لأحد هذه المستويات في شريكه شرع في البحث عنهـــا فـــي آخر، ومن نفهم حدوث الخيانة الزوجية من أحد طرفي العلاقة- الرجل أو المـــرأة-، أو تعـــدد الزواج للرجل، أو حدوث الطلاق لكلا الطرفين.

لكن السؤال المهم هنا: هل يجب على الإنسان أن يحصل على الإشباع لكل هذه المـــستويات بشكل تام؟ وهل من المنطق في حال عدم الإشباع لجوء الرجل أو المرأة إلى شريك آخر؟

إن الإجابة عن هذا السؤال محيرة جداً، فكل واحد منا يسعى للحصول على الإشباع لكل هـــذه المستويات في شريكه الذي ارتضاه، ومن هنا تبرز أهمية اختيار الشريك، لكن على الرغم مـــن ذلك تبقى هناك عدة جوانب مجهولة لا يتم الكشف عنها إلا بعد العشرة، فإذا كانت الإجابة عـــن السؤال السابق بنعم، فإن ذلك يعني حتمية تعدد الزواج للرجل، أما المرأة فماذا تفعل؟ هل تخون؟ هل تطلب الطلاق؟ هل هذا هو الحل؟.

(*) انظر، العطار، محمد عبد الناصر، تعدد الزوجات، دار الشروق، (د.ط)، ص23، وانظر، عبيدات، رافـــع محمد، موقف الإسلام من تعدد الزوجات، دار الكتاب- الأردن، ط(2001)، ص17-24.

يجيب على ذلك الطبيب النفسي الدكتور محمد المهدي حيث يقول: " فى الواقع إن الإنسان لا يحصل على كل احتياجاته في أي شيء بل تبقى لديه احتياجات غير مشبعة، وهذا مفيد لنموه النفسي وتطوره على مستويات مختلفة، فدرجة من الحرمان مطلوبة للصحة النفسية، ودرجة من التسامي عن الاحتياجات الدنيا وتعويضها باحتياجات أرقى في العلم والعمل والدين وخدمة المجتمع والارتقاء بالحياة، أيضا مطلوبة للصحة النفسية ولإنقاذ الإنسان من طمعه وجشعه وتورطه في الإشباع من المستويات الدنيا للاحتياجات.

أما إذا تغلب الطمع على الإنسان وسعى بشراهة لإشباع كل رغباته فإنه بذلك يبتعد عن الصحة النفسية ويدوس في نفس الوقت الكثير من القيم الاجتماعية والأخلاقية، وتفوته الكثير من ملذات النجاح والإنجاز والرقي والتحليق في الآفاق العليا للنفس والروح وهي أكثر إمتاعا وخلوداً، ولا يوجد إنسان قادر على إشباع احتياجات إنسان آخر بشكل كامل، ومن هنا يبدو مفهوم الرضا بالمتاح من الشريك الشرعي (الزوجة أو الزوج)، ومحاولات إيجاد وسائل إشباع على مستويات أرقى -كما ذكرنا- مثل العلوم والفنون، والإصلاح الديني أو الاجتماعي، والارتقاءات الروحية، وهذه الإشباعات البديلة والأرقى هي مخرج صحي حتى لا يغرق الإنسان في احتياجاته الجسدية أو العاطفية الدنيا".(1)

القناعة إذاً كنز لا يفنى، فعلى الرجل والمرأة أن يقدرا الأمور بتوازن وكثير من الحسابات كي تستقيم الحياة، والابتعاد قدر الإمكان عن كل ما يؤذي العلاقة ويدمرها، وتعدد الزواج يعود على الرجل والمرأة بآثار سلبية كثيرة، أشار إليها علماء النفس من خلال دراساتهم.

---

(1) محمد المهدي، إدمان الفتوحات العاطفية، www.islamonline.net

وأول هذه الآثار إصابة الزوجة الأولى بمتلازمة مرضية تبدأ برد فعل عصبي بـرفض هـذا الزواج الثاني، وإبداء الغضب والمقاومة، وتحتاج لقبول هذا الواقع مدة تتراوح من ستة شـهور إلى عامين.[1]

كذلك تكره الزوجة الأولى زوجها وتشمئز من معاشرته، أي توجه عـدوانها للخـارج تجـاه زوجها الخائن بنظرها، وقد ينتابها الإحساس بالنقص وفقدان الثقة بالنفس، أي توجـه مـشاعرها وأفكارها إلى الداخل تجاه نفسها، وقد تصحو الزوجة ولكنها لا تتوجه لزوجها إنما إلـى غيـره خاصة مع وجود دافع خفي في العقل الباطن للثأر من الـزوج ورد الـصفعة لـه[2]، وتـصاب الزوجة الأولى كذلك بحالة من التعاسة والإحباط وفقدان الأمان[3].

فهذه الأقوال كلها تؤكد تعرض الزوجة الأولى لحالة من الانهيار والعـزوف عـن الحيـاة، وأساس الرفض النفسي لتعدد الزوجات لدى المرأة ناشئ من طبيعة فطرية من جهة ومن جهـة أخرى ينتج عن البيئة والمجتمع والثقافة التي نشأت فيها.

فطبيعة المرأة أنها تغار، وقد تصل في حالة مثل الزواج عليها لدرجة الغيرة السلبية وما لهـا من آثار - شرحتها في مطلب سابق يمكن الرجوع إليه - قد تؤدي إلى تدميرها هي ومن حولهـا، وليس هذا الشعور بيدها، لأنها ترى الزواج وفاء وإخلاص مدى الحياة وأي إخلال بـذلك يعـد خيانة لا تغتفر، لذلك تبذل في سبيل الزوج الكثير، وتضحي من أجله ومن أجل بيته.

قد لا يدرك الرجل مدى الجرح الذي سببه لزوجته الأولى عندما يتزوج عليها بأخرى، لأنـه لا يملك من العواطف ما تملكه، لكنه على الأقل يعلم أنها ذات مشاعر حساسة ومرهفـة ولـيس

---

(1) الأسمري، عبير، تعدد الزوجات من منظار الطب النفسي، drdia.com
(2) محمد المهدي، إدمان الفتوحات العاطفية، www.islamonline.net
(3) جاب الله، شعبان، الزوجة الثانية بين إقامة السنة وضياع الفرض، www.balagh.com

بالضرورة أن يشعر مثلها ليدرك ذلك كله، فالزواج على المرأة يعني التخلي عنها في نظرها، ويعني أنها ستشك في أنوثتها، ويعني أن تعبها في حياتها الأسرية ذهب هباءً منثوراً، أوَ بعد ذلك كله نلوم المرأة ونقول لها: تعدد الزواج من حق الرجل ولا يحق لك منعه منه؟.

في هذه الأحوال تشعر المرأة بالضعف، لأن الرجل استخدم سلاحاً لا تملكه هي، فتعتبر ذلك ظلماً لها -بغض النظر عن استحضار النظرة الشرعية للوضع بالنسبة لها-، فتختزن في داخلها مشاعر القهر والحزن ونفاد الحيلة.

هكذا هي المرأة، وستظل أنثى أبد الدهر، ولا يصلح أن يعنفها أحد على طبيعتها وفطرتها التي خلقها الله تعالى عليها، فمن الصعب عليها أن تتقبل من ينافسها، لأنها تبذل في سبيل التفوق على قريناتها كل ما تستطيعه، فكيف إذا كانت شريكةً لزوجها؟، في هذه الحالة ستتعب وتحزن وتشقى في سبيل التفوق عليها، وعلى الرجل أن يشعر بذلك ويقدر ما تمر به المرأة في وضع كهذا.

المطلب الثالث: أثر الطلاق والظهار والإيلاء (الهجر)

إن الزوجية قائمة في أساسها على رجل يرتبط بامرأة، وعندها يسمى كل منهما زوجاً(اثنين)، مما يعني أنهما يكملان بعضهما، ولا تتم إنسانيتهما في الحياة الزوجية إلا بالآخر، وعليه فإن من مصلحة هذه الزوجية بالفطرة والشرع والعقل أن يبذل كل من الزوجين جهده في سبيل إقامة حقوق الآخر بالمودة والرحمة والتعاون.

لذا على الزوجين أن يحترم كل منهما الآخر، وشخصيته، ورغباته، وفكره، وثقافته، فهما شخصان مختلفان مهما حصل بينهما من التقارب، فالانسجام في هذه العناصر يحتاج إلى تفاهم بينهما في وقت طويل حتى يصلا إلى ما يرضيهما ولو نسبياً.

فإذا ما قصر أحد الزوجين في هذه العملية، فإنهما سيقعان في فجوة اللاتفاهم، ويعجزان عن إقامة الحقوق وحدود الله في زوجه، وهذا بدوره يؤدي إلى التنافر والانفكاك بوجوه عدة، مثل وقوع الانفصال بالطلاق، يقول الله تعالى:] v w y z { | } وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ ©يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا ´ µ ¶ ¸ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ Z البقرة: ٢٢٩، أو بالهجر كالظهار والإيلاء، يقول الله عز وجل:] 5 6 7 8 9 : ; < > ? @A B D E F G H I K L M N Z المجادلة: ٢، ويقول سبحانه وتعالى:] 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > Z البقرة: ٢٢٦.

فالطلاق: هو فسخ عقد النكاح بين الزوجين، وما يترتب عليه من استحلال كل منهما للآخر، بحلف الزوج على زوجته يمين الطلاق، أو افتداء المرأة نفسها بمالها من زوجها بالخلع.

أما الإيلاء، يقول الرازي: " الإيلاء في عرف الشرع فهو اليمين على ترك الوطء".[1] أي أن يحلف الزوج على زوجته بأن لا يجامعها أبداً، بسبب غضبه عليها.

والظهار، يقول ابن عاشور: " ومعناه أن يقول الرجل لزوجه: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي. وكانَ هذا قولاً يقولونه في الجاهلية يريدون به تأبيد تحريم نكاحها وبتّ عصمته".[2] أي يشبه حرمة زوجته عليه بالوطء كحرمة أمه عليه.

---

(1) الرازي، التفسير الكبير، م2، ص429.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص10.

إن الزواج يقسم بين الزوجين المودة والرحمة والسكينة، والعلاقة الجنسية تساهم في بناء هذه المشاعر، لأنها تجعلهما أقرب ما يكونان من بعضهما، وتجعل الزوج يتعلق بزوجته والزوجة تتعلق بزوجها، لكن قد يطرأ على العلاقة الزوجية ما يجعل الزوج يهجر مجامعة زوجته ظهاراً أو إيلاءً لأسباب غالبها: نفور الزوج من زوجته بسبب نشوزها وإعراضها عنه وعن طاعته، أو ارتكاب الزوجة أمراً يُغضِب الزوج، فيحلف في لحظة الغضب هذه بيمين يحرمها عليه بغرض تأديبها، لكن هجر الزوجة للتأديب له شروط معينة، وهي أن يكون هناك سبب مقنع للهجر، وأن يكون بعد النصح والإرشاد، وأن لا يعلق بيمين التحريم، وله مدة معينة لا تتجاوز الأربعة أشهر قياساً على الإيلاء.

أو من أسبابه كذلك أن الزوج كان ظالماً فاجراً، يلبي غريزته الجنسية بطريق الحرام، وعندما يعود لزوجته يكون قد أشبع حاجته ولا يلزمه منها شيء، دون أن يراعي تقوى الله في نفسه أو في زوجته وحاجتها إليه.

وقد يكون متزوجاً من أخرى ويفضلها على الأولى، فيشبع نفسه دون أن يراعي حال التي هجرها وحاجتها للإشباع العاطفي والجسدي.

لكن هجر الزوجة بدون ضوابط الشرع ظلم للزوجة وله تأثير سلبي عليها وعلى سلوكها فيما بعد، فالزوجة تحتاج لزوجها لأنها ضعيفة تفتقر إلى الإيواء والاهتمام والعطف والتودد، فإذا ما هجرها زوجها فإنه يهاجمها الإحساس بالوحشة والأرق وعدم الاستقرار، إضافةً إلى ضعف ثقتها بنفسها لأنها فقدت سلاح الأنوثة الأكبر وهو الإغراء، عدا عن شعورها بالظلم والقهر لتركها حبيسة حاجتها الفطرية لإشباع غريزتها، التي قد يؤدي إلحاحها عليها للانحراف وسلوك طريق الفواحش لإشباعها إذا ما غابت تقوى الله في النفوس.

يقول سيد قطب[*] في قوله تعـــالى:] 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; <

= > Z: "إن هناك حالات نفسية واقعة، تلم بنفوس بعض الأزواج، بسبب من الأسباب في أثناء الحياة الزوجية وملابساتها الواقعية الكثيرة، تدفعهم إلى الإيلاء بعدم المباشرة، وفـــي هـــذا الهجران ما فيه من إيذاء لنفس الزوجة؛ ومن إضرار بها نفسيا وعصبياً؛ ومن إهـــدار لكرامتهـــا كأنثى؛ ومن تعطيل للحياة الزوجية؛ ومن جفوة تمزق أوصال العشرة، وتحطم بنيان الأسرة حين تطول عن أمد معقول. ولم يعمد الإسلام إلى تحريم هذا الإيلاء منذ البداية، لأنه قد يكون علاجاً نافعاً في بعض الحالات للزوجة الشامسة المستكبرة المختالة بفتنتها وقدرتها على إغراء الرجـــل وإذلاله أو إعناته. كما قد يكون فرصة للتنفيس عن عارض سأم، أو ثورة غضب، تعـــود بعـــده الحياة أنشط وأقوى.

ولكنه لم يترك الرجل مطلق الإرادة كذلك، لأنه قد يكون باغياً في بعض الحالات يريد إعنات المرأة وإذلالها؛ أو يريد إيذاءها لتبقى معلقة، لا تستمتع بحياة زوجية معه، ولا تنطلق من عقالها هذا لتجد حياة زوجية أخرى. فتوفيقاً بين الاحتمالات المتعددة، ومواجهة للملابسات الواقعية فـــي الحياة، جعل هنالك حداً أقصى للإيلاء، لا يتجاوز أربعة أشهر. وهذا التحديد قد يكون منظـــوراً فيه إلى أقصى مدى الاحتمال، كي لا تفسد نفس المرأة، فتتطلع تحت ضغط حاجتها الفطرية إلى غير رجلها الهاجر".[1]

ويقول كذلك في قوله تعالى:] O P Q R S T U Z الأحزاب: ٤.

(*) لقد رجعت إلى عدد من التفاسير في آيات الظهار والإيلاء، ولم أجد أحداً من المفسرين تكلم عنها بما يخدم رسالتي، إلا هذه اللفتات من تفسير الظلال، ومن هذه التفاسير: تفسير الألوسي، أبو حيان، الرازي، البقاعي، الزمخشري، ابن عاشور، الشنقيطي، وقد تحدثوا عن الأحكام الفقهية، وسبب النزول، وغيرها من المـــسائل التي لا داعي لها في هذه الدراسة.

(1) سيد قطب، الظلال، م1، ص244.

"كان الرجل في الجاهلية يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي. أي حرام محرمة كما تحرم عليّ أمي. ومن ساعتئذ يحرم عليه وطؤها؛ ثم تبقى معلقة، لا هي مطلقة فتتزوج غيره، ولا هي زوجة فتحل له. وكان في هذا من القسوة ما فيه؛ وكان طرفاً من سوء معاملة المرأة في الجاهلية والاستبداد بها، وسومها كل مشقة وعنت.

فلما أخذ الإسلام يعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة؛ ويعتبر الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى؛ ويوليها من عنايته ما يليق بالمحضن الذي تنشأ فيه الأجيال، جعل يرفع عن المرأة هذا الخسف؛ وجعل يصرف تلك العلاقات بالعدل واليسر، وتسلم الأسرة من التصدع بسبب تلك العادة الجاهلية، التي كانت تمثل طرفاً من سوم المرأة الخسف والعنت، ومن اضطراب علاقات الأسرة وتعقيدها وفوضاها، تحت نزوات الرجال وعنجهيتهم في المجتمع الجاهلي".[1]

أما الطلاق فهو أوسع باباً من الهجر بالظهار والإيلاء وغيرها من الطرق، لأن له آثاراً على مدى أوسع، فترك العلاقة الجنسية أو المحادثة جزء منه، وليست هي محوره.

وأسباب الطلاق ودوافعه كثيرة لا تعد ولا تحصى، لأنها تختلف من زوجين لآخرين، حسب الشخصية والبيئة والثقافة والوضع الاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك، لكن يمكن القول إن لهذه الأسباب إطاراً عاماً وإطاراً خاصاً، فأما العام فهو: أي خلل يحدث بين الزوجين سبَّبَ مشكلات عجزا عن حلها، وبالتالي عدم القيام بالواجبات المنوطة بكل منهما تجاه الآخر، وحدوث التنافر وعدم الاستقرار بينهما.

والإطار الخاص هو: أسباب اجتماعية وثقافية، أسباب نفسية وصحية، أسباب اقتصادية، أسباب أخلاقية.

---

(2) سيد قطب، الظلال، م5، ص2824.

أولاً: الأسباب الاجتماعية والثقافية، منها: اختلاف طراز الحياة والمعيشة بين الزوجين، واختلاف اهتماماتهما، أيضاً اختلاف العادات والتقاليد، والعيش مع أهل الزوج في السكن، والتباين في المستوى الفكري والثقافي بينهما، مع تعذر الوصول إلى نقطة حوار مشتركة.

ثانياً: الأسباب النفسية والصحية، منها: حصول النفور بين الزوجين وفقد عنصر الحب والرغبة بينهما، وهذا يعني عدم الانسجام العاطفي والجسدي بين الزوجين، أو مرض أحد الزوجين بشكل مزمن يمنعه من أداء واجبات الزوجية، وقد يكون عدم تفهم كل منهما لنفسية الآخر وطبيعة شخصيته.

ثالثاً: الأسباب الاقتصادية، فالحياة الزوجية الأسرية بحاجة إلى عبء مادي كبير، قد يعجز الزوج عن تسديد متطلباتها، خاصة مع بخل الزوج وشحه، أو إسراف الزوجة وبذخها، هذا بدوره يؤدي للطلاق ليتخلص الزوج من هذا العبء المادي، أو لكي تستطيع الزوجة توفير ما يلزمها مع زوج آخر يستطيع ذلك.

رابعاً: أسباب أخلاقية، فقد يسلك الزوج أو الزوجة طرقاً ملتوية في حياته، تطعن في أخلاقه وفي سمعته، كالخيانة الزوجية، وارتكاب الكبائر الأخرى كالسرقة والقتل، وشرب الخمر، وغيرها من الأمور غير الأخلاقية، تجعل أحد الزوجين ينفر من الآخر ويشمئز منه فيعمد إلى الطلاق ليتخلص من عاره.

أما آثار الطلاق على نفسية المرأة، فهي عميقة ولها مدى بعيد، وعلى الرغم من احتمالية وجود زاوية إيجابية في الطلاق؛ وهي التخلص من الشريك السيئ، إلا أن آثاره السلبية لا تنفك هنه بحال من الأحوال، فقد أشار الباحثون والعلماء في مجال علم النفس إليها من خلال قيامهم بدراسات عدة اثبتوا فيها هذه الآثار، منها:

أولاً: دراسة جودي "goode" سنة 1956، حيث تعتبر أول دراسة تأخذ بعين الاعتبار الآثار النفسية للطلاق، وقد أشار فيها إلى حدوث صدمة للمطلقة من خلال عدم انتظام النوم واعتلال الصحة وفقدان مؤقت للذاكرة، وقلة الانتاجية في العمل. وقد أشار إلى تأثر معظم عينته بذلك، إضافة إلى وجود أعراض أخرى مثل القلق والتوتر والانتحار.

ويشير "جودي" إلى أن الأثر النفسي المترتب على الطلاق يختلف من شخص إلى آخر حسب عوامل عدة، مثل مدة الزواج، ووجود الأولاد، والعمر عند الطلاق، والرغبة في الطلاق، حيث إن وقع الصدمة يكون أكبر في حالة من تزوجن لمدة أطول وأعمارهن أكبر، ولديهن أولاد، ولم يرغبن بالطلاق.(1)

ثانياً: ينظر علماء الاجتماع إلى الطلاق على أنه كارثة اجتماعية ينجم عنها آثار خطيرة على المطلقين، فهو يدل على محنة شخصية، ومؤشر واضح على الفشل في تكوين أسرة، ويترتب على هذا الشعور تحطيم كبريائهما، وهز حياتهما الوجدانية هزاً عنيفاً، إضافةً إلى تعقيد ظروف حياتهما، حيث تشعر بعض المطلقات بالحزن والندم بسبب نظر المجتمع لها نظرة ارتياب وكأنها ارتكبت فعلاً سيئاً، مع شعورها بالحرج من أسرتها والمجتمع المحيط بها، مما يولد لديها حالة من الاضطراب وعدم الاطمئنان النفسي.(2)

---

(1) الثاقب، فهد ثاقب، المرأة والطلاق، جامعة الكويت- الكويت، ط(1999)، ص225، بتصرف.

(2) الشمسي، سالم محمد، ظاهرة الطلاق: الأسباب والآثار، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة عدن (2000)، ص91، بتصرف.

ثالثاً: تعاني المطلقة من اضطرابات انفعالية كالشعور بالتشاؤم، والانهزامية، ولـوم الـذات، وعقدة الذنب، وقد تؤدي الحالة النفسية إلى الإصابة بعدة أمراض جـسمية كالـضغط الـدموي العالي، السكري، القلب، القرحة، والشقيقة.(1)

وقد قسم أحد الباحثين هذه الآثار إلى مراحل عدة، وهو الأدق لأنها لا تحصل جميعهـا مـرة واحدة، بل يختلف الوضع من أول الصدمة إلى وسطها إلى آخرها، وقد جاء التقسيم على النحـو التالي:

1- مرحلة إلقاء اللوم على الشريك الآخر، واتهامه بأنه السبب فـي كـل المـشاكل الحاصلة والتي ستحصل في المستقبل، وفي هذه المرحلة يكون الفرد صورة سلبية عـن نفسه، فيكون هشاً وشديد التأثر بما يجري حوله، ويبدو كذلك حزيناً، شـديد الغـضب، تظهر عليه أعراض الاكتئاب والخمول، وعدم الاعتراف بانتهاء الزواج.

2- مرحلة الحزن والخسارة، وتركز على الاعتراف بانتهـاء الـزواج، والـشعور بالحزن الشديد الذي يجعل الفرد غير قادر على تمالك نفسه، والنظر للمستقبل بتشاؤم.

3- مرحلة الشعور بالغضب، وهو ناتج عن الإحساس بخيانة الشريك، والتخلي عنه.

4- مرحلة البقاء وحيداً، حيث يمر المطلق بتجارب جديدة من نوعها لا يشاركه فيها زوجه السابق، وينفرد في اتخاذ القرارات بشكل أفضل مـن المراحـل الـسابقة، دون الاعتماد على الشريك. وهذه تزيد من طاقة المطلق وتحسن نظرته لنفسه.

5- مرحلة إعادة الانسجام، حيث يبدأ المطلق بالشعور بالاسقرار النـسبي، والقـدرة على السيطرة على حياته من جديد، مع بناء نظرة إيجابية لمستقبله.

---

(1) عابدين، آمال عبد الله، الأسباب والآثار النفسية والاجتماعية لحالات الطـلاق، رسـالة ماجـستير، كليـة الدراسات العليا- جامعة عمان العربية (2008-2009)، ص23، بتصرف.

وتشير باحثة إلى وجود رد فعل جسدي يرافق هذه المراحل خاصة أوائلها، يتمثــل بالــشعور بفراغ المعدة، ضيق في الصدر وعدم القدرة على التنفس، نقصان الطاقة، ضعف في العضلات، ألم في الصدر، وهذا كله ناتج عن الحالة النفسية[فأساس المرض الجسدي هو التعب النفسي].[1]

وبعد عرض هذه الآثار النفسية، يتبين لنا مدى الضرر الذي يحصل جــراء الطــلاق علــى الزوجين وخاصة المرأة، لأنها هي من يقع عليها الفعل، وقد تكون غير راغبة بذلك، فتتأثر تأثراً شديداً، إضافة إلى أنها هي الأضعف ولا تقدر على استئناف حياة جديدة مع زوج جديد يؤويهــا، لأن المرأة مطلوبة لا طالبة في مجتمعنا.

وهذا الأثر يفسر لنا قوله تعالى:] v w y z { | } Z البقــرة: ٢٢٩، فأمر بإمساك الزوجة بالمعروف وهو حسن العشرة مع إقامة حدود الله فيها، وقدمه علــى التسريح ليشعر بتفضيله عليه لتجنب هذه الآثار السلبية على الزوجين وأسرتهما وعلى المجتمع، وفي حالة التسريح وهو الطلاق أمر بالإحسان لما يترتب على طلاق المرأة من الأثــر الــسيء عليها، يقول الألوسي: " "**أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحسان**" أي إطلاق مصاحب له مــن جبــر الخــاطر وأداء الحقوق".[2]

ويقول البقاعي: " "**بإحسان**" تعريضاً بالجبر بالملل لئلا يجتمع منعان: منع النفس وذات اليــد، ومن ذلك بذل الصداق كاملاً وأن لا يشاححها في شيء لها فيه حق مع طيــب المقــال وكــرم الفعال".[3]

(1) المصري، إناس إبراهيم، الضغوط النفسية والدعم الاجتماعي لدى المطلقين والمطلقات، رسالة دكتــوراه، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية (2007)، ص15-16، بتصرف.
(1) الألوسي، روح المعاني، م1، ص722.
(2) البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص430.

وأمر بالإحسان كذلك ليبقي على بعض معاني المودة والرحمة بينهما إذا ما راجعها إلى عصمته، فلا يعني الطلاق الرجعي أن كل ما بينهما قد انتهى تماماً، فيسيء كل منهما للآخر، بل على العكس ففيه -معنى الإحسان- تلويح إلى تحبيب الرجعة بعد أن تهدأ النفوس.

يقول ابن عاشور: " والتسريح بإحسان توسعة على الناس ليرتأوا بعد الطلاق ما يليق بحالهم وحال نسائهم، فلعلهم تعرض لهم ندامة بعد ذوق الفراق ويحسوا ما قد يغفلون عن عواقبه حين إنشاء الطلاق، عن غضب أو عن ملالة، لا أن يتخذوه ذريعة للإضرار بالنساء كما كانوا يفعلون قبل الإسلام".[1]

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر - تونس، ط(1984)، م2، ص406.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع "تعزيز العلاقات النفسية بين الزوجين(دراسة قرآنية)" توصلت إلى النتائج والتوصيات (العامة) التالية:

- التعرف على الفروق الجسدية والعقلية والنفسية بين الرجل والمرأة.
- التعرف على الخصائص النفسية للرجل والخصائص النفسية للمرأة والخصائص النفسية المشتركة بينهما.
- معرفة آثار الصفات والسلوكيات لدى الرجل والمرأة على كل منهما، كل طرف مقابل الآخر.
- الاطلاع على طريقة القرآن الكريم في تصوير العلاقة بين الرجال والنساء، وكيفية التعامل معها، وما يعرض لها من خلال ما قرَّره من قواعد وقوانين وطرق وتوجيهات لهما.
- معرفة الرجل لطبيعته، ومعرفة المرأة لطبيعتها -على المستوى الجسدي، والعقلي، والنفسي- يجعلهما أكثر إدراكاً لشخصيتهما، ودوافع سلوكهما، ومعرفة طبيعة دور كل منهما ووظيفته في الحياة، بناءً على استعداداته الجسدية، والعقلية، والنفسية.
- معرفة الرجل بطبيعة المرأة، ومعرفة المرأة بطبيعة الرجل -على المستويات السابق ذكرها- يساعدهما كثيراً على أن يفهم كل منهما الآخر، ويفهم شخصيته، وطريقته في الحياة، ويعي الاختلاف الذي يؤدي للخلاف بينهما، بالتالي يقلل من سوء الظن بالآخر، وإيجاد العذر له فيما يقوم به من تصرفات قد يُظَنُّ أنها مهانة منه، أو ظلم لطبيعته، إضافةً إلى أنه يقلل من الحيرة التي تنتاب أحدهما مقابل تصرفات الأخر بفهم دوافعها.

- عندما يتعرف كل من الرجل والمرأة على آثار صفاته وسلوكه على الآخر، فــإن ذلــك يساعدهما كثيراً في مراعاة الطرف الآخر أثناء تعامله معه، وينتبه على طريقتــه معــه ضمن حدود ومبادئ معينة، تقلل من نسبة الإضرار بالآخر حتى لو من دون قصد، فهذا يحفظ الرجل والمرأة قبل الزواج بتحقيق العفة وصيانة الأخلاق بين الجنسين، أمــا بعــد الزواج، يجعل الرجل يحافظ على المرأة، والمرأة تحافظ عليه، لتحقيق الــسكينة المــودة والرحمة بين الزوجين.
- بعد ذلك يستطيع كل من الزوجين أن يتعامل مع الآخر، سيراً على مبدأ الوســطية فــي الفكر والسلوك، لأن الرجل لن يستطيع تقبل سلوك المرأة وفكرها تماماً، ولــن تــستطيع المرأة ذلك أيضاً - فالرجل سيبقى رجلاً وله طريقته في التفكير والسلوك، والمرأة ستبقى امرأة ولها طريقتها الخاصة في التفكير والسلوك، والاختلاف قائم بينهما أبــد الــدهر - فلتحقيق العدل، وإعطاء الحقوق، وأداء الواجبات، لابد من التحاور، والتفاهم والتراضــي بينهما على الأمور التي يختلفان عليها، ليسير مركب الحياة بكل ودٍّ واحترام.
- ما ورد في هذه الدراسة لتحقيق الأهداف السامية من الزواج لا يقف عند عُمــرٍ معــين، فهذا لا يقال فقط للأزواج الشباب، بل إن الحاجة للسعادة الزوجية تكبر كلما تقدم العمــر بالزوجين - خاصة بعد سن الأربعين للمرأة، وبعد سن الخمسين للرجل بــسبب وجــود تغييرات نفسية وجسدية(هرمونية) تطرأ عليهما - فما يقال من أن الزوجين يمل أحــدهما الآخر بعد الكبر أمر غير صحيح، فالإنسان يحتاج العطف والحنــان دائمــاً، فــالأولاد يكبرون، ويتزوجون، ولا يبقى إلا الأم والأب وحدهما، فلابد للزوجة أن تمــد زوجهــا بالدعم اللازم له، والزوج كذلك للزوجة.

- من خلال قراءتي في عدد من كتب التفسير، وجدت أنها في معظمها تولي جل اهتمامها في تفسير الآيات، بالمعاني الظاهرة، وعلوم اللغـــة، والروايـــات، والمـــسائل الفقهيـــة، والقصص وغيرها، دون التطرق إلى زوايا أخرى، كالبعـــد الاجتمـــاعي، والتربـــوي، والنفسي، والروحي الموجود في الآيات والذي يبدو ظاهراً أحياناً، ومع ذلك لـــم يهتمـــوا به، عدا تفسير الظلال لسيد قطب، الذي يعـــد تفـــسيراً تربويـــاً، واجتماعيـــاً، ونفـــسياً، وبالدرجة الثانية تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، الـــذي التفـــت لـــبعض القـــضايا التربوية الاجتماعية، وتعمق بالمعاني بدرجة أكبر من باقي التفاسير.
- من خلال قراءتي في عدد من كتب التفسير، وجدت من المفسرين كالألوسي، والرازي، وأبي حيان، والزمخشري، والشنقيطي لهم نظرة تحاملية للمرأة يتعصبون فيهـــا لجـــنس الذكورة، خاصة في آية"M n o p L البقـــرة(228)، وآيـــة M u v w x y z { | } ~ L الزخرف(18) ، وآية M وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ L النساء(٥)، ذلك أنهم اقتطعوها من سياقها وفسروها بعيداً عنه.
- دمج العلوم النفسية الاجتماعية مع علم التفسير فيما يخص الإنسان- الرجـــل والمـــرأة- أمر نادر في مصادرنا ومراجعنا، فلم أجد اهتماماً من الباحثين والكُتّاب لهـــذا المجـــال، على الرغم من أهميته وجدته وإبداعه، لذا نحن بحاجة إلى التشجيع للإقبال علـــى مثـــل هذه البحوث، ودمج العلوم الأخرى بعلم التفسير للكشف عن روعـــة الـــنص القرآنـــي المفتوح، الذي يعد انطلاقةً للعوم الإنسانية والعلمية، يقول الله عـــز وجـــل:" M قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ L الكهف(109).

- أغلب الكتب التي تحدثت عن الجانب السيكولوجي للرجل والمرأة، هـي كتـب غربيـة مترجمة للعربية، وهذه الكتب تحتوي على كثير من الأخطاء والمغالطات فيمـا يخـص علاقة الرجل بالمرأة، لأن هذه الكتب ما هي إلا ترجمة للفكر الغربي وإن كانت تحمـل دراسات علمية

عن الإنسان بشكل عام، والجميع يعلم عن علاقة الرجل بالمرأة في الغرب، خاصة العلاقـة الزوجية والجنسية وغيرها، فهي بعيدة عن طابع الزواج بالإسلام وأهدافـه، الـذي يتميـز بوجود الروح والعاطفة والثبات، لذا لابد من تحريك الجهود العربية الإسلامية للحديث عـن الجانب السيكولوجي على جميع المستويات، وتأصيل هذا العلـم بنظـرة إسـلامية تحمـل معتقداتنا وأفكارنا ومبادئنا، كي نتجنب أثر الشوائب والأخطاء الموجودة في الكتب الغربية

وM & ') (L والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

1. آلان وباربرا بيز (2005)، **لماذا يكذب الرجل وتبكي المرأة**، ط1، مكتبة جرير.
2. آلان وباربرا بيز (2005)، **معارك قيس وليلى**، ط1، ترجمة غزوان الزركلي، دار كنعان: دمشق.
3. الأبرش، مها عبد الله (1996)، الأمومة **ومكانتها في الإسلام**، جامعة أم القرى: مكة المكرمة.
4. أسعد، يوسف ميخائيل، **سيكولوجيات**، نهضة مصر للطباعة: مصر، (د.ط).
5. الأغر، كريم نجيب (2005)، **إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام**، ط1، دار المعرفة: بيروت.
6. الألباني، محمد ناصر الدين (2002)، **صحيح سنن أبي داود**، ط1، مؤسسة غراس: الكويت.
7. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط1، تحقيق محمد الأمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث العربي: بيروت (2000).
8. أندريه، كريستوف (1999).، **الخجل**، تعريب جورجيت الحداد، ط1، عوينات للنشر والطباعة: بيروت.
9. إنكلمان، كلاوديا (2005)، **بلوغ النجاح في الحياة الزوجية بالحب والشوق والهوى**، ط1، تعريب سامر نصري، مكتبة العبيكان: الرياض.

10. البار، محمد علي (1984)، **خلق الإنسان بين الطب والقــرآن**، ط5، الــدار الــسعودية للنشر والتوزيع: الرياض.

11. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت256هــ)، **صحيح البخاري**، ط1، تحقيق عــز الــدين ضلي، مؤسسة الرسالة ناشرون: دمشق (2008).

12. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحــسيني الكفــوي (ت616هـــ)، **الكليــات (معجــم فــي المصطلحات والفروق اللغوية)**، ط2، منشورات وزارة الثقافة: دمشق (1982).

13. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن (ت885هــ)، **نظم الدرر في تناســب الآي والــسور، تخريج عبد الرازق المهدي**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت (1995).

14. البوطي، محمد سعيد، **إلى كل فتاة تؤمن بالله**، مكتبة الفارابي: دمشق، (د.ط).

15. بوفوار، سيمون دي (2008)، **الجنس الآخر**، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع: عمّان.

16. بيز، آلان (2005)، معارك قيس وليلى، **ترجمة غــزوان الزركلــي**، ط1، دار كنعــان: دمشق.

17. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت458هــ)، **السنن الكبرى**، ط1، إعــداد إبــراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت (1994).

18. البيهقي، أحمد بن الحسين(ت458هــ)، **شعب الإيمان**، ط1، تحقيق محمد زغلــول، دار الكتب العلمية: بيروت (1990).

19. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت279هــ)، **سنن الترمــذي**، ط1، مكتبــة ابــن جرير: دمشق (2004).

20. الثاقب، فهد ثاقب (1999)، **المرأة والطلاق**، جامعة الكويت: الكويت.

21. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت429هــ)، **فقــه اللغــة**، ط1، المكتبــة العــصرية: بيروت، (1999).

22. جراي، جون (2008)، **الرجال من المريخ النساء من الزهرة**، ط3، مكتبة جرير.

23. الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد (ت816 هـ)، **التعريفات**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت (2000).

24. الجميلي، السيد (1984)، **الحب وأخلاقيات الجنس في الإسلام**، ط1، دار المسلم: القاهرة.

25. الحاجي، محمد عمر (2002)، **النساء شقائق الرجال**، ط1، دار المكتبي: سورية.

26. حجازي، أحمد (2004)، **أروع وأجمل وأحلى ما قيل في المرأة والنساء**، دار اليوسف: بيروت.

27. حسن، عبد المنعم سيد (1985)، **طبيعة المرأة في الكتاب والسنة**، ط1، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.

28. حمدان، محمد زيدان (2005)، **زواج سليم لبناء أسرة سليمة**، دار التربية الحديثة: دمشق.

29. أبو حيان، محمد بن شهاب الأندلسي (ت745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر (1992).

30. الخالدي، صلاح عبد الفتاح (2000)، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ط1، دار عمار: الأردن.

31. خنفر، حازم (2006)، **تأملات وخواطر**، الدار العثمانية: عمان.

32. داود، عبد الباري محمد (2002)، **الحياء في الإسلام**، ط1، مطبعة الإشعاع الفنية: مصر.

33. الداوود، عبد الله بن محمد (2003)، **متعة الحديث**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض.

34. ديوارنت، وِل، **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران، جامعة الدول العربية، (د.ط).

35. الرازي، الفخر (ت606هـ)، **التفسير الكبير**، ط2، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (1997).

36. الراشد، صلاح صالح(2002) **الفرق بين الجنسين**، مركز الراشد: القاهرة.

37. الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط1، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم: دمشق (1992).

38. رضا، محمد رشيد (ت 1935م) ، **حقوق النساء في الإيلام وحظهن من الإصلاح المحمدي**، وضع هوامشه: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث: القاهرة، (د.ط) (1935).

39. رضا، محمد رشيد (ت 1935م)، **نداء للجنس اللطيف**، دار الحديث: القاهرة، (د.ط).

40. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الحليم الطحاوي، التراث العربي: الكويت (1984).

41. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط1، تحقيق علي معوض، مكتبة العبيكان: الرياض (1998).

42. الزين، سميح عاطف (1991)، **علم النفس(معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة)**، ط1، دار الكتاب اللبناني: بيروت.

43. السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داوود**، ط1، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة: بيروت (2001).

44. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط1، دار الكتب العلمية: بيروت (1999).

45. السويدي، مرسي شعبان (1992)، **غرائز النفس البشرية**، ط1، دار الصحابة للتـــراث: طنطا.

46. ابن سيدة، أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت458هـــــ)، **المخـــصص**، ط1، دار إحيـــاء التراث العربي: بيروت (1996).

47. الشخيلي، عبد القادر (2001)، **السكينة والمودة والرحمة بين الزوجين**، جمعية العفاف الخيرية: عمان.

48. الشربجي، علي(2001)، **الأسرة السعيدة وأسس بنائها**، ط1، اليمامة للطبـــع والنـــشر: دمشق.

49. أبو شقة، عبد الحليم (1994)، **تحرير المرأة فـــي عـــصر الرســـالة**، ط1، دار القلـــم: الكويت.

50. الشمسي، سالم محمد، ظاهرة الطلاق (2000): **الأسباب والآثار**، رسالة ماجستير، كليـــة الآداب - جامعة عدن.

51. الشنقيطي، محمد الأمين الجكني (ت1393هـــ)، **أضواء البيـــان فـــي إيـــضاح القـــرآن بالقرآن**، ضبط محمد الخالدي، دار الكتب العلمية: بيروت، (د.ط).

52. شهوان، علي عبد الكريم (2006)، **العلاقة الزوجية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية.

53. صادق، عادل (1993)، **الغيرة والخيانة**، ط1، دار الشروق: القاهرة.

54. صليبا، جميل (1971)، **المعجم الفلسفي**، ط1، دار الكتاب اللبناني: بيروت.

55. طنطاوي، محمد سيد (1999)، **حديث القرآن عن العواطـــف الإنـــسانية**، ط1، مركـــز الأهرام: القاهرة.

56. الطيبي، عكاشة عبد المنان، **الزوج المثالي**، مكتبة التراث الإسلامي: مصر، (د.ط).

57. عابدين، آمال عبد الله (2008-2009)، **الأسباب والآثار النفسية والاجتماعية لحـالات الطلاق**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة عمان العربية.

58. ابن عاشور، محمد بن الطاهر (ت1393هـ)، **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس، (د.ط).

59. عبادي، أحمد (1996)، **الإسلام وهموم الناس**، ط1، وزارة الأوقاف: قطر.

60. عبد الله، محمد حسين (1994)، **مفاهيم إسلامية**، ط1، دار البيارق: بيروت.

61. العبد، محمد عبد اللطيف(1985)، **الأخلاق في الإسلام**، ط2، مكتبة دار العلوم: المبتديان.

62. عبده، سمير، **العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة**، مكتبة المعارف: بيروت، (د.ط).

63. عبيدات، رافع محمد (2001)، **موقف الإسلام من تعدد الزوجات**، دار الكتاب: الأردن.

64. عدس، محمد عبد الرحيم (1985)، **من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم**، ط1، مكتبة المنار: الأردن.

65. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، بيت الأفكار الدولية: لبنان (2003).

66. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط3، دار الفيحاء: دمشق (2000).

67. العسكري، أبو هلال (ت بعد 395هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، ط1، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي (1421-2000).

68. العطار، محمد عبد الناصر، **تعدد الزوجات**، دار الشروق، (د.ط).

69. ابن عطية، أبو محمد بن عبد الحق الأندلسي (ت542هـ)، **المحرر الوجيز**، ط1، تحقيق عبد الله الأنصاري، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن محمد آل ثاني: الدوحة، (1984).

70. العظم، مؤيدة (2000)، **سنة التفاضل وما فضل الله به النساء على الرجـــال**، ط1، دار ابن حزم: بيروت.

71. العفيفي، عبد الحكيم (1998)، **الخيانة الزوجية**، ط1، أوراق شرقية: بيروت.

72. العقاد، عباس محمود (2008)، **الصديقة بنت الصديق**، ط7 ، نهضة مـــصر للطباعـــة: القاهرة.

73. العقاد، عباس محمود (1969)، **المرأة في القرآن**، ط3، دار الكتاب العربي: بيروت.

74. علي، علي يوسف (1973)، **الرجل والمرأة في الإسلام**، ط1، دار الإرشاد: بيروت.

75. أبو عوانة، يعقوب بن اسحق(ت316هـــ)، **مـــسند أبـــي عوانـــة**، ط1، تحقيـــق أيمـــن الدمشقي، دار المعرفة: بيروت، (1998).

76. الغزالي، محمد (1997) **خلق المسلم**، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر: القاهرة.

77. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت395هـــ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبـــد الـــسلام هارون، دار الفكر (1979).

78. الفرماوي، عبد الحي، **الخلافات الزوجية (صورها، أســـبابها، علاجهـــا)**، دار مـــصر العربية: القاهرة، (د.ط).

79. الفرماوي، عبد الحي (1999)، **زينة المرأة**، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم: طنطا.

80. الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد (ت823هـــ)، **القاموس المحيط**، اعتنـــى بـــه حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية: لبنان (2004).

81. قرعوش، كايد (2006)، **الأخلاق في الإسلام**، ط4، دار المناهج للنشر والتوزيع: عمان.

82. قطب، سيد (ت1387هـــ)، **في ظلال القرآن**، ط15، دار الشروق: بيروت (1988).

83. قطب، محمد (1960)، **الإنسان بين المادية والإسلام**، ط3، دار إحياء الكتب العربية.

84. قلعه جي، محمد (1985)، **معجم لغة الفقهاء**، ط1، دار النفائس: بيروت.

85. قنديل، عبد المنعم، **لماذا نتزوج؟**، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، (د.ط).

86. ابن قيم الجوزية (ت752هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق البارودي، المكتبة التوفيقية: القاهرة، (د.ط).

87. الكبيسي، أحمد (2003)، **فلسفة نظام الأسرة**، ط1، دار الكتاب الجامعي: الإمارات.

88. **الكتاب المقدس**، العهد العتيق، سفر التكوين، الإصحاح الثالث، المطبعة الكاثوليكية: بيروت.

89. كركر، عصمة الدين، **المرأة من خلال الآيات القرآنية**، الشركة التونسية للتوزيع: تونس، (د.ط).

90. كمال، علي(1985)، **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، ط1، دار واسط: لندن.

91. مجد، محمد (2004)، **الإنسان بمظهريه**، ط1، دار الهادي: بيروت.

92. مجمع اللغة العربية (1983)، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة،.

93. أبو مرق، جمال (2003)، **سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة**، ط1، مطبعة الرابطة: الخليل.

94. ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، **تهذيب الأخلاق**، وزارة الثقافة والإرشاد: دمشق، (د.ط).

95. مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، **صحيح مسلم**، ط1، دار عالم الكتب: الرياض (2003).

96. المصري، إناس إبراهيم (2007)، **الضغوط النفسية والدعم الاجتماعي لدى المطلقين والمطلقات**، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية.

97. المكتب العالمي للبحوث (1980)، **الخلافات الزوجية في نظر الإسلام**، دار مكتبة الحياة: بيروت.

98. ابن منظور (ت711هـ)، **لسان العرب**، دار الحديث: القاهرة (2003).

99. المودودي، أبو الأعلى (ت1979م)، **الحجاب**، دار نهر النيل للطباعة، (د.ط).

100. أبو موسى، محمد (1969)، **من أسرار التعبير القرآني**، ط1، دار الفكر العربي.

101. الموصلي، أبي يعلى نور الدين علي (ت807هـ)، **المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي**، ط1، تحقيق سيد كسروي، دار الكتب العلمية: بيروت (1993).

102. النووي، محي الدين بن شرف (ت676هـ)، **رياض الصالحين**، مؤسسة الريان: بيروت (1994).

103. النيال، مايسة أحمد (2002)، **في سيكولوجية المرأة**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية،.

104. وافي، مصطفى عبد الواحد(1972)، **الأسرة في الإسلام**، ط2، مكتبة المتنبي.

105. وصفي، محمد الحاج (1997)، **الرجل والمرأة في الإسلام**، الجفان والجابي: قبرص.

المواقع الاكترونية:

1. الأسمري، عبير، **تعدد الزوجات من منظار الطب النفسي**، drdia.com

2. أكاديمية علم النفس- قسم علم النفس الأسري والزواجي، **العلاقات الاجتماعية..رؤية مشتركة**، www.acofps.com

3. التركي، نور بنت محمد، **الاثر الخطير للتهميش والإهانة**، www.r3bob.com

4. جاب الله، شعبان، **الزوجة الثانية بين إقامة السنة وضياع الفرض**، www.balagh.com

5. جونجر، مارك، **الفرق بين عمل مخ الرجل ومخ المرأة**، www.youtube.com/watch?v=Gumz73mt5zm

6. حنش، كمال، **العقم يلقي بآثاره النفسية وضغوطاته الاجتماعية على الزوجين**، www.3rbdr.com.

7. رزق، مروة، **تعدد الزوجات..الخيانة..الجاذبية..أسبابها إفرازات هرمونية**، www.almoheet.com

8. سلطان العويضة، وصف الزواج المتوافق، www.r3bob.com

9. العويضة، سلطان بن موسى، **التنافر النفسي والفكري بين الزوجين - أسباب الخيانة**، www.r3bob.com

10. غالب ياسين، **أريدها جميلة**، www.wata.cc

11. غريب، منى، ماذا **يقول أخصائيو الطب النفسي في الخيانة**، www.noo.problems.com

12. محمد المهدي، **إدمان الفتوحات العاطفية**، www.islamonline.net

13. مهدي، د.محمد، **إدمان الفتوحات العاطفية**، www.islamonline.net

14. نادر، أديب محمد، **الحرة لا تقبل الضرة**، alfdhela.com

15. **أثار الخيانة الزوجية ونتائجها الخطيرة**، forum.te3p.com

16. **أثر السمع واللمس والتذوق على العلاقة الزوجية**، منتديات طيور الجنة، www.6oyor-aljanah.com

17. **أثر صوت المرأة على الرجل**، www.ordonee.com

18. **الاختلاط بوابة الشرور**، www.islamway.com

19. **تأثير النظر للنساء على الإنسان**، www.sfeeral7b.com

20. **خطورة الاختلاط**، www.islamlight.net

21. **الزوجة الثانية بين إقامة السنة وضياع الفرض**، www.balagh.com

22. **العطور**، www.ksagntl.com

23. **لماذا تكره الزوجة أهل زوجها**، www.al-jazerah.com.sa

24. مجتمع وامرأة، arb3.maktoob.com

25. Majdah.maktoob.com

REINFORCEMENT PSYCHOLOGICAL FAMILY RELATIONSHIP BETWEEN HUSBAND AND WIFE. (QORANIC STUDY)

BY
HEBA M. ALISES

SUPERVISOR
DR. AHMAD NOFAL

Abstract

This study dealt with the psychological relationship between men and women in the light of the Qoran, the origin of that behavior is feeling. Several behaviors occurred between them is required understanding of the psychological aspect of each one of them. in order to develop this idea, terms of the study addressed due to the importance to understand the meaning and direction, and also this study dealt with physical, mental, and psychological differences between men and women, to understand the nature of each woman and man, and what distinguished between them.

Therefore, the psychological characteristics enjoyed by both men and women observed, as integral components for that relationship, through the verses of the Koran, as well as shared psychological characteristics in the marital relationship.

After the solid evidence of these characteristics, the effects of characteristics of women (physical and moral) on man, and the effects of characteristics of the man (physical and moral) on women was examined, and then the researcher dealt with the impact of the behavior of women on men and the response, as a result of the psychological impact, as well as the impact of the behavior of men on women was studied.